

جامعة بيرزيت
كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

المدينة الفلسطينية في عهد المماليك

Palestinian Cities During The Mamluk Period

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

مروان عبد القادر بكير

إشراف الدكتور

محسن يوسف

2005-2004



جامعة بيرزيت
كلية الدراسات العليا
برنامج التاريخ العربي الإسلامي

المدينة الفلسطينية في عهد المماليك

Palestinian Cities During The Mamluk Period

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

مروان عبد القادر بكير

إشراف الدكتور

محسن يوسف

لجنة المناقشة :

د.محسن يوسف د. خليل عثامنة

د. كمال عبد الفتاح

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا جامعة بيرزيت – فلسطين

لعام 2004-2005

المدينة الفلسطينية في عهد المماليك

Palestinian Cities During The Mamluk Period

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

مروان عبد القادر بكير

تاريخ مناقشة الرسالة

الاثنين 2005/6/13

نوقشت هذه الرسالة من قبل لجنة المناقشة وهم

د.محسن يوسف (رئيس اللجنة) ....

د.خليل عثامنة ....

د. كمال عبد الفتاح ....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا جامعة بيرزيت – فلسطين

لعام 2004-2005

الإهداء

إلى أبناء وطني فلسطين... والى كل شهيد قضى على

ثرى فلسطين الحبيبة ...إلى امتنا العربية من المحيط

إلى الخليج إلى روح أمي الطاهرة ...إلى والدي العزيز

إلى زوجتي وابنتي ميساء أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل البسيط المتواضع واخص بالذكر الدكتور محسن يوسف لملاحظاته البناءة أثناء مرحلة الإشراف على هذه الدراسة ، ولتقديمه النصح والإرشاد والتوجيه أثناء فترة إعدادها والتي لولاها لما قدر لهذه الدراسة أن تخرج بالصورة التي هي عليها الآن .

كما أتوجه بالشكر والعرفان للدكتور سعيد البيشاوي الذي وافق مشكورا على تخصيص جزء من وقته للاطلاع على خطة الدراسة ،وتقديم الملاحظات الفنية التي ساهمت في إنجاز هذا العمل .

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الدكتور خليل عثامنة والدكتور كمال عبد الفتاح لتفضلهم بمناقشة هذه الدراسة .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى رفيقة دربي جهاد عليان لجهودها الكبيرة في تدقيق النص .

ولا يفوتني هنا إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من الأستاذ مشهور اسبيتان والأستاذ إسماعيل عادي لجهودهما في تدقيق النص .

قائمة المحتويات

ملخص الرسالة:

تكمن أهمية دراسة المدينة الفلسطينية في العهد المملوكي في تركيزها على نشاطات المجتمع المدني اليومية لسكان المدن الفلسطينية العمرانية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، بهدف التعرف على الأثر الذي تركه المماليك على واقع وطبوغرافية المدن الفلسطينية والذي ترك بدوره أثرا على نشاطات المجتمع المدني اليومية في المدن الفلسطينية في العهد المملوكي . ولتحقيق ذلك قسمت الدراسة إلى خمسة فصول وهي على النحو الآتي :

تناولت في الفصل الأول الحكم المملوكي لفلسطين بتقديم لمحة تاريخية عن المماليك ونشأة دولتهم، وإدارتهم لفلسطين.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الجوانب العمرانية للمدن الفلسطينية كالشوارع والأسواق ، والمنازل، والحارات ،والجوامع ،والزوايا ،والمزارات، والحمامات .

وتناولت في الفصل الثالث مؤسسات الحكم والإدارة في المدن الفلسطينية الرسمية والشعبية.

وفي الفصل الرابع عالجت نشاطات المجتمع المدني الاقتصادية ،كالنشاط الحرفي والنشاط التجاري اللذان سادا المدن الفلسطينية في عهد المماليك .

وأخيرا تناولت في الفصل الخامس مظاهر الحياة الاجتماعية في المدن الفلسطينية من عادات، وتقاليد ،ووسائل التسلية، والأعياد والاحتفالات .

أما النتائج التي توصلت إليها والتي تبين أثر الحكم المملوكي على واقع المدن الفلسطينية فهي :

في الجانب السياسي العسكري ، تمكن المماليك من الانتصار على المغول في معركة عين جالوت وحرروا فلسطين من قبضة الفرنجة، وكان ذلك بمثابة نقطة تحـول فـي تـاريخ المنطقة، وقد رافق ذلك إجراء تغييرات على نظام الحكم والإدارة في فلسـطين وذلـك بتأسيس ثلاث نيابات (نيابة صفد 664هـ/ 1265 م ، ونيابة غزة سنة 711هـ ـ/1311م ،ونيابة بيت المقدس في سنة 796هـ/1393م) على رأس كل منها أمير برتبـة كبيـرة يتولى إدارة النيابة وافردوا لكل نيابة إدارة ومؤسسات وقوات عسكرية ومـوارد ماليـة خاصة بها .

ترك حكم المماليك أثرا على التركيبة السكانية للمدن الفلسطينية، وعلـى تنظيماتهـا وحتى على طوبوغرافيتها . بتشجيعهم هجرة العلماء والتجار والحرفيين والجاليات مـن مختلف أقطار العالم الإسلامي إلى فلسطين، فقاموا بإنشـاء المنشـآت الدينيـة والعلميـة والخيرية والاجتماعية في المدن الفلسطينية . علما أن كثيرا من هذه المنشآت مـا زالـت باقية إلى أيامنا في كثير من هذه المدن.

كما تمكن المماليك من إدارة المدن الفلسطينية باعتمادهم على المؤسسات الرسمية والشعبية ، حيث ساهمت هذه السياسة في احتواء كل فئات المجتمع داخل المدينة ، وحال دون قيام أنماط حكم بديلة للحكم ودون قيام معارضة قوية وفعالة ضدهم . وساهم أيضـا في تخفيف العبء الإداري والأمني علـى السـلطة. كمـا أنـه سـهل تنفيـذ سياسـة المماليك.وخاصة في فترة الاضطرابات والأزمات ،حيث عمـد المماليـك إلـى إنشـاء مؤسسات أمنية إضافية عبر المؤسسات الشعبية ، إلا أن دعمهم لفئة على حساب أخـرى

تبعا لمصالحهم وأهدافهم شجع السلب والنهب واضطراب الأمن في كثير مـن الأزمـات التي كانت تتعرض لها المدن بسبب انشغال الدولة في النزاعات الداخلية والخارجية .

وفي المجال القضائي أدخل المماليك بعض التغييرات والتعديلات حيـث اعتبـر قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في كل واحدة من نيابات فلسطين الـثلاث ، وكـان يشغل هذا المنصب في كل منها قاضي قضاة الشافعية . وجعل السلطان الظاهر بيبـرس في كل نيابة وأحيانا في كل مدينة أربعة قضاة : شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي .

كما شهدت المدن الفلسطينية نشاطا صناعيا جيدا في العهد المملوكي حيث مـارس السكان العديد من الأنشطة الاقتصادية التي ساهمت في تنمية الاقتصاد ، وعادت بالفائـدة عليهم .كذلك ازدهرت الحركة التجارية الداخلية والخارجية بين المدن الفلسـطينية ومـع الأقطار المجاورة ومع أوروبا وجنوب شرق آسيا. ومما شجع على ازدهار التجارة بنـاء الجسور ورصف الطرقات وبناء الخانات على الدروب والطرقات داخل المدن وخارجهـا خدمة للقوافل التجارية والمسافرين . ولكن سياسة المماليك المتمثلة في فرض الضـرائب الباهظة على الفلاحين، والسيطرة على الموارد المالية وممارسة سياسة الشراء بـالإكراه وبالأسعار التي يحددونها أدى في النهاية إلى انتشار الفوضـى واللصوصـية وخـراب الاقتصاد وانتشار الأوبئة وانهيار الدولة .

عرفت المدن الفلسطينية في عهد المماليك الكثير من العادات والتقاليـد والأعيـاد ووسائل التسلية التي توارثوها عن الأجداد في شتى مجالات الحياة ، وكان لتنوع الديانات أثر في تنوع العادات والتقاليد في المدن الفلسطينية.

Abstract:

This study sheds light on the Palestinian city during the Mamlouki era. It focuses on the architecture of the city, its administration and economic and social life aspects at that time. It aims at identifying the impact of Mamlouks on Palestinian city and the Palestinians' daily life activities.

The study is divided into five chapters. Chapter one gives a historical overview of the Mamluks' rule and their administration of Palestine. Chapter two sheds light on architecture of the Palestinians cities. It gives as examples streets, houses, neighborhoods, mosques, *zawaya*, shrines and public bathrooms. While chapter three touches on institutions of the state and official and popular administration of cities chapter four discusses activities of civil society like handcrafts and commercial activities. The last chapter discusses social life aspects like customs and traditions, feats and celebrations and entertainment methods.

Results:

Militarily and politically, the Mamluks achieved a victory over the Maghoul in the Ein Jalout battle in 658 A. H. Palestine was liberated from the Europeans as a result. Coupled with changes on the regime and administration of Palestine, this victory counted as a turning point in the history of the region. Three attorney offices were established, one in Safad (664 Hijri/1262 AC) another in Gaza (711 Hijri/1311 AC) and a third in Jerusalem (796 Hijri/ 1393 AC). Every

Office was presided over by a senior commander and had its own administration, institutions, military and financial resources.

The Mamlouks have had their impact on the demography, topography and governance of Palestine. They encouraged immigration of scientists, merchants and artisans from Islamic countries to Palestine. They established religious and scientific centers as well as charity and social organizations in the Palestinian cities. Many of these centers and organizations are still existing in Palestinian cities.

Mamlouks succeeded in administering Palestinian cities. In their administration they depended on government and public institutions. Such a policy ensured everybody's contribution in development of the city. Further, it prevented the emergence of new regimes and strong opposition. It also decreased administrative and security obligations of the Authority and helped the Mumlouks carry out their policies easily especially in cases of emergency and crises. To this end they founded additional security institutions with the help of popular organizations.

The Mamlouks privileged some social sectors over others. This policy led to unstable situation where robbery and chaos prevailed in the society.

On the level of the judiciary, the Mamlouks made some reforms. Every tribunal in the three areas mentioned above was

presided over by a grand *mufti(* judge*).* The Grand Mufti had to be *Shafi'i.* Sultan Thaher Babers appointed four judges in every attorney office. Sometimes four judges were appointed in every city. They were from the four Islamic Mathaheb (school of fiqh), Shafi'i, Hanafi, Maliki and Hanbali.

Industry nourished in Palestinian cities during the Mamlouks era. Most of the inhabitants practiced economic activities. This contributed to the development of the Palestinian economy and benefited people. Internal and external trade also flourished. Trade relations were established with neighboring countries, Europe and countries of Southeast Asia. Trade was strengthened with the pavement of roads and establishment of *Khanat* (inns) in and outside cities to serve trade caravans and travelers.

Yet, Mamlouks imposed high tax rates on *fellahs'* (peasants) agricultural products. They also controlled all financial resources and obliged *fellahs* to sell them their products for low price. As such, chaos and robbery prevailed and finally the State declined.

Different customs and traditions and feasts and entertainment methods were common in the Mamlouki era. Such traditions and entertainment methods were inherited from their ancestors. Diversity in traditions and customs could be ascribed to the many religions that existed in Palestinian cities during that time.

المقدمة :

البحث في موضوع المدينة الفلسطينية في العهد المملوكي من الصعوبة بمكـان لتشتت المعلومات في المصادر القديمة والمعاصرة واختلاطها بالمعلومات الخاصة بمصر والشام ، بالإضافة إلى صعوبة تحديد أفق الدراسة.

ولحصر الموضوع كان لا بد من إثارة بعض التساؤلات مثل . ما الغرض مـن دراسة المدينة الفلسطينية في العهد المملوكي؟ ما الأثر الذي تركه حكـم المماليـك علـى فلسطين من ناحية سياسية وإدارية؟ ما أثر ذلك على واقع وطبوغرافية المدينة الفلسطينية ؟ ما هي المؤسسات التي اعتمد عليها المماليك في إدارة المدينة الفلسطينية ؟ ما هـو دور المؤسسات الشعبية في إدارة المدينة ؟ ما هي طبيعة العلاقـة بـين السـلطة السياسـية والمؤسسات الشعبية وكيف انعكست هذه العلاقة على نشاطات المجتمع المدني اليومية ؟

تكمن أهمية هذه الدراسة في معالجتها لبعض الجوانب التي تتعلق بالحياة اليومية في المدينة الفلسطينية في العهد المملوكي والتي أغفلتها الكثير من الدراسات، والمقـالات والكتب التي عالجت موضوع فلسطين في العهد المملوكي ، مما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع ، محاولا تعويض النقص في هذا الجانب.

لتحقيق ذلك رجعت إلى المصادر والمراجع التي عالجت الموضوع بشكل مباشـر وإلى مراجع متقدمة ومتأخرة قليلا عن العصر قيد الدراسة،وأحيانا الاستعانة بنماذج مـن مجتمعات مدنية قريبة من فلسطين للحصول على بعض المعلومـات التـي لهـا علاقـة بالموضوع . ومن ثم قمت بجمع هذه الشذرات المتباينة مـن المصـادر المتفاوتـة فـي

موضوعاتها وأغراضها لأشيد من هذا الفتات دراسة مترابطة تقوم على أسـس علميـة ، باستخدام المنهج التاريخي الوصفي. ولتحقيق ذلك قسمت الدراسة إلى خمسة فصول :

في الفصل الأول تناولت الحكم المملوكي لفلسطين بتقديم لمحة تاريخية عن المماليك ونشأة دولتهم ،إدارة فلسطين في عهدهم وما رافق ذلك من تأسيس الوحـدات الإداريـة (النيابات) وحدودها وولاياتها ، الوظائف الإدارية العسكرية والديوانية والدينية، بهـدف التعرف على التغييرات السياسية والإدارية التي مرت بها المدينة الفلسـطينية فـي عهـد المماليك .

وتحدثت في الفصل الثاني عن طبوغرافيـة المدينـة الفلسـطينية بـالتركيز علـى الخصائص التي تميزت بها العمارة في المدن الفلسطينية في عهد المماليـك ، والجوانـب العمرانية فيها من أسواق وشوارع ومنازل وحارات وجوامع ومزارات وزوايا وحمامات مدعما ذلك بالأمثلة التوضيحية من المدن الفلسطينية للتعرف علـى الأثـر الـذي تركـه المماليك على واقع وطبوغرافية المدينة الفلسطينية .

وتعرضت في الفصل الثالث إلى مؤسسات الحكم والإدارة في المدينة الفلسطينية، بالتركيز على دور كل من مؤسسات الحكم الرسمية كنائب السـلطان ،ونائـب القلعـة ، والمحتسب ، ووالي المدينة(صاحب الشرطة) والقضاة . بالإضافة إلى دور المؤسسـات الشعبية المتمثلة في زعامات الطوائف الدينية والعرقية ، والزعامات المحلية والمهنيـة ، في إدارة المدن وحفظ الأمن وتوفير الخدمات العامة الخاصة بمرافق المدينة ،وذلك لفهـم العلاقة المتبادلة بين أبناء المجتمعات المدنية بفئاتها المختلفة والسلطة السياسية .

وتناولت في الفصل الرابع نشاطات المجتمع المدني الاقتصادية في المدن الفلسطينية في عهد المماليك ، المتمثلة في النشاطات الحرفية والنشاطات التجارية .

وفي الفصل الخامس تناولت مظاهر الحياة الاجتماعية في المدن الفلسطينية المتمثلة في العادات، والتقاليد، ووسائل التسلية ،والأعياد ،والاحتفالات لبيان الأثـر الـذي تركـه المماليك على هذه الأنشطة .

وضمت هذه الدراسة عدة ملاحق وهي كما يلي :

الملحق الأول:قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية والبرجية .

الملحق الثاني: خريطة توضح التقسيمات الإدارية لفلسطين في عصر المماليك البحرية .

الملحق الثالث : خارطة لنيابات فلسطين في عصر المماليك الشراكسة(البرجية) .

الملحق الرابع : خريطة توضح أحياء وأسواق وحارات وملحقات مدينة القدس في عهـد المماليك.

الملحق الخامس : صورة لمئذنة جامع الخانقاة الصلاحية في القدس .

الملحق السادس : خريطة توضح موقع خانات فلسطين في العصر المملوكي .

وأخيرا أتمنى أن تكون هذه الدراسة مساهمة حقيقية للباحثين للقيام بدراسات جديدة، لمعالجة إشكاليات أخرى مرتبطة بالموضوع محور الدراسة.

الفصل الأول

الحكم المملوكي لفلسطين

أولا: لمحة تاريخية عن المماليك ونشأة دولتهم

ثانيا: إدارة فلسطين في عهد المماليك

أ- تأسيس الوحدات الإدارية

ب- حدود النيابات وولاياتها

ج- الوظائف الإدارية

- الوظائف العسكرية
- الوظائف الديوانية
- الوظائف الدينية

الحكم المملوكي لفلسطين

أولا: لمحة تاريخية عن المماليك ونشأة دولتهم

يطلق اسم المماليك اصطلاحا ،على أولئك الرقيق- الأبيض غالبا- الذين درج بعض حكام المسلمين على جلبهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة ،تجعل منهم محاربين أشداء ، استطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم في مصر والشام والحجاز قرابة ثلاثة قرون من الزمان ما بين(648-923 هـ/1250-1517 م) ([1]).

وكلمة (مماليك) : جمع مملوك ،وهو الرقيق الذي يباع ويشترى ،وهي اسم مفعول من الفعل ملك ، واسم الفاعل مالك والمملوك هو عبد مالكه ([2]) . وأصل المماليك خليط من الأتراك والروم والأوربيين والشراكسة ، جلبهم الحكام المسلمون ليستعين كل حاكم بهم ويتخذهم قوة تسانده ، وتدعم الأمن والاستقرار في إمارته أو مملكته([3]) .

لا شك أن نظام المماليك وان ظهر بشكل واضح على يد سلاطين الأيوبيين في مصر ، إلا أن أصله يرجع إلى ما قبل قيام دولة المماليك في مصر والشام بأمد بعيد ، إذ استخدمهم الخلفاء العباسيون الأوائل ،واعتمدوا عليهم في توطيد دولتهم ،واستعانوا بهم في الجيش والإدارة ،ولعل الخليفة العباسي المأمون (189-212هـ/813-833م)هو أول من استعان بهم ،ثم استكثر منهم الخليفة المعتصم (218-227 هـ/833-843م) للحد من نفوذ جنوده من الفرس والعرب فكون جيشا اغلبه من الترك الذين جلبهم من سمرقند

---

[1] هيئة الموسوعة الفلسطينية . **الموسوعة الفلسطينية** . (دمشق : هيئة الموسوعة الفلسطينية ، 1984) ، القسم الأول ،المجلد الرابع ، ص 290 .

[2] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .**لسان العرب** .(بيروت :دار صادر للطباعة والنشر ،1968)،ج12 ،ص383 .

[3] **الموسوعة الفلسطينية** : القسم الأول ، المجلد الرابع ،ص 290 .

،والسند وفرغانه ([1]).كما اعتمد عليهم الطولونيون والإخشيديون الـذين اسـتكثروا مـن المماليك في جيوشهم ومن بعدهم السلاجقة ([2]) . وازداد عددهم أيام الأيوبيين عقب وفاة صلاح الدين الأيوبي بسبب الخلاف على السلطة الذي وقع بـين أولاده وإخوانـه وأولاد عمومته ([3]). كون كل أمير منهم إمارة مستقلة ،وجعل له أتابك([4]) وصيا على أبنائـه . وكان الأتابكة بدورهم يسعون إلى السيطرة ،والتشاحن فيما بينهم . وكان أقـوى الأمـراء منهم الأمير الذي تولى عرش مصر ، وكان يلقب بلقب السلطان .وكان يأخـذ اعتـراف أفراد أسرته بنفوذه من بني جنسه (الكرد) ،الذي ينتمي إلـيهم الأيـوبيين .ولكـن كثـرة الخلافات مع أفراد أسرته جعلته يعتمد على عنصر آخر يكون ملكا خاصا لـه، وتحـت تصرفه أطلق على هذا العنصر اسم المماليك ([5]).

كما ساهم الخطر المغولي الذي هدد أواسط أسيا بدفع الآسيويين إلى الهرب من بلادهم وبيع أولادهم من الذكور والإناث لتجار الرقيق ؛ بسبب قسوة بيئتهم ، إلى جانب بيع الأسرى منهم من قبل المغول كرقيق في الأسواق . فأكثر الأيوبيون منهم واعتمـدوا عليهم في الجيش لخدمة مصالحهم([6]).

---

[1] ابن منظور .**لسان العرب** . ج12 ،383 ؛ أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**.(القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر) ،ج2،ص233 ؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشافعي ابن كثير.**البداية والنهاية في التاريخ** .(القاهرة : مطبعة السعادة ، 1929-1939)،ج10 ،ص 297 ؛ علي السيد إبراهيم .**تاريخ المماليك البحرية** .(القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،1967)،ط2 ،ص 23-24.

[2] عبد المنعم ماجد .**طومان باي أخر سلاطين المماليك في مصر** . (القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية ،1978)،ص13 .

[3] ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**. ج6 ،ص 61-63 .

[4] أتابك : لفظة تركية مركبة من كلمة اتا بمعنى اب ،وكلمة بك بمعنى السيد أو الأمير (ابو الاتراك) وكانت تطلق في الاصل على مربي اولاد الملوك ؛ أبو العباس احمد القلقشندى . **صبح الأعشى في صناعة الانشأ**. (القاهرة :المطبعة الأميرية ، 1913-1918) ،ج4 ،ص 18 .

[5] ماجد .**طومان باي .** ص 12 .

[6] القلقشندي .**صبح الأعشى** . ج4 ،ص 458 .

وقد أتيحت الفرصة أمام طبقة المماليك في مصر ،في أواخر أيام الأيوبيين ليحكموا البلاد حينما هدد الصليبيون مصر نفسها وذلك بقدوم حملة صليبية على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا في شهر صفر من سنة 648 هـ /الموافق شهر أيار من سنة 1250م . والتي انتهت بانتصار المماليك في المعركة وأسر قائد الحملة وإجبار عساكره على الانسحاب من دمياط مقابل معاهدة بين الطرفين ([1]) ، مما قوى شوكة المماليك في الدولة حيث سيطروا على زمام السلطة ،وأصبحت مناصب الدولة والجيش والقصر بأيديهم . وما لبثوا أن قتلوا توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين في مصر (وهو ابن الملك الصالح أيوب) ،والذي كان قد استكثر منهم حتى صاروا معظم عساكره ، واعتبره ابن تغري بردي أنه هو الذي أنشأ طبقة المماليك في مصر ([2]) .

وبسيطرة المماليك على السلطة في مصر نصبوا عز الدين أيبك الصالحي سلطانا عليهم ،ثم عملوا على محاربة ملوك الأيوبيين في الشام ، وبسيطرتهم على الحكم في مصر ،وضعوا نظاما ثابتا للإكثار من طبقتهم . وكان تاجر المماليك هو الصلة بين دولة المماليك والبلاد التي يأتون منها لدرجة أن سلاطين المماليك كانوا يستقبلونهم كما يستقبلون كبار الشخصيات فيستضيفونهم ،ويمنحونهم الخلع ([3]) . كذلك وضعت طبقة المماليك لنفسها نظاما حربيا؛يضمن سيطرتها الدائمة على مصر وعلى شعوب الإسلام. فاغلب المماليك الذين كان يتم شراؤهم هم في العادة من صغار السن ويسمون أجلابا

---

[1] تقي الدين احمد بن علي المقريزي . **السلوك لمعرفة دول الملوك** . تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة :لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1956-1958) ، ج1 ،ق2 ،ص 363 .

[2] ابن تغري بردي.**النجوم الزاهرة** . ج 2 ، ص17 ؛ عبد المنعم ماجد .**طومان باي** . ص 15-16 .

[3] نفس المصدر :ج2 ، ص18-19 .؛ تقي الدين احمد بن علي المقريزي .**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** .(القاهرة : مطبعة بولاق ،1952) ، ج3 ،348 .

ويوضعون في أماكن خاصة تعرف باسم الطباق أو الأطباق وهي مدارس لتعليم القـرآن والكتابة وفنون العسكرية والفروسية ([1]) .

وعرفت مصر نوعين من هؤلاء المماليك وهم :

1.المماليك الأتراك (البحرية) (648-783هـ/1250-1382م) ([2])

وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحـر النيل أو ما كان يسمى البحر ، حيث قضى هؤلاء فيما بعد على دولة الأيـوبيين وتولـوا الحكم بعدهم ([3]). وقد امتاز هؤلاء المماليك بالشجاعة وقد تمكنوا من حكم مصـر نحـو قرن وثلث ([4]) استطاعوا خلالها مواجهة العديد من المشاكل الخارجية، التي تمثلـت فـي مواجهة أكبر خطرين هما : الصليبيون والمغول ، وقد استطاع المماليك البحرية بقيـادة سيف الدين قطز ومساعدة ركن الدين بيبرس الانتصار على المغول فـي موقعـة عـين جالوت التي دارت بين المسلمين والمغول سنة 658 هـ / 1260م ([5])، كما أن بيبـرس استطاع مواجهة الصليبين وحاربهم حربا لا هوادة فيها واستولى سنة(663 هـ/1265م) على قيسارية ،ويافا، وعتليت، وأرسوف ،ثم صفد وتبنين والرملة ، كما حارب بيبـرس مغول فارس ودفع خطرهم عن بلاد الشام ،وبعد وفاته (676هـ/1277م)([6])، اسـتولى على الحكم سيف الدين قلاوون الذي امتاز عصره بالازدهار والقوة والاستقرار، والنهضة

---

[1] المقريزي .**الخطط** . ج3 ،ص346 -248 ؛محمد بن عبد الرحمن السخاوي .**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** .(القاهرة : مكتبة القدسي ،1936، 1938) ، ج10 ،ص 291 .

[2] نفس المصدر :ج3 ،ص 384 .

[3] ماجد .**طومان باي** . ص 27 .

[4] انظر ملحق رقم (1- أ) ، ص 207 .

[5] المقريزي . **السلوك**. ج1 ،ص 430-431 .

[6] فاروق فوزي عمر . **فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط** .(رام الله : دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1999) ،ص 219-222 .

في الداخل، والسـلام والأمـن فـي الخـارج، وعقـد هدنـة مـع الصـليبيين سـنة(682هـ/1283م)لمدة عشر سنوات وعشرة أشهر، توقف الطرفان بموجبها عن الاعتـداء على أرض الطرف الآخر ،مقابل تعهد الصليبيين بإبلاغ المماليك عن أي تحركات معادية يقوم بها المغول والفرنجة القادمون من أوروبا ،هذا مقابل السـماح للحجـاج النصـارى بحرية العبادة وضمان سلامتهم .إلا أن الفرنجة خرقوا الهدنة مما دعا سيف الدين قلاوون للزحف على عكا ولكنه توفي بسبب مرض ألم به(689 هـ /1290 م)ممـا حـال دون إتمام مهمته ،وقد استطاع الأشرف خليل بن قلاوون أن يكمل المهمة (690 هـ / 1291 م) حيث استولى على عكا من الصلبيين وهو الأمر الذي كان بمثابة الضـربة الكبـرى والقاضية لتواجد الصليبيين بالشام، حيث استطاع بعد ذلك المسلمون الاستيلاء علـى مـا تبقي في أيدي الصلبيين من مراكز قليلة مثل صور وصيدا وغيرهما([1]) . ثم تولى بعـد الأشرف خليل الذي كان آخر سلطان ببيت قلاوون، الناصر محمد بن قلاوون ،ثم خلفـه عدة سلاطين كان آخرهم الصالح حاجي بن شعبان(783 - 787 هـ / 1381 - 1385 م) ([2]).

2.المماليك الشراكسة(البرجية) (784 - 923 هـ / 1382 - 1517 م)

رأى السلطان المنصور قلاوون(762-764 هـ/ 1361-1363 م) أن تكون له فرقة جديدة من جنس جديد غير المماليك الموجودين بعصره يعتمد عليها ضد منافسيه من كبار الأمراء، وتكون سندا له ولأولاده من بعده فأعرض عن شـراء المماليـك الأتـراك

[1] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** . ج8 ،ص 6-9 ؛ المقريزي .**السلوك** .ج1 ،ص 765 ؛ فليب حتي . **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر** .ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة نقولا زيادة ،تنقيح جبرائيل جبور ،(بيروت:دار الثقافة ، 1972) ط2 ،ص 377 .

[2] انظر ملحق رقم (1 -أ)، ص 207 .

والتتار والتركمان، وأقبل على شراء المماليك الشراكسة الذين ينتمون إلى بـلاد الكـرج (جورجيا) وهى البلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود وبعد وفاة قلاوون حرص أبناؤه وأحفاده على إتباع سياسته في الإكثار من هؤلاء المماليك ، وقد عرفوا بالمماليـك الجراكسة أو باسم المماليك البرجية؛ وفرض عليهم المنصور قلاوون في أول الأمـر أن يمكثوا بأبراج القلعة حتى لا يختلطوا بغيرهم مـن طوائـف المماليـك وبالأهـالي([1]) ، وبمرور الزمن سمح لهم الأشرف خليل، من النزول من القلعة بالنهار علـى أن يعـودوا إليها قبل المغرب للمبيت، وبذلك استطاع المماليك البرجية الوقوف على أحـوال الـبلاد الداخلية، وأصبحوا مع مرور الزمن منافسا قويا للمماليك البحريـة ، وقـد بـدأ عصـر المماليك البرجية بالأمير برقوق الذي اشتراه الأمير " يلبغا الخاصكي " ثم أعتقه فصار من جملة اليلبغاوية وقد ظل يرتقي بفضل طموحه وذكائه إلى أن وصل إلى تقدمة ألـف، ثـم ولي منصب أتابك العسكر سنة 780 هـ / 1378م ثم أعلن نفسه سلطانا سنة 787 هـ / 1385م([2]) .

وقد ظل عصر المماليك الجراكسة أكثر من مائة وخمس وثلاثين سـنة (784 - 923 هـ / 1382 - 1517 م) تعاقب على عرش السلطنة ثلاثة وعشرون سلطانا منهم تسعة حكموا مائة وثلاث سنوات ارتبط بهم تاريخ دولة المماليك الجراكسة وهم الظـاهر برقوق ، وفرج بن برقوق ، والمؤيد شيخ ، الأشرف برسباي ، الظاهر جقمق ، والأشرف إينال ، وخشقدم ، الأشرف قايتباى ، وقانصوه الغوري ، بينما حكم أربعة عشر سـلطانا

---

[1] محمد ابن احمد بن إياس .**بدائع الزهور في وقائع الدهور** .تحقيق محمد مصطفى (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1960-1974)، ج2 ،ص 257-258 ؛ القلقشندي .**صبح الأعشى** .ج4،ص 458 .

[2] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الرابع ، 292 .

لمدة تسع سنوات فقط([1]) ،وكان أغلبية المماليك البرجية من الأكراد ،وقد رفضوا مبـدأ التوريث في الولاية ،وفي بعض الأحيان توالى ثلاثة منهم على الحكم في سنة واحدة هي السنة (824هـ / 1421 م)،وقل منهم من مات ميتة ربـه بسـبب الفسـاد والـدس والاغتيال التي سادت تلك الفترة ([2]) .

إلا أنه لم تلبث أن ساءت أحوال البلاد في أواخر عصر السلطان قايتبـاي بسـبب كثرة الأعباء المالية وانتشار مرض الطاعون بدولة المماليك سنة(897 هـ ـ / 1492م)، ووفاة السلطان قايتباي سنة(901 هـ / 1496 م)، ثم بدأ أمراء المماليك التنازع علـى الحكم،وقتل بعضهم بعضا إلى أن عين الأشرف قانصوه الغوري(906 هـ/1501م)الذي استطاع أن يعمل بسرعة على إعادة الأمن والاستقرار إلى الدولة، ثم اتجه إلـى إصـلاح الأزمة المالية التي مرت بالبلاد ،وقام بتشييد العديد من المباني والوكالات والربوع، كمـا عني بتحصين الإسكندرية ثم حدث بعد ذلك أن واجهت مصر أكبر عقبتين لهـا: الأولـى اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح سنة(892 هـ / 1487م) ،وأعقب ذلك تمكن " فاسكو دي جاما " من الوصول إلى الهند، عن طريق الطواف حول أفريقيا سـنة (904 هـ / 1498 م) ،وبذلك حول طريق التجارة العالمي من البحر الأحمر ومصـر إلى رأس الرجاء الصالح، فلم تعد مصر محل الوساطة التجارية بين الشـرق والغـرب، وبذلك فقدت سلطنة المماليك المورد الرئيسي لثروتها، ومن ثم بدأت في الذبول السـريع ([3]) . ثم ازداد الأمر سوءا بظهور الخطر الثاني الذي واجه سلطنة المماليك وهو اشتداد

---

[1] ملحق رقم (1ـب)، ص 208 .
[2] فليب حتي . **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** . ترجمة كمال اليازجي ،(بيروت : دار الثقافة،1959)، ج2 ،ص 273 .
[3] السيد الباز العريني . **المماليك** . (بيروت : دار النهضة العربية ،1967) ، ص 259-264 .

خطر العثمانيين الذين استطاعوا محاربة المماليك، وقتل الأشرف قانصوه الغـوري فـي معركة مرج دابق القريب من حلب بعد خيانة الأمير خاير بك له ، ثم اختير طومان بـاي سلطانا سنة(922 هـ / 1516م) ،وكان آخر سلاطين المماليك في مصر حيث استطاع العثمانيون بقيادة سليم الأول الدخول إلى مصر والاستيلاء عليها وبذلك بدأ حكـم الدولـة العثمانية سنة(923هـ/ 1517م) ([1]).

ثانيا:إدارة فلسطين في عهد المماليك

كان لمقتل الملك توران شاه وإنهاء الدولة الأيوبية في مصر أثارا بعيدة المدى لدى دولة أيوبيي الشام ؛ إذ أثار مشاعر الغضب والسخط والكراهية في نفوسـهم ، فارتفعـت أصوات الساخطين ، فجيشوا الجيوش وتوجهوا نحو مصر للإطاحة بالدولة الناشئة (دولة المماليك) . وبعد حروب ومصـادمات ، اتفـق الطرفـان علـى عقـد معاهـدة سـنة 651هـ/1253م ، تم الاعتراف بموجبها بالدولة الناشئة ، على أن تكون فلسطين ، بمـا فيها القدس حتى نهر الأردن ، للمماليك بينما تبقى الأجزاء الشمالية من بلاد الشـام فـي أيدي الأيوبيين بزعامة الملك الناصر يوسف ، صاحب دمشق ، والملك المغيـث عمـر ، صاحب الكرك ([2]).

في خضم الخلاف والصراع الدامي بينهما، تعرض العالم الإسـلامي لخطـر التتار ، حيث اجتاح هولاكو بغداد وقضى على الخلافة العباسية وصار الخطـر التتـاري يضغط على الأمراء الأيوبيين بشدة .الذين كانوا يعانون مـن الفرقـة والضـعف ، ولـم

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الرابع ، 292.
[2] المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل أبو الفداء . **المختصر في تاريخ البشر** . (القسطنطينية: المطبعة الشاهانية، 1869م) الجزء الثاني ,ص195 .

يحاولوا توحيد صفوفهم في وجه الخطر المدمر ،بالرغم من بعض المحاولات التي قام بها الملك الناصر يوسف حيث اتجه بقواته إلى غزة طالبا العون من المماليك ضـد المغـول بقيادة هولاكو تاركا دمشق من دون حماية ، الأمر الذي دفع بالكثير من أتباعه للهرب من دمشق باتجاه مصر. في ذاك الوقت اعتلى السلطان قطز عرش السلطنة المملوكيـة فـي الديار المصرية في 24 ذي القعدة 657هـ/12 تشرين ثاني 1259م ، ونادى بالاسـتعداد للجهاد ([1]) وخرج لمواجهة التتار بعد أن دخلوا دمشق ووصلت طلائعهم إلـى فلسـطين وعاثوا خرابا وفسادا في البلاد . التقى الطرفان في موقعة عين جالوت في 26 رمضـان 658هـ 3 أيلول 1260 م ([2]).واشتد القتال بينهما ، وانتهت المعركة بانتصار المماليـك الذين تمكنوا من وقف المد التتاري المدمر وطردهم من بلاد الشام ([3]) .

أ - تأسيس الوحدات الإدارية

انتصار المماليك على التتار في معركة عين جالوت أدى إلـى انقـرض الممالـك والإمارات الأيوبية في بلاد الشام ، ما عدا أمارة حماة، وأمارة حمص ، وأمارة الكرك . وبذلك انتهى النظام الإداري الأيوبي الذي أسسه الملك الناصر صـلاح الـدين الأيـوبي المعروف بالممالك أو الكيانات .وتقدم السلطان قطز إلى دمشق ، فنظر فـي أحوالهـا ، ورتب أمورها ، وجعل منها نيابة مستقلة على رأسها أمير برتبة كبيرة .وقسم البلاد إلـى نيابات ، وكل نيابة إلى عدد من الولايات ، وأصبحت معظم أراضي فلسطين من ناحيـة إدارية باستثناء المناطق الساحلية وبعض المناطق الداخلية التي كانت ما زالت تحت حكـم

---

[1] المقريزي . **السلوك**. ج1، ص417، ص429.

[2] احمد مختار العبادي . **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام** .(بيروت : دار النهضة العربية ، 1969) ص163 .

[3] ابن كثير . **البداية والنهاية**. ج 3 ، ص221؛ ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**.ج7 ، ص79 .

الفرنجة تتبع نيابة دمشق ، وكل مدينة كانت تحرر في فلسطين كانت تضم إلـى نيابـة دمشق . وظل الأمر كذلك إلى أن تمكن السلطان الظاهر بيبرس من تحرير مدينة صـفد من الفرنج سنة 664هـ/1265م . التي جعلها أول نيابة في فلسطين ، وعين الأمير عـز الدين ايبك العلائي نائبا عليها ، وجعل فيها أربعة وخمسين مملوكا من مماليكه ، واقطعهم في بلادها إقطاعا ، وقدم الأمير علاء الدين كندغدي عليهم ، وعين الأميـر مجـد الـدين الطوري واليا على قلعتها ([1]).

وفي 17 جمادى الأول 690هـ/18 أيار 1291 م ، تمكن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون من تحرير عكا من الفرنج ، وترتب على ذلك انهيار المقاومة الفرنجيـة فـي الساحل ، والتي مهدت فيما بعد لبسط سـيطرة المماليـك علـى : صـيدا ، بيـروت ، صور،حيفا ، وعتليت ، وانطرسوس ، وبذلك تحررت الأراضي الشـامية مـن سـيطرة الفرنجة بعد احتلال دام قرنين من الزمن ([2]) .

ونتيجة لذلك انقسمت فلسطين من ناحية إدارية بين نيابتين : نيابة دمشق ونيابـة صفد ، وظل الأمر كذلك حتى سنة 711هـ/ 1311م؛ عندما أسس السلطان الناصر محمد بن قلاوون نيابة جديدة في غزة ، وعين الأمير علم الدين سنجر الجـاولي نائبـا فيهـا . فأصبح النظام الإداري في فلسطين موزعا بين ثلاث نيابات : قسم يتبع نيابـة دمشـق ، الأجزاء الشرقية والوسطى منها كبيسان ،نابلس ،القدس ،الخليل دخلت في نيابـة دمشـق وبيت المقدس كانت لا تزال ولاية تابعة لنيابة دمشق ،وآخر يتبع نيابة صفد ، وثالث يتبع

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى .** ج 4،ص174 .
[2] ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة** . ج8،ص8 .

نيابة غزة ([1]) ، واستمر الأمر كذلك حتى سنة 796هـ/1393م ، حين جعـل السـلطان الظاهر برقوق من بيت المقدس نيابة مستقلة ، وعين الأمير قردم الحسيني نائبا عليها ([2])، وبذلك أصبح النظام الإداري في فلسطين يتكون من ثلاث نيابات :نيابة صفد في الشـمال ،ونيابة غزة في الجنوب والغرب،ونيابة بيت المقدس في الوسط ([3]).علما أن بلاد الشـام كلها كانت تتكون من ثماني نيابات طوال العصر المملوكي هي : نيابة دمشق ، نيابة حلب ، نيابة طرابلس ، نيابة حماة ، ونيابة الكرك ، ونيابة صفد ،ونيابة غزة ، ونيابـة بيـت المقدس ([4]).وتقسيم فلسطين إلى ثلاث نيابات في عهد المماليك يشير إلى اهتمامهم بها بعد تحرير بلاد الشام من الوجود الفرنجي . وقد خشي المماليك من عودة الفرنج إليهـا مـرة ثانية بعد سلسلة الهجمات التي قاموا بها ضد القوات المملوكية علـى السـواحل الشـامية انطلاقا من قبرص ، ومن الدويلات الإيطالية . هذا بالإضافة إلى خشـية المماليـك مـن التحالف الفرنجي التتاري الذي كان يهدد الحدود الشرقية لدولة المماليك ،مما قـد يمكـن الفرنج من استعادة الأراضي التي فقدوها في بلاد الشام ، وفي مقدمتها بيـت المقـدس . وفعلا تم ما تخوف منه المماليك ، حيث أقيم لهذه الغاية تحـالف بـين التتـار والغـرب الأوروبي ، ومملكة ارمينا الصغرى ، والقوى الفرنجية في بلاد الشام ([5]).فـي محاولـة منهم لإعادة سيطرتهم على فلسطين وبيت المقـدس بالـذات فغـزوة القبارصـة علـى الإسكندرية سنة 767هـ/1365م كان غرضها الوصول إلى بيت المقدس عـن طريـق

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ، المجلد الرابع ،ص 292 ؛انظر الملحق رقم (2) ص 209 .
[2] يوسف درويش غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي** . (عمان : دار الحياة ،1982) ،ص19.
[3] انظر ملحق رقم (3) ،ص 210 .
[4]ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة** . ج15 ،226 .
[5]غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص17 .

القاهرة ([1]). وبعد فشلهم في ذلك حولوا نشاطهم نحو بلاد الشـام ، فهـاجموا طـرابلس ونهبوها ، ثم هددوا بيت المقدس نفسه ، حيث اجتاحت قواتهم يافا . ولم يقف الأمر عنـد هذا الحد ، بل تسللت قوات لهم إلى القدس عن طريق الحج ([2])، لكنهم فشلوا في تحقيـق حلمهم.

لما أدرك السلطان الأشرف شعبان عظم الخطر الأوروبي على بيت المقدس ،عمد إلى رفع مرتبة واليها فجعله برتبة طبلخانة ([3])،وهي رتبة ثانية من الرتب العسكرية بعـد أمراء مقدمي الألوف وفي الغالب يكونون أربعين فارسا ، إلا أن الولاية بقيـت مرتبطـة بنيابة دمشق . وقد زود السلطان والي بيت المقدس بالقوات والعتاد كي يتمكن مـن صـد الأخطار التي تهدد المدينة المقدسة ، وقد ذكر المقريزي انه في سنة 796 هـ /1393م ، انعم السلطان الظاهر برقوق على الأمير قردم الحسيني بنيابة القدس ، وذلك فـي غـزة خلال توجهه لمحاربة التتار بزعامة تيمورلنك .وهذا النص الـذي أورده المقريـزي أول إشارة صريحة إلى تولية نائب لنيابة بيت المقدس من قبل السلطان في القاهرة([4]).

ومجير الدين الحنبلي يؤكد هذا الاستنتاج ، حيث ذكر أن تولية النيابة والنظر فـي بيت المقدس كانت تتم من قبل نواب الشام (لان نيابة القدس كانت نيابة صـغيرة تابعـة لدمشق) ، وبقي الأمر كذلك حتى نحو سنة 800هـ/1397م ، فأصبحت تولية النائب تتم

---

[1] هادية الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين** .(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،1994)،ص398-399 .
[2] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** . ج11 ،ص 15 ؛أبو اليمن مجير الدين الحنبلي . **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** . (عمان : مكتبة المحتسب ،1973) ، ج 2، ص282 .
[3] الطبلخانة : مصطلح فارسي يعني الفرقة الموسيقية السلطانية ، وكانت مرتبته تطلق على أرباب السيوف في العهد المملوكي وكانت تطلق على أمير الأربعين .القلقشندي .**صبح الأعشى**.ج4،ص15 ،ص28 .
[4] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص19 .

من قبل السلطان في القاهرة ([1]). وأصبح بذلك ثلاث نيابات في فلسطين ، وفي راس كل نيابة أمير برتبة كبيرة ، وفي كل نيابة إدارتها ومؤسساتها وقواتها العسكرية ،ومواردهـا المالية .

وهذا يناقض ما ذهب إليه المستشرقون أمثال برناد لويس وكوهن اليهوديين مـن أن فلسطين في العصر المملوكي كانت تتكون من نيابتين فقط هما : نيابة صـفد ونيابـة غزة ([2]) في محاولة منهم إثبات أن القدس لم تلق الاهتمام الكافي في العصور الإسـلامية ولم تكن عاصمة لدولة أو مركز حكم ولكن الدراسات الحديثة أثبتـت اهتمـام المماليـك بالمدينة المقدسة من خلال تأسيس نيابة مستقلة بها ،والاهتمام بتأسيس المنشات ،وتعيـين الأمراء الكبار ، وجعلها مركز حكم كغيرها من المدن المهمة في بلاد الشام ، بل فاقتهـا أهمية لمكانتها الروحية والدينية لدى الجميع . وتمكنت القدس بنائبها وقواتها أن تقف بقوة وحزم في وجه الأخطار والأطماع الفرنجية الأوروبية والتتارية معا([3]) .

وعلى هذا الأساس قسمت فلسطين في العصر المملوكي إلى ثلاث وحدات إدارية ، أطلق على كل واحدة منها اسم نيابة .

ب- حدود النيابات وولاياتها([4])

1- نيابة صفد

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل**. ج 2، ص282 .

[2] Cohen &Lewis, **Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century** (Princeton: Princeton University press,1978),p.9.

[3] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص 20-21 .

[4] انظر ملحق رقم (3) ،ص 210 .

تقع هذه النيابة في الجزء الشمالي من فلسطين وكانت تشتمل علـى أجـزاء مـن جنوب لبنان والجولان وأغوار الأردن ، وتتكون من إحدى عشرة ولاية ، على راس كل منها وال برتبة جندي يعينه نائب صفد ، وكانت هذه النيابة إحدى الممالك الســت التـي كانت تتألف منها بلاد الشام في العهد المملـوكي منـذ تـوليهم السـلطة وحتـى سـنة 664هـ/1265م، وهي مملكة دمشق ،مملكة حلب ، مملكة حمـاة ، مملكـة طـرابلس ، مملكة صفد ، مملكة الكرك ([1]). وحدود النيابة كانت متفاوتة ، فتارة تمتد إلـى منـاطق متباعدة ،وتارة تتقلص بحيث تشتمل على عدد اقل من الولايات .

وقد اختلف ابن فضل ا العمري في تحديد حدود هذه النيابة مع القلقشـندي([2]) ، وشيخ الربوة ([3])، وابن شاهين([4]) وغيرهم فقال : "حدها من القبلة الغور حيـث جسـر الصنبرة من وراء طبريا ،ومن الشرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبحيرة الحولـة .ومن الشمال نهر ليطا (نهر الليطاني الحالي في جنوب لبنان) ،ومن الغـرب البحـر " ([5]).ومن خلال تتبع أقصى الأعمال الصفدية في مختلف الجهات كما ورد عند ابن فضـل ا العمري ،وابن شاهين ،وشيخ الربوة والقلقشندي ، نجد أن حدود المملكـة فـي عهـد المماليك تبدو كما يلي : من الغرب : البحر المتوسط ، ومن الشمال : الحوض الجنـوبي لمجرى نهر الزهراني إلى الجنوب من صيدا، ثم باتجاه الشرق وبانحراف نحو الجنـوب حتى مرج عيون .ومن الشرق : من طرف مرج عيون الشرقي إلى نهر الحاصباني ، ثم

---

[1] أبو عبدالله محمد شيخ الربوة الدمشقي . **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** . (ليبزج : 1923) .ص210-213 .
[2] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4،ص151 .
[3] شيخ الربوة . **نخبة الدهر**.ص 201-212 .
[4] خليل بن شاهين الظاهري . **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** .(باريس :المطبعة الجمهورية ،1984)، ص 46-44.
[5] شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري .**التعريف بالمصطلح الشريف**. (القاهرة : مطبعة العاصمة ، 1894م).ص182 .

مجرى نهر الأردن حتى جسر الصنبرة . ومن الجنوب : من أطراف مرج(بـن عـامر الجنوبية باتجاه الغرب وبانحراف نحو الجنوب حتى شاطئ المتوسط عند قيسارية) ([1]).

أما الولايات التابعة لها فهي :

1. **ولاية برصفد** : وتسمى الزنار لإحاطتها بالمدينة من جميع الجهـات ، وكانـت هذه الولاية تضم سبع وثلاثين قرية ([2]) .
2. **ولاية تبنين وهونين** : وهما حصنان من جبل عامل يقعان بين بانياس وصور ، وكانت هذه الولاية تضم اثنتين وثلاثين قرية منها ([3])
3. **ولاية صور** : وهي مدينة حصينة على ساحل البحر المتوسط ، وتعتبر من أقدم المدن على الساحل ، وكانت تضم مجموعة قرى بلغ عددها سبع وعشرين قريـة منها ([4])
4. **ولاية الشقيف** (شقيف ارنون) : قلعة حصينة بين دمشق والساحل تقـع إلـى الجنوب الشرقي من بيروت ، وكانت هذه الولاية من اكبر الولايـات الصـفدية ، وكانت تضم أربع وثلاثين قرية ([5]).
5. **ولاية الإقليم** : وهي كورة تقع بين دمشق والشغر والخربة ، فيها قرى متسـعة وليس فيها مقر ولاية ولم يرد ذكر لها إلا عند القلقشندي ([1]) وبلغ عـدد القـرى التابعة لها اثنتا عشرة قرية ([2]).

---

[1]طـه ثلجـي الطراونـة . **مملكـة صـفد فـي عهـد المماليـك** . (بيـروت : دار الآفـاق الجديـدة، 1981)ص 71 ؛ هيئـة الموسـوعة الفلسطينية .**الموسوعة الفلسطينية** .(بيروت : مطبعة ميلانو ستاما- ايطاليا ،1990) القسم الثاني ،المجلد الثاني ،ص566- 557 .

[2]الطراونة . **مملكة صفد** . ص 90- 95 .

[3] نفس المصدر : ص 96-100 .

[4] نفس المصدر : ص 100-104 .

[5] نفس المصدر : ص 105-109 .

6. **ولاية عكا** : ومدينة عكا تقع على ساحل البحر المتوسط ، تبعد عن مدينة صفد 24ميلا ، وكانت قاعدة هذا الساحل قبل صفد ، ثـم أقيمـت صـفد مقامهـا ، وأصبحت عكا ولاية ، وكان يتبع هذه الولاية مجموعة قرى بلغ عـددها سـبع وعشرين قرية ([3]).

7. **ولاية الشاغور**: وهي كورة ، تقع بين عكا وصفد والناصرة ، فيها قرى متسعة ، وليس فيها مقر ولاية معلوم، وكانت هذه الولاية تقسم إلى قسـمين : شـاغور البعنة في الشمال ، وشاغور عرابة في الجنوب يفصل بينهما وادي الشـاغور ، وشمل شاغور البعنة على مجموعة قرى بلغ عددها ست عشر قريـة ([4]). أمـا شاغور عرابة فكان يضم عدد اقل من القرى بلغ عددها ثلاث عشرة قرية ([5]).

8. **ولاية الناصرة** : والناصرة بلدة صغيرة تبعد عن طبريا 13 ميلا ، تقـع فـي الجليل الأسفل وتشرف على سهل مرج ابن عامر. وصفها ابن شاهين الظـاهري بأنها قرية في مملكة صفد من القرى الكبيرة نظيرة المـدن ([6]) . وكانـت هـذه الولاية تضم تسع قرى ([7]).

9. **ولاية عتليت**: وتقع عتليت على ساحل البحر إلى الجنوب من حيفا ، بين قاقون في الجنوب ،وعكا في الشمال([8]) ،وهي كورة فيها قرى متسعة وهي أخر حدود

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4، ص153 .
[2] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 109- 110 .
[3] نفس المصدر : 113-115 .
[4] نفس المصدر : ص 116-118 .
[5] نفس المصدر : ص 118-119 .
[6] ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك**. ص 44 .
[7] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 120-121 .
[8] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4 ، ص 151 .

نيابة صفد وليس فيها مقر ولاية معلوم ، وكانت تضم مجموعة من القرى بلـغ عددها ثمانية عشرة قرية ([1]).

10. **ولاية طبريا** : تقع مدينة طبريا في غور الأردن على بحيرة طبريا ، وتتبعهـا قدس ، وكان معها الجولان وبيسان من غور الأردن ، فقدت الكثير من أهميتها في العهد المملوكي بسبب ما أصابها من تدمير وخراب ، وكانت هـذه الولايـة تضم مجموعة من القرى بلغ عددها تسع وعشرون قرية ([2]).

11. **ولاية مرج ابن عامر** : كانت هذه الولاية تقسم إلى قسمين الأول غربي وكـان مركزه اللجون ، والثاني شرقي وكان مركزه جنين ([3]) . اللجون : وهي قريـة قديمة تقع في جنوب سهل مرج ابن عامر إلى الغرب مـن جنـين علـى خـط المواصلات بين دمشق والقاهرة ، وكان يتبعها مجموعة من القرى بلغ عـددها عشرة ([4]). ولاية جنين، تقع إلى الشمال من نابلس في الطرف الجنوبي من مرج ابن عامر ، وهي مدينة قديمة متسعة ، تقع على كتف واد لطيف ، وكان يتبعها عدد من القرى بلغ عددها أربع عشرة قرية ([5]) .

2. نيابة غزة

تقع هذه النيابة في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد الشام ، وامتازت بموقعهـا المتوسط بين مصر وبلاد الشام . أما فيم يتعلق بحدود النيابة في العهد المملـوكي فإنهـا

---

[1] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 122- 126 .
[2] نفس المصدر : ص 132-136 .
[3] نفس المصدر :ص 126 .
[4] نفس المصدر: ص 126-128 .
[5] نفس المصدر : ص 129-130 .

اتصفت بالتارجح وبعدم الثبات كغيرها من نيابات بلاد الشام حسب ما كان يتمتع به النائب من قوة أو ضعف .فغالبا ما كان حدها يمتد من قرية يبنا شمالا ، وخط البريـد الواصـل بين السكرية ورفح جنوبا ، وقرية عجور شرقا ، والبحر المتوسط غربا .وفـي حـالات أخرى فكان حدها من الشمال قاقون ،ومن الشرق الخليل ، ومن الغرب البحر المتوسط ، وأما في الجنوب فتمتد إلى سيناء ومنطقة النقب ، وتنتهـي فـي العـريش أول الـديار المصرية ([1]).

اشتملت نيابة غزة على الولايات التالية :

1. **ولاية الرملة** : وتقع مدينة الرملة في سهل من الأرض ، والمسافة بينهـا وبـين القدس مسيرة يوم ، وميناؤها على البحر المتوسط مدينة يافا التي تقع إلى الغـرب من الرملة على بعد 6 أميال ، لكن هذه الولاية خرجت عن نيابة غزة فيمـا بعـد وضمت إلى نيابة بيت المقدس ([2]).
2. **ولاية لد**: تقع مدينة اللد إلى الشمال الشرقي من الرملة ،وهي مدينة قديمة ،وقـد فصلت فيما بعد عن نيابة غزة وضمت إلى ولاية الرملة.
3. **ولاية قاقون**:تقع هذه المدينة اللطيفة غير المسورة إلى الشمال الغربي من طولكرم ،والمسافة بينها وبين لد مسيرة يوم ([3]).

---

[1]شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري . **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . دولة المماليك الأولى** . تحقيق دوروتيا كرافولسكي .(بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ،1986) ص216؛ العمري . **التعريف بالمصطلح الشريف** .ص176 .
[2] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي**. ص 403 .
[3]القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4،ص99-100 .

4. **ولاية بيت جبرين**: وبيت جبرين حصن من حصون بيت المقدس ، تقع بين بيت المقدس وغزة([1])، وأصبحت في عهد المماليك محطة من محطات البريد بين غزة والكرك ([2]) .

5. **ولاية الداروم**(دير البلح) ([3]) : وهي أحدى القلاع الفرنجية ، استعادها صلاح الدين بعد معركة حطين وتمكن الفرنجة من استعادتها عقب صلح الرملة في عام 589هـ /1193 م. ([4])، واتخذها المماليك فيما بعد محطة للبريد بين غزة ومصر([5]) .

ومن مدن نيابة غزة وأعمالها الساحلية عسقلان ، ويافا ، وقيسارية ، وارسوف ، والعريش ، ومن المدن أيضا قدس ، وحويرق، والخلصة ، والخلوص والسبع ، والمدرة ... ومن أعمالها المتوسطة بين الجبل والساحل تل الحمار وتل الصافية ، وقرتيا التي اعتبرت ولاية يتبعها العديد من القرى بالإضافة إلى مدينة الخليل ، وبيت المقدس ، وكل واحدة من هذه المدن عليها والي ويتبعها عدد من القرى .وكان لنائب غزة صلاحيات ذاتية في تعيين الولاة والعزل في ولايات مثل قرتيا ، وبيت جبرين ، والداروم ([6]) .

3. **نيابة بيت المقدس**

---

[1] احمد سامح الخالدي . **أهل العلم والحكم في ريف فلسطين** .(عمان : منشورات دار الثقافة والفنون ،1968) .ص 51-52 .
[2] العمري .**التعريف بالمصطلح الشريف** .ص 191 .
[3]القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4 ، ص199 .
[4] بهاء الدين يوسف بن شداد . **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** . تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1964) ، ص 210 .
[5]القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج14 ،ص378 .
[6]محمود علي خليل عطا الله . **نيابة غزة في العهد المملوكي** . (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1979) ص 64-66 .

بعد أن أصبحت القدس نيابة في العام 796هـ/1393م اتسعت وأصبحت تشمل المنطقة المحيطة بالقدس الرملة ونابلس والخليل وامتدت من البحر الشامي(المتوسط) إلى مدائن لوط عرضا ، وتتصل حدودها إلى أول قاقون ([1]) .

ولايات بيت المقدس:

1. **ولاية الخليل** : تقع مدينة الخليل إلى الجنوب من بيت المقدس في واد بين الجبال ، وكان واليها يتولى في أحيان كثيرة نيابة بيت المقدس وناظر الحرمين في القدس والخليل ([2]).
2. **ولاية الرملة** ([3]): تبعد مدينة الرملة عن القدس مسافة 18 ميلا ، وتقع في منطقة خصبة تحيط بها المزارع والحقول ، وكانت هذه الولاية موضع نزاع بين نيابة غزة ونيابة بيت المقدس ففي أحيان كانت تابعة لغزة وفي أخرى كانت تابعة للقدس ، ولكن في أواخر دولة المماليك صدر مرسوم سلطاني بضم كشف الرملة إلى نيابة بيت المقدس ([4]).
3. **ولاية نابلس** : تعد نابلس من اشهر مدن فلسطين، تبعد عن القدس مسافة 66كم، وكان والي نابلس برتبة أمير طبلخاناه وأحيانا من أمراء العشروات أو العشرينات

---

[1] العمري. **التعريف بالمصطلح الشريف** .ص177 .
[2] غوانمة . **نيابة بيت المقدس**. ص 58 .
[3] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4،ص199-200 .
[4] مجير الدين .**الأنس الجليل**.ج2،ص 373-375 .

،ولذلك كان يسمى كاشف نابلس ([1]) ويتم تعينه من قبل نائب القدس وليس من قبل السلطان ([2]) .

نستنتج مما تقدم أن كل من هذه الولايات كان يحكمها أمير أو كاشف يعين من قبل نائب بيت المقدس يساعده بعض الأجناد في حفظ الأمن والنظام في الولاية.

ج- الوظائف الإدارية

قسمت الوظائف الإدارية إلى ثلاثة أنواع : الوظائف العسكرية أو وظائف أرباب السيوف ،والوظائف الديوانية ،أو وظائف أرباب الأقلام، والوظائف الدينية([3])وهي علـى النحـو الآتي :

الوظائف العسكرية

1. نائب السلطنة :

وهي أولى الوظائف العسكرية في النيابات ويتولاها نائب السـلطنة أو الكافـل ([4]). وجرت العادة أن يكون النائب أميرا برتبة كبيرة ، مقدم ألف . أضف إلى ذلـك أن كـل نيابة كان فيها عدد من أمراء الطبلخانات ، وأمراء العشرات ، وأمراء الخمسات يعاونون نائب السلطان في إدارة وحكم الولاية ([5]).

[1] الكاشف : مصطلح يطلق على الشخص الذي يتم تعينه من قبل النائب لكي ينوب عنه في حكم الولاية .وكان من يتولى هذا المنصب برتبة طبلخانة ، مهمته الإشراف على الجسور والأراضي الزراعية وقنوات الري ، والمحافظة على الأمن والنظام ؛ الدجاني .**الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 423-424 .

[2] القلقشندي .**صبح الأعشى**. ج4 ، ص200 ؛ مجير الدين .**الأنس الجليل** . ج2 ، ص 272 .

[3] نفس المصدر: ج4 ، ص184 .

[4] ابن شاهين الظاهري . **زبدة كشف الممالك** .ص44 ؛ القلقشندي .**صبح الأعشى** . ج4 ،ص184 .

[5] القلقشندي. **صبح الأعشى**.ج4، ص198 .

وكان نائب السلطنة يمثل السلطان في المملكة ، ويقوم مقام السـلطان فـي عامـة الأمور . وترتبط بهذه الوظيفة كافة الدواوين والوظائف الأخرى . ويعلم صـاحب هـذه الوظيفة على التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك من الأمور المتعلقة بنيابته ([1]). وكانت له إدارة خاصة به وخاتم خاص بنيابته ، وكان يقيم في قصر خاص سمي بدار النيابـة . وكان له مساعد يتولى مهمة الأشراف على شؤون إقطاعياته وفلاحيه الذين يعملون فـي هذه الإقطاعات ، ويشرف أيضا على أمور بيته ونفقاته([2]) . ومن مهماتـه النظـر فـي الأحكام الشرعية ، تفقد حال الرعية ، ورعاية الموظفين، ورعاية الأوقاف ،وعمارة البلاد وتحسينها، واستطلاع الأخبار وإبلاغ المركز بها ، وحماية الثغور ، وإقامة العدل، والنظر في القرى والغلات ، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها ، وتولية المناصب لأهلها ، وتعيـين فقيه في كل قرية ليعلم أهلها أمور دينهم([3]) ، والنظر في أمر المفسدين من قطاع الطرق وأهل الفتن ، وحل المنازعات التي تحدث بين القبائل البدوية ([4]).

إلى جانب ذلك كان النائب يقدم بعض الهدايا للسلطان في كل عام لكسب رضـاه ، هذا عدا عن الأموال التي كان يقدمها إلى خزينة السلطان .

نستنتج مما تقدم أن النائب كان بمثابة سلطان مختصر في نيابته ([5]).حيث وجد في النيابة معظم الوظائف الموجودة في مقر السلطنة نفسها ،وأعطي للنائب اسـتقلالية فـي معظم الشؤون الداخلية المتعلقة بنيابته : الإدارية ،والمالية والعسكرية ، فهو المتصـرف

---

[1] نفس المصدر : ج4 ، ص16 .

[2] تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي . **معيد النعم ومبيد النقم** .تحقيق محمد علي النجار وزملائه .(القاهرة : دار الكتاب العربي بمصر ، 1948) ، ص27 .

[3] السبكي . **معيد النعم**. ص 21-22 .

[4] نفس المصدر: ص21-23 .

[5] العمري . **مسالك ألا بصار**.ص114-115 .

المطلق في كل أمر ([1])،إلا أن جيش النيابة كان جزء من جيش الدولة العام ، فـي حـال الاحتياج له في أي مهمة عسكرية . باختصار كان النظام الإداري المملوكي أشـبه بمـا نسميه اليوم بالنظام اللامركزي.

2. نائب القلعة :

وجدت وظيفة نائب القلعة في كل من قلعتي صفد وبيت المقدس ، ولم تكـن هـذه الوظيفة موجودة في غزة . وكانت نيابة القلعة كانت مستقلة عن نيابة السلطنة ، وتكـون التولية فيها من السلطان في القاهرة بمرسوم شريف . ويختار نائب القلعة عادة من بـين مقدمي الألف أو أمراء الطبلخاناة ([2]).وكان من اختصاص نائب القلعة ، صـيانة القلعـة وحفظها وعمارتها ، أو ما تدعو الحاجة إليه من تجديد أبنيتها ، وتشييد أفنيتهـا ، وشـد عقودها. وحفظ الذخيرة الحربية فيها ولا يخرج منها شيئا إلا في أوقات الحاجـة . كمـا تولى المحافظة على الخزانة السلطانية وكان يصرف جانبا من الميزانيـة علـى شـراء وتوفير الأسلحة والمؤن . ومن مهام نائب القلعة أيضا غلق أبواب القلعة عنـد غـروب الشمس وفتحها بعد الشروق ، مع احتفاظه خلال ذلك بالمفاتيح ([3]).وكان لنائـب القلعـة أجناد ومماليك يقيمون في القلعة مهمتهم القيام على حفظها ، ويشكلون قسما مـن جـيش النيابة . وكان النائب يرتب جماعة منهم لحراسة القلعة ، حماية لأسـوارها مـن عبـث المتسللين ، كما كان لا يسمح لأحد من رجال القلعة بمغادرتها إلا بإذن خاص ، وبشـرط أن يعود في يومه . وكان النائب يرتب في القلعة طبلا لاستعلام أوقات الليل ، ففي الثلث

---

[1] نفس المصدر : ص115 .
[2] نفس المصدر :ص150،185.
[3] نفس المصدر : ص 185 ؛ العمري . **التعريف بالمصطلح الشريف** . ص 95، 96.

الأول من الليل يضرب عليه ضربة واحدة ، وفي الثلث الثاني ضـربتين ،وفـي الثلـث الأخير ثلاث ضربات ،حتى يؤذن الصبح . وكانت تتكرر هذه الضربات في أوقات محددة ([1]).

ولكن هذه العادة توقفت في أواخر أيام المماليك حيث يعبر مجير الدين الحنبلـي عن أسفه لتوقف هذه العادة بقوله " وكانت تدق فيها الطبلخانة في كل ليلة بـين المغـرب والعشاء على عادة القلاع بالبلاد وقد تلاشت أحوالها في عصرنا وتشعثت وبطل منها دق الطبلخانة وصار نائبها كآحاد الناس لتلاشي الأحوال وعدم إقامة النظام([2]) .

وكان نائب القلعة بمثابة عين السلطان على نائب السلطنة وعلى جميـع مـوظفي الإدارة في النيابة وأعمالها ، ولهذا وضع البريد الطائر (الحمام الزاجل) فـي تصـرفه لإبلاغ السلطان في القاهرة عن كل جديد كلما دعت الضرورة ([3]).

وكان نائب القلعة يقيم في دار خاصة به داخل القلعة نفسها . وكانت القلاع عـادة ضمن أسوار المدينة ، كقلعة بيت المقدس، أو في مكان قريب من المدينة يتميز بالحصانة ، كقلعة صفد ([4]).

3. والي المدينة (صاحب الشرطة):

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث ،وكان يطلق علـى متوليهـا فـي العصور الإسلامية السابقة صاحب الشرطة([5]) ،وقد تولاها موظف أطلق عليه اسم الوالى

---

[1] القلقشندي. **صبح الأعشى**.ج4 ، ص185 .
[2] مجير الدين .**الأنس الجليل**. ج2.ص55 .
[3] العمري . **التعريف بالمصطلح الشريف** . ص96 .
[4] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص406 .
[5] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**.ص 33 .

، وغالبا ما كان الوالي من أمراء العشرات([1]) .ومن اختصاصاته المحافظة على الأمـن ومطاردة اللصوص والمفسدين ، ومراقبة الخمارين وغيرهم ممن يسـيئون التصـرف ، والمحافظة على أموال الناس وأرواحهم . وكان له الحق في جلد المخالفين من السـكارى بالعصا ([2])، والفحص عن المنكرات من الخمر والحشيش ونحو ذلك ، وسد الذريعة فيـه ،وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم ([3]).ولم يكن يسمح لوالي المدينة التجسس على الناس بحجة البحث عن المنكر في بيوتهم ، ومنع أيضا من هتك حرمـة بيـوت النـاس وإرعـابهم وإزعاجهم واخذ أموالهم باسم القضاء على المنكر . ولم يسمح للوالي إيقاع العقاب بمجرد التهمة والظن ([4]).

4. الحاجب :

كانت هذه الوظيفة سائدة في نيابات فلسطين الثلاث في العصر المملوكي ، وكـان في كل منها حاجب أو أكثر ، فكان في صفد ثلاثة حجاب أكبرهم برتبة طبلخاناه ، وهـو حاجب الحجاب ، والحاجبان الآخران كان كل منهم برتبة أمير عشرة ([5]).وفي غزة كـان حاجب برتبة أمير طبلخانة ([6])، أما نيابة بيت المقدس فكان فيها أمير حاجب ، والظـاهر أن مهمات خاصة أسندت إليه في القدس ، فمجير الدين الحنبلي يقول :" وكـان بالقـدس

---

[1] السبكي . **معيد النعم**. ص 43.
[2] نفس المصدر : . ص43- 44 .
[3] نفس المصدر :ص43 .
[4] نفس المصدر : ص 44-45 .
[5] نفس المصدر : ص233 .
[6] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4، ص 198 .

أمير حاجب على عادة غيره من البلاد ، وكان يحكم بين الناس ، ويرفـع إليـه الأمـور المتعلقة بأرباب الجرائم وغيرهما مما يرفع إلى حكام الشرطة " ([1]).

وكان اختصاص صاحب هذه الوظيفة حجب العامة عن السلطان ، ويغلق بابه دونهم ، أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته ([2]).وتقديم من يرد إلى النائب والاستئذان لهم . كما كان يقوم بتصريف شؤون النيابة في فترات استبدال النواب ([3]).

5. الدوادار :

وجدت هذه الوظيفة في نيابة بيت المقدس وغـزة ، لكنهـا لـم تكـن موجودة في نيابة صفد ويذكر السبكي أن هذه الوظيفة كانـت قـديما تسـمى الحاجـب ([4]).وصاحبها يقوم بإبلاغ الرسائل عن النائب، وإبلاغه عامة الأمور ، وتقديم القصص والشكاوي إليه ،والمشاورة فيمن يحضر لمقابلته([5]) . ومن مهماته أيضا تقديم البريد إلى النائب ، وتقديم الدواة لأخذ خطه على عامة المناشير والتواقيع والكتب الصادرة من نائب السلطنة ([6]).وكان النائب يكلفه بمهمات حربية . ففي سنة 899هـ /1494م كاف الأميـر جان بلاط نائب القدس الأمير جانم دوادار القدس مهمة في قرية بيت لقيا ، فقتـل هنـاك بإيعاز من نائب غزة بسبب خلاف وقع بين النائبين ([7]).

6. المهمندارية :

---

[1] مجير الدين. **الأنس الجليل**. ج2، ص281 .
[2] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4،ص 19 .
[3] نفس المصدر :ج4،ص19 ؛ السبكي . **معيد النعم.** ص 40 .
[4] السبكي. **معيد النعم**. ص25 .
[5] الطراونة . **مملكة صفد** . ص 136 .
[6] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4،ص19 .
[7] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2،ص 371 .

وجدت هذه الوظيفة في نيابة غزة ونيابة صفد وعرف صاحبها باسم المهمنـدار ، واقتصر عمله على تلقي الرسل القادمين إلى النائب وأمراء العربان وغيرهم ممن يرد إلى النيابة من بلاد أخرى ، فينزلهم في دار الضيافة ، ويشرف على تدبير القيام بأمرهم ([1]).

ويشترط في المهمندار أن يعتمد مصلحة المسلمين ، ويرهب القصاد ويوهمهم بقوة المسلمين وشدة باسهم ، وعظيم سطوتهم ، واتفاق كلمتهم ([2]).وكان يعامل الواردين إلـى النيابة بحسب مراتبهم ، وكان ينهي أمور القصاد إلى النائب بمقدار ما يكون فيه المصلحة ، فيبادر أحيانا إلى إكرام بعضهم ، ويكف عن إعظام آخر ، بحسب ما تقتضيه المصـلحة العامة([3]) .

7. نقيب النقباء :

وجدت هذه الوظيفة في نيابة غزة فقط ،وكان يشغل هذا المنصب نقيبـان أحـداهما للميمنة والآخر للميسرة ([4]).وعادة ما يكونوا أمراء عشرة ، أو جنود حلقة ، أمـا نقيـب النقباء فيكون أمير طبلخاناه ([5]). ويقف النقباء عادة على أبـواب النائـب أو الحاجـب ، ويطلب منهم إحضار شخص معين ، أو النظر في أمور معينة والتحقق منهـا . وعلـى النقيب أن يترفق بمن يطلبه ، وان يترفق في حل الأمور ، ويستخدم اللين بحيث لا يسبب زيادة الأمر سوءا ،أو يؤدي إلى غضب الأمير أو حدته ([6]).

8. الاتابكية:

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى.** ج4، ص187 ، ج5 ، ص459 .
[2] السبكي . **معيد النعم**. ص31-32 .
[3] نفس المصدر : ص32 .
[4] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4 ،ص186، 198.
[5] نفس المصدر : ج4 ،ص186 .
[6] السبكي. **معيد النعم**. : ص42 .

وجدت هذه الوظيفة في نيابتي صفد وغزة ، ولم تكن موجودة فـي نيابـة بيـت المقدس ([1]). ويسمى صاحبها اتابك العساكر ، ومعناه الأب الأمير ، أو الأب السـيد([2]) ، والمراد بذلك أبو الأمراء ، وهو اكبر الأمراء المقدمين بعد نائب السلطان . وليس للاتابك وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي ، لكن غاية هذا اللقب رفعة المحل وعلو المقام إي أنها لقب فخري([3]) .

9. شد الدواوين :

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث وخصوصا فـي القيسـاريات ودور الوكالة المعدة للتجار الأجانب . وكان صاحب هذه الوظيفة مهمتـه اسـتخراج الأمـوال السلطانية من المكوس المترتبة على السلع المباعة داخل هذه الوكالة ويقدمها إلى النائب . كما كان يقوم بتحصيل الأموال ممن يعسر استخلاصه منه . ومن تولى هذه الوظيفة كـان أمير عشرة ، وفي أحيان جنديا من جنود الحلقة([4]) .

10. شد الأوقاف :

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث وكان يتولاها أمير عشـرة وربمـا طبلخاناه([5]) .واختصت هذه الوظيفة في الأشراف على أوقاف المسلمين واحباسـهم فـي صفد وغزة . أما في نيابة بيت المقدس فمسؤولية الأوقاف فيها كانت مـن اختصـاص

---

[1] نفس المصدر :ص 331، 337 ؛ ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**.ج16 ،ص20 .
[2] القلقشندي .**صبح الأعشى**. ج6 ،25 .
[3] نفس المصدر : ج4،ص 18 .
[4]نفس المصدر :ج4، ص22،ص186 .
[5] نفس المصدر : ج4،ص 186، 234 ، 240 .

ناظر الحرمين الشريفين ، حيث يقوم باستثمار عائدات تلك الأوقاف في مصلحة الحرمين الشريفين ([1]).

11. خزندارية القلعة :

وجدت هذه الوظيفة في نيابة صفد ونيابة بيت المقدس ،وكان صاحب هذه الوظيفة يعنى بحفظ وصيانة خزائن الأسلحة في القلعة . واشترط في متوليها أن يكون أمينا ، وألا يماطل أحدا حقه ، بل يؤديه إليه ميسرا ([2]). وأصحاب هذه الوظائف مختصين بالتشاريف والخلع السلطانية في القلعة ، وعددهم أربعة طواشية ، بعضهم أعلى رتبة مـن بعضـهم الآخر ،الأول برتبة طبلخاناه أو أمير عشرين ، والثاني دونه، والثالث دونـه ، والرابـع دونه ولكل منهم توقيع من نائب السلطنة ([3]).

12. أمير اخوارية البريد :

وجدت هذه الوظيفة في النيابات الثلاث ونواحيها، وكانت مهمـة أصـحاب هـذه الوظيفة العناية بخيول البريد.ومن تولى هذه الوظيفة كان أمير برتبة أمير عشرة ([4]).

13. تقدمية البريد**:**

وجدت الوظيفة هذه في نيابات فلسطين الثلاث ،وكان يتولاها صـاحب البريـد ، وكان أحيانا يتولاها شخص أو شخصان يكونان برتبة أمير عشرة أو أمير خمسة ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم من النائب نفسه([5]) .واهتم صاحب هذه الوظيفة (صاحب البريـد)

---

[1] المقريزي. **السلوك**.ج4، ق1،ص81 .
[2] نفس المصدر : ج4،ق1، ص81 .
[3] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4، ص186 .
[4] نفس المصدر : ج4، ص187،240 .
[5] نفس المصدر :ج4، ص188 ،ص240 .

بجماعة البريد الذين كانوا يحملون رسائل السلطان أو النائب وكتبه ، في النيابات الثلاث ، لأخباره بما يجري وإيصال الأخبار إلى المركز([1])، واشترط في البريدي أن يكتم الأسرار ،وألا يكون فضوليا ،وان يكون صادقا عادلا ([2]).

14. ولاية البر :

وجدت هذه الوظيفة في نيابة صفد ونيابة غزة ، وكانت تعنى ولاية البر في الغالب بالمنطقة الصحراوية وسكان الصحاري من القبائل البدوية المحيطة بكل من صفد وغزة ، إلا أن غزة كانت ولاياتها أكثر اتساعا ، حيث اشتملت على أجزاء من سـيناء ومنطقـة النقب جنوب فلسطين ، ولم توجد هذه الوظيفة في نيابة بيت المقدس ([3]).

الوظائف الديوانية

1. ناظر النيابة أو المملكة :

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاثة في العصر المملوكي ، وكانت من ارفع وأعلي الوظائف الإدارية في النيابة . وكان الناظر يعين بمرسوم يصدره السـلطان من القاهرة ([4]) ، وكان يتولى الإشراف على دواوين النيابة ،وكانت مهمته استشارية أكثر منها تنفيذية .

2. ديوان الإنشاء:

وجد في كل نيابة ديوان إنشاء. وكان يتولاها " كاتب السر" في كل من نيابة صـفد ونيابة غزة ، أما نيابة بيت المقدس فكان يتولاها " كاتب الدرج أو كاتب الدست " . فهـو

---

[1] نفس المصدر : ص 187 .
[2] السبكي . **معيد النعم** ،ص33 .
[3] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4،ص198 ؛ عطاالله . **نيابة غزة** ،ص133 .
[4] نفس المصدر : ج4 ،ص188؛ ج9،ص257 .

الذي يطلع على أسرار النائب ، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعـزل ، إذ انـه يعلـم بجميع المكاتبات والردود على الكتب الواردة إلى النيابة ([1])، ذلك لأنه هـو الـذي يقـوم بقراءة الكتب الواردة على النائب ، وتفهيمه إياها ، وكتابة أجوبتها ، واخذ خـط النائـب عليها . وكان يفترض أن يكون صاحب هذه الوظيفة على معرفة تامة بالآيـات القرآنيـة الكريمة ،والأحاديث النبوية ومداولاتها ،وملم بسيرة الأولين وبالحكم والأمثـال ،وبوقـائع العرب ،وان يكون على درجة من الفصاحة والبلاغة([2]) .

بالإضافة إلى ذلك كان يقوم صاحب هذا الـديوان بتصـريف المراسـيم الـواردة والصادرة عن النيابة ، والجلوس في دار العدل لقراءة القصص والتظلمات الواردة مـن الأهالي ([3]).وإذا تولى ديوان الإنشاء كاتبا للسر ، فعندئذ يساعده في مهماته كاتب دسـت واحد أو أكثر .وكان السلطان يحرص على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ، كي يطلعه على أسرار وأمور النيابة ، وما يحدث فيها مما قد يخفيه النائب عن السلطان ([4]).فهو إلى جانب عمله الأصلي كان عينا على النائب ، وكان يخبر السلطان بكل خبـر قريب أو بعيد بواسطة البريد ([5])الذي كان يرتبط بديوان الإنشاء وبكاتب السر مباشـرة. وقد نظم الظاهر بيبرس عمل البريد تنظيما دقيقا حتى أصبح الخبر يرد من القاهرة إلـى دمشق في أربعة أيام ويعود بمثلها([6]) ، الأمر الذي مكنه من الإطلاع على جميع ما يجري في أنحاء السلطنة ،معتمدا على ثلاثة أنظمة للبريد: النظام الأول المنـاور وتتمثـل فـي

---

[1]السبكي. **معيد النعم**. ص30؛ القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج5،ص465 .
[2] صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . **الوافي بالوفيات** .(بيروت : مطبعة صادر ،1971-1972) ج8، ص 19-20 .
[3] القلقشندي . **صبح الأعشى.** ج11،ص294؛ ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**. ج15، ص 214 .
[4]نفس المصدر :ج9، ص258 .
[5]نفس المصدر :.ج11،ص314 .
[6] محي الدين بن عبد الظاهر . **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** . تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض : 1976) ،ص95 .

إشعال نيران في قمم الجبال أثناء الليل لإرشاد البريدية ([1]) وكانت مملكة صـفد تحـوي ثلاثة مناور واحد في جنين يرفع ويرى منه بجبل فحمة حيث المنور الثاني ،ثم يرى منـه بمشارف قاقون حيث المنور الثالث ،ثم يرى بأطراف أعمال نابلس ، ومنها إلى غزة ،ثـم إلى الديار المصرية ([2]). النظام الثاني اعتمد على الحمام الزاجل في نقل الأخبار المهمة أثناء النهار . وقد انشاؤا أبراجا خاصة بذلك وخداما ومرتبـات لـه وللقـائمين علـى أمره([3]).أما النظام الثالث فهو البريد العادي الذي يعتمد على الخيل في نقل الأخبار . حيث نظمت محطات للبريد ، وزودت بكل ما يحتاج إليه البريدية من ماء وطعـام وأعـلاف لخيولهم ([4]) .

3. ناظر ديوان الجيش:

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث ، وكان يتولى هذا الـديوان نـاظر الجيش الذي كان يتم تعينه بمرسوم سلطاني من القاهرة ، ومهمته كانت تنحصر في ضبط ألاقطاعات الخاصة بالنيابة ، وتلك المقطعة للأمراء والأجناد ، والكتابة بالكشف عنهـا ، واخذ خط النائب عليها بعد اخذ رأيه ، ثم الكتابة إلى السلطان بشان ألاقطاعات المتـوفرة عن أصحابها بالموت ونحوها ، حيث تحمل إلى ديوان الجـيش فـي الـديار المصـرية ،وبمقتضى ذلك يخرج المنشور السلطاني بشأن هذه ألا قطاعات ([5]).

---

[1] الطراونة.**مملكة صفد**. ص 247 .
[2] العمري .**التعريف بالمصطلح الشريف** . ص 201 ؛ الطراونة .**مملكة صفد** .ص 247-248 .
[3]ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك .** ص117 .
[4] عبد الفتاح سعيد عاشور . **الظاهر بيبرس** .(القاهرة : المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، 1963)،ص139 .
[5]القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4 ،ص190،ج9، ص258؛ ج12 ،ص 232 .

وكان تحت إمرة الناظر في كل نيابة ديوان خاص يثبت فيه مناشير هذه ألا قطاعات الصادرة من السلطان في القاهرة ([1]).وهو في هذه الحال يضبط كليات النيابة وجزئياتهـا في ألا قطاعات وغيرها ، ويساعده في مهمته كتاب وشهود ([2]). ومن عيوب هذا الديوان إلزام الفلاحين في ألا قطاعات بالفلاحة . كما انه لا يجوز للفلاح تـرك الأرض إلا بعـد مرور ثلاثة أعوام ،وان ترك قبل ذلك يلزم ويعاد إليها قهرا ([3]).

4. ناظر بيت المال :

وجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث ومن تولى هذا المنصب كان يجـب أن يتصف بالعدالة ومن أهل العلم والديانة . ومهمة صاحب هذه الوظيفة النظر والإشراف على الشؤون المالية في النيابة ، حيث يرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمله بالتصرف أما قبضا وأما صرفا ([4]). ويساعده في مهمته في العادة شهود بيت المال وصـيرفي بيـت المال وكاتب المال ([5]). وتكون ولاية هؤلاء من قبل النائب ([6]).

5.الكاشف:

كان لكل نيابة عدد من الولايات ، وجرت العادة أن يعين النائب في كـل ولايـة " كاشفا " ينوب عنه في حكم الولاية ([7])،برتبة طبلخاناه سمي كاشـفا ، وكانـت مهمتـه الإشراف على الجسور والأراضي الزراعية وقنوات الري .وكان يساعده عدد من العمال

---

[1] نفس المصدر :ج4،ص 30 ، 31 ،190.
[2] نفس المصدر :ج4، ص31 .
[3] السبكي. **معيد النعم** .ص34 .
[4] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4، ص31 .ج5،ص 465 .
[5] نفس المصدر : ج4،ص31 .
[6] نفس المصدر : ج4،ص 220 .
[7] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2،ص374 .

على أعمارها وصيانتها وحفظ الأمن والنظام في الولاية، كالمشد والمستوفي ([1])،وهذا ما كان متبعا في كل من ولايات الرملة ونابلس والخليل. وفي أحيان أخرى كان يتولى هـذه الوظيفة أمير برتبة أمير عشرين أو أمير عشرة ([2])، أما في الولايات الصـغيرة التابعـة لنيابتي صفد وغزة فقد تولاها ولاة برتبة جندي ([3]).

6. وكيل بيت المال

وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ،كانت تختص بكل ما يتعلق بمبيعات بيـت المال ومشترياته من أراض وعقارات وغيرها ([4]). وكان مجلسه في دار العدل ، وكانت أهمية هذه الوظيفة دون وظيفة المحتسب وتارة فوقه ، بحسب رفعة قدر كل منهمـا فـي نفسه . ووجدت هذه الوظيفة في نيابة صفد ([5]).

الوظائف الدينية:

1. القضاء:

يعتبر قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابات فلسطين الثلاث([6]) . وقاضي القضاة هو الذي كان يقوم بتعيين القضاة في جميع ولايات النيابة . وكان يشغل منصـب قاضي القضاة في كل نيابة قاضي قضاة الشافعية . وفي بيت المقدس كان قاضي قضـاة

---

[1] ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك**.ص134 .
[2] القلقشندي . **صبح الأعشى** . ج4،ص 200 .
[3] نفس المصدر : ج4،ص 199 .
[4] نفس المصدر : ج4 ، 193 .
[5] السبكي. **معيد النعم** . ص 65 ؛ العمري .**مسالك الأبصار**. ص 122.
[6] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص 38 .

الشافعية يجمع إلى ذلك منصب شيخ الصلاحية ، وفي أحيان منصـب نـاظر الحـرمين الشريفين ([1]).

كما جعل السلطان الظاهر بيبرس القضاء في أربعة قضاة ، وقد عمم هذا النظـام في معظم نيابات بلاد الشام ومصر . فوجد منصب قاضي القضاة في فلسطين في عهـد المماليك وكان في كل نيابة أربعة قضاة : شافعي ،حنفي ،مالكي ، حنبلي . وكان لقاضي القضاة نائب في كل ولاية ، وفي أحيان تنفرد كل مدينة بقاضيها([2]) .

وكان التعيين لمنصب قاضي القضاة يتم بمرسوم شريف من السـلطان . وكعـادة الموظفين الكبار في النيابة ، يدخل القاضي المعين المدينة مرتديا خلعة السلطان ، ثم يقرأ توقيعه بحضور النائب والناظر وباقي القضاة واعيان النيابة([3]) . ثم صار القضاة يبـذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة ، كما حدث في بيت المقـدس .ففـي سـنة 878هـ/1473م تولى منصب قاضي القضاة الحنفي القاضي جمال الدين الديري " بعـد مال كبير بذله في الولاية " ([4]).

وكان قاضي القضاة الشافعي يرتفع درجة عن باقي القضاة ، لذلك كان يتعين علـى قاضي الشافعية النظر في الأوقاف والقضايا الخاصة ببيـت المـال([5]) . وكـان يسـاعد القاضي في مهمته كل من:

---

[1] مجير الدين. **الأنس الجليل**. ج2، ص129 .
[2] نفس المصدر : ج2 ، ص 287 ، 304 ، 311 ، 317 ، 323 ، 325 ، 370 ؛ غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص 38 .
[3] المقريزي .**السلوك**. ج4 ،ق1 ، ص525 .
[4] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2 ، ص297 .
[5] السبكي. **معيد النعم**. ص56 .

1- كاتب القاضي ، ويشترط فيه أن يكون عارفا مدلولات الألفاظ العرفية واللغوية ، وحسن الفهم ، وشديد الملاحظة ، وله دراية بالمحاضر والسجلات([1]) .

2- حاجب القاضي ، وهو الذي يستأذن على القاضي ، ويرفع الأمور إليه ، ويشترط في اختياره أن يكون تقيا،حسن الخلق ، ولا يقبل الرشوة ولا يحجب عن القاضي من يريد مقابلته([2]) .

3- نقيب القاضي،كان يتولى تنبيه القاضي على الشـهود ، وتنبيـه الشـهود علـى القاضي([3]) .

4- أمناء القاضي ، وهم الذين يحفظون أموال اليتامى والغائبين ، ويقومون بصـرف زكاة اليتيم لمن يعينها القاضي . وكان القاضي يختار الأمناء من أفاضل الناس([4]) .

5- الشهود ، وهم الذين يختارهم القاضي لمساعدته في عمله القضـائي ، ويسـمون عادة " الشهود العدول " ، وهم ليسوا شهودا حقيقيين كما هو مألوف في قضـائنا الحالي ، وإنما يختصون بالنظر في صحة الإجـراءات القضـائية ، ويقـدمون الضمانة على ذلك . ويشترط في اختيارهم أن تتوفر فيهم الأمانة ، والاسـتقامة ، والتفقه في الدين ، وعدم التسرع في الأحكام . ويقوم القاضـي دومـا بمراقبـة

---

[1] نفس المصدر : ص60 ؛ القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج10 ،ص282 .
[2] نفس المصدر : ص61.
[3] نفس المصدر : ص 62 .
[4] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**.ص 40 .

سلوكهم وتصرفاتهم([1]) .ولكل من هذه الوظائف رواتب خاصة تكفيهم عن الإساءة إلى وظيفتهم([2]) .

كما وجدت دار للعدل في كل نيابة ، لا تعدو أن تكون إيوانا فسـيحا أو قاعـة واسعة ، ويختص بهذه الدار في العادة مفت يعينه نائب السلطنة . وفي هذه الدار ينظر في القضايا والمظالم التي لم يبت بها القضاة ، أو يثبتون عجزا في حلهـا . ويباشـر نائـب السلطنة النظر في هذه القضايا ، ويساعده في ذلك عدد من القضاة في أيام خاصـة مـن الأسبوع ، وجرت العادة أن يكون في يومي الاثنين والخميس([3]) .

وكان السلطان يخلع على القضاة في المناسبات والأعياد ، فكانت خلعـة الشـافعي بيضاء ، والحنفي والحنبلي حمراء ، أما خلعة المالكي فكانت خضراء([4]) .

2. الإفتاء:

وهي من الوظائف الدينية التي تعنى بتوضـيح نصـوص الشـريعة الإسـلامية ، وتوضيح بعض القضايا الشرعية التي تستعصي على العامة . وفي العادة كـان يجلـس النائب في دار العدل يومين في الأسبوع ، فإذا حضر النائب إلى دار العدل كان يجلس في صدر الإيوان ، ويجلس مفتيان ، أحدهما شافعي والآخر حنفي عن يمينه ، ومفتيان آخران ، أحدهما مالكي والآخر حنبلي عن يساره ، ووكيل بيت المال تحت القاضـي المـالكي . ويجلس كاتب السر أمامه على الذي من يساره ، وكاتب الدست خلفه ، وحاجب الحجـاب

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى.** ج10 ، ص282 .

[2] نفس المصدر: ج4 ، ص 192 ؛ ج9 ، ص 255 .

[3] شمس الدين محمد بن علي بن احمد بن طولون . **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** . تحقيق محمد مصطفى (القاهرة: المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، 1964) ، ج2 ،ص12 .

[4] أبو الحسن بن محمد بن حبيب الماوردي . **الأحكام السلطانية** . (بيروت : دار الكتب العالمية ، 1978) . ص240 .

جالس أمام النائب على القرب منه . ويفصل النائب ومعه المفتيان في القضايا التـي لـم يستطع القضاة العاديين البت فيها ، وولايتها تكون من قبل النائب بتواقيـع كريمـة ([1]). ووجدت هذه الوظيفة في نيابات فلسطين الثلاث. وكان يشترط في المفتي إلا يتسرع فـي الإفتاء ،وان لا يعتمد على ظواهر الألفاظ غير متأمل فيها ،والا عندئذ وقع الخلق في جهل عظيم ، ويقع هو في اثم كبير ([2]).

3. الإمامة والخطابة

تعتبر هذه الوظيفة من اجل الوظائف الدينية في النيابة وأعلاها رتبة . وكان يـتم تعيين إمامة وخطابة المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي من قبل قاضي القضاة ([3])، ثم من ناظر الحرمين في بيت المقدس . وفي مراحل متأخرة صار السلطان يتدخل في تعيين إمام المسجد الأقصى والصخرة ([4])،فيأتي التقليد والمرسوم من القـاهرة فيـدخل الأمـام المعين بيت المقدس وهو لابس خلعة السلطان، ويقرأ كتاب التقليد في المسـجد الأقصـى أمام جمهور من المصلين والحضور ([5]). وقد تولى آل الغوانمة إمامة وخطابـة المسـجد الأقصى مدة طويلة ([6]).

وفي بعض الأحيان كان شيخ الخانقاه الصلاحية في بيت المقدس يتـولى مشـيخة الحرم الشريف([7]) ، وكان بعضهم يجمع بين مشيخة الصلاحية وقضاء الشافعية وخطابـة

---

[1] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4 ، ص 192 ، 234 .
[2] السبكي . **معيد النعم** .ص 104 .
[3]نفس المصدر : ص98 .
[4] ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**. ج13، ص97 .
[5] ماير .**الملابس المملوكية** . ترجمة صالح الشيني (القاهرة : الهيئة المصرية ،1972) ،ص 108 ،111 .
[6] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2، ص146 ، 190 ، 204 ، 367 .
[7]نفس المصدر : ص 267 .

المسجد الأقصى ([1]). ثم صارت الإمامة والخطابة في المسجد الأقصى وقبـة الصـخرة يتقاسمها اثنان ، لكل نصف الخطابة أو الإمامة ، ويتم التعيين من السلطان فـي القـاهرة ([2]). وفي أحيان تولى الخطابة في المسجد الأقصى أربعة شـيوخ ، لكـل مـنهم ربـع الخطابة([3]) .

ووجد في المسجد الأقصى وظيفة رئيس المؤذنين . وجـرت العـادة أن تصـرف رواتب لهؤلاء الخطباء والمؤذنين ، حيث وقفت قرى كثيرة في منطقة القدس لهذه الغاية ؛ فالوثيقة رقم 22سنة 707هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس نصت على وقفية قرية من أعمال القدس حيث كان يدفع ريع وقفها رواتب للخطيـب والمـؤذن ومصـالح السقاية المنصورية على يد " الجناب الكريم العالي السيفي سيف الدين البدري "([4]) .

وكانت وظيفة الخطابة موجودة في نيابتي صفد وغزة ، بالإضافة إلـى المـؤذنين الذين كانوا يقومون بأعمال الخطابة والآذان في مساجد النيابتين. وكانت هذه الوظيفة اقل درجة من مثيلتها في المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي في نيابة بيت المقدس .

4. المحتسب:

كان اختصاص المحتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإشراف علـى الأسواق ومراقبة الأخلاق العامة ، وتطبيق نصوص الشريعة ([5]) ، وهي وظيفـة خلقيـة وسلوكية ، أوجدها الإسلام لتدعيم أوجه التعاون والتضامن بين السكان . وكان المحتسـب

---

[1] نفس المصدر : ص 117 ، 319 ، 327، 335 .
[2] نفس المصدر : ص 114 ، 295 ، 296 ، 319 ، 333 ، 355 .
[3] نفس المصدر : ص 327 ، 343 ،363 .
[4] **وثيقة رقم 22، سنة 707هـ ، من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .**
[5] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج4، ص 37، 193 .

يشرف على التجارة الداخلية والأسواق والمكاييل والأوزان ، ويمنع الغلاء والاحتكار ، والغش والتدليس([1]) ، كما كان يراقب سلوك المجتمع فيمنع الفسوق والفجور والتبرج وتعاطي المسكرات . وكان يشترط في المحتسب أن يكون حرا عدلا ذا رأى وصراحة،وخشونة في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة([2]) . ومن صفاته أيضا الرفق في القول ، وطلاقة في الوجه ، وسهولة في الخلق ([3]) .

وجد في مدينة القدس وصفد وغزة والخليل والرملة ونابلس محتسب ، وكانت التولية في هذا المنصب تتم من قبل نائب السلطنة في نيابات فلسطين .

5. ناظر الحرمين الشريفين:

وجدت هذه الوظيفة في نيابة بيت المقدس ، من دون النيابتين الأخريين ، بسبب أهمية المدينة دينيا ، وبسبب وجود الكثير من المراكز الدينية والأوقاف فيها . وتعتبر هذه الوظيفة من أقدم الوظائف الكبرى في بيت المقدس ، حيث وجدت في العصر الأيوبي ومنذ أوائل العصر المملوكي . كان الناظر أميرا كبيرا برتبة طبلخاناه .كان الناظر يجمع عادة بين نظارة الحرم القدسي والحرم الإبراهيمي . وفي أحيان تولاها عالم جليل برتبة قاضي قضاة ، عرف فضله بالعلوم والفلاح . وربما جمع نائب القدس بين النظاره والنيابة .([4])

---

[1] العمري . **التعريف بالمصطلح الشريف** .ص 125 . الماوردي . **الأحكام السلطانية**. ص 241 .

[2] محمد بن محمد بن احمد القرشي بن الأخوة . **معالم القرية في أحكام الحسبة** . تحقيق محمد شعبان. (القاهرة :الهيئة العامة للكتاب، 1976) ، ص 52 ؛ محمد بن احمد بن بسام . **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** .تحقيق حسام الدين السامرائي . (بغداد : مطبعة المعارف ، 1968) ، ص 10- 13 .

[3] ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك**. ص 45 .

[4] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2، ص 272 ، 273 ، 275 .

كانت تولية الناظر تتم بمرسوم سلطاني من القاهرة ، فيخلع السلطان عليه فيـدخل مدينة القدس وهو يلبس هذه الخلعة ، فيتلقاه النائب والقضاة واعيان النيابة ويدخل المسجد الأقصى حيث يتلى مرسوم السلطان ([1]).

وكان ناظر الحرمين في القدس والخليل يضاف إلى ناظر الحرمين الشريفين فـي مكة والمدينة ، ويكون متوليها ناظرا واحدا ([2]).

كان من اختصاصات ناظر الحرمين الإشراف على الحرمين ، وبناء وإصلاح مـا يحتاجونه من إصلاح وترميم . أضف إلى ذلك إشرافه على الأوقـاف الخاصـة بهمـا، وتثمير تلك الأوقاف في مصلحة الحرمين ([3]).أما أموال الأوقاف الزائدة ، فكان يحتفظ بها في صندوق الصخرة([4]) . وكان بعض السلاطين يعمل على العناية بأوقـاف الحـرمين ، فيرسم بعمارة ما يحتاج إلى عمارة ، وترميم وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح مـن أمـوال الدولة ([5]).

6. مشيخة الصلاحية:

وهي من الوظائف السنية في السلطنة المملوكية ، وكانت مشيختها تتم بمرسوم سلطاني صادر من القاهرة ([6]) ،وسميت هذه الوظيفة بذلك نسبة إلى المدرسة الصلاحية

[1] نفس المصدر : ج2 ،ص326 .
[2] نفس المصدر :ص271 .
[3] المقريزي. **السلوك**.ج4 ،ق1 ، ص81 .
[4] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2، 275 .
[5] نفس المصدر : ص 278 ،279 .
[6] نفس المصدر : ص 41،ص 298 .

التي انشاها السلطان صلاح الدين الأيوبي في القدس بعد تحريرها مـن الفرنجـة سـنة 583هـ/1187م ([1]).

وجدت هذه الوظيفة في نيابة بيت المقدس فقط وكانت تتم بمراسيم احتفالية خاصـة إيذانا بتولية شيخ الصلاحية هذا المنصب . وتمثل المراسم في دخـول شـيخ الصـلاحية المدينة. وكان يتفقد أسواقها مرتديا زي التشريف السلطاني ، وكان يحـيط بـه العلمـاء والفقهاء والنائب والناظر ، ثم كان ينتهي إلى المسجد الأقصى حيـث يقـرأ المرسـوم السلطاني ([2]). وكان شيخ الصلاحية يعد أحد الثلاثة الكبار الذين يصرفون شـؤون نيابـة بيت المقدس ، أما الآخران فهما نائب السلطنة وناظر الحرمين الشريفين . وفـي بعـض الأحيان كان يتقلد شيخ الصلاحية منصب قاضي القضاة الشافعية في بيت المقـدس ([3])أو يجمع بين نظارة الحرمين ومشيخة الصلاحية ([4]).وكان بعضـهم يجمـع بـين مشـيخة الصلاحية وخطابة المسجد الأقصى ، أو بين المشيخة ونصـف الخطابـة فـي المسـجد الأقصى . ومن هؤلاء محب الدين بـن جماعـة وشـيخ الإسـلام النجمـي فـي سـنة 818هـ/1415م ([5]).وكان أحيانا ينيب عنه أحد الشيوخ المقيمين في القدس بينما يظل هو مقيم في القاهرة ([6]).ففي سنة 818هـ/1415م قدم إلى القاهرة شيخ الصـلاحية شـمس الدين محمد بن محمود الرازي الهروي ،فأمر السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمـودي الأمير الطنبغا العثماني فتلقاه خارج القاهرة وصعد به إلى قلعة الجبل ،فيقبل عليه السلطان

---

[1] عماد الدين محمد احمد الاصفهاني . **الفتح القسي في الفتح القدسي** .تحقيق محمد محمود صبح (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ،1965) ،ص 145 .

[2] مجير الدين .**الأنس الجليل** . ج2، ص117 .

[3] نفس المصدر: ص 283 .

[4] المقريزي. **السلوك**. ج4، ق1 ، ص 440 ، 483 ، 525 .

[5] مجير الدين. **الأنس الجليل**.ج2، ص 117 ،ص 108 .

[6] نفس المصدر : ص 304 ، 361 .

ويكرمه ويجلسه على يمينه ، ثم كان ينزله في دار خاصة أعدت له . مما يدل على المنزلة الشريفة التي حظي بها من شغل هذا المنصب من قبل السلطان وحاشيته ([1])،وفي أثناء إقامته في القاهرة يرتب السلطان له في كل يوم مبلغ مئتي درهم ، ومن اللحم ثلاثين رطلا ، وفي العادة ينعم عليه بالهدايا والثياب الفاخرة ، إضافة إلى ما يهدى إليه من رجال الدولة في القاهرة ([2]).

7. ناظر البيمارستان :

مهمة صاحب هذه الوظيفة الإشراف على البيمارستان وأدارته ومراقبة المرضى والأطباء . وكان برتبة أمير كبير . ووصف القلقشندي هذه الوظيفة بأنها " من اجل الوظائف وأعلاها " ([3]) ،لان مهمة البيمارستانات لم تكن مقتصرة على العلاج بل أدت أيضا دورا تعليميا ؛ فكانت أشبه بكليات طب ، إذ كان يقسم الطلبة إلى فرق وكل فرقة كانت تتخصص بفن معين ، فمنهم باطنية ، ومجبرين ، وجراحين ، وكحالين . ووجد في البيمارستانات قسم خاص بإعداد وبتعليم كيفية تحضير العقاقير وطبخها وعمل المعاجين والمراهم وغيرها([4]).

يلاحظ أن المماليك أكثروا من بناء البيمارستانات ، في القدس والخليل ،والرملة ،وغزة وصفد، وقاية لأهل البلاد من الأوبئة والطواعين التي ما فتئت تفتك ببلاد الشام ومصر الفينة بعد الأخرى . كما وجد بالبيمارستانات سجلات كان يدون فيها أسماء المرضى والنفقات التي احتاجوا إليها من أدوية وأغذية ، ومتابعة من قبل الأطباء

---

[1] المقريزي .**السلوك**. ج4،ق1،ص 312 .
[2] نفس المصدر: ص312 ؛ غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص38 .
[3] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4 ، ص38 .
[4] علي السيد .**القدس في العصر المملوكي** . ص 250 .

لتشخيص ما يحتاجه المرضى من أدوية للعلاج ، وكانت الملاحظات تدون علـى لـوح خاص يثبت على سرير كل مريض ([1]).

ووجد لكل بيمارستان وقف خاص ينفق ريعه على شؤونه . وقد بلغت النفقات فـي إحداها خمسة عشر دينار يوميا ([2])،وقسم البيمارستان إلى أقسام ؛ فكان هناك قسم خاص بالنساء ، وآخر بالجراحة ، وثالث بالحميات ،ورابع بالرمد . وخصص قسم في بعضـها للأمراض العقلية ([3]). وكان يخصص لكل مريض سرير مستقل لنومه([4]) .

8. ناظر الأيتام :

مهمة صاحب هذه الوظيفة الإشراف على أموال الأيتام وتنميتها وحفظها ، ووجـد هذا الديوان في صفد فقط . ومن الذين تولوا هذا المنصب الشيخ إبراهيم بن ايبك الصفدي المتوفى سنة 742هـ /1341م ([5]).

9. المدرسون:

شهدت المدن الفلسطينية في العصر المملوكي نهضة علمية ؛ فقـد أقيمـت فيهـا المدارس الكثيرة ، حتى أنها بلغت في مدينة بيت المقدس نيفا وأربعـين مدرسـة . وقـد استأثرت المدينة المقدسة بالكثير من العلماء والفقهاء المعلمين الذين هاجروا إليهـا مـن

---

[1] نفس المصدر : ص249 .

[2] أبو الحسن محمد بن احمد الأندلسي بن جبير .**رحلة ابن جبير** .(بيروت : دار مكتبة الهلال ، 1981) ، ص230 .

[3] نفس المصدر :ص230 .

[4] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** .ص 46 .

[5] السبكي. **معيد النعم**. ص64 ؛ الطراونة . **مملكة صفد**. ص 256 .

بغداد بعد سقوطها على يد هولاكو، بالإضافة إلى هجرة أخرى آتية من الأندلس حيث كانت القدس " محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم ([1]).

نتيجة لاستقطاب بيت المقدس هذا العدد الكبير من العلماء والفقهاء ورجال العلم أصبحت المدينة في العصر المملوكي محج طلاب العلم ، يأتون إليها من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي ، يدرسون في مدارسها ويأخذون العلم على علمائها .وكانت المدارس في ذلك العصر أشبه ما تكون بالجامعات والمعاهد العلمية العليا ([2]).

أما هيئات التدريس فكانت تتكون من : المدرس ،والمعيد ، والمفيد ، والمنتهي([3]) ، يدرسون الفقه والحديث والتفسير والنحو والعلوم العقلية ، وغيرها من العلوم([4]) .وخصصت الأوقاف الكثيرة لهذه المؤسسات العلمية لينفق منها على المدرسة ومدرسيها وطلابها .

---

[1] علي بن داود بن الصيرفي .**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان** . تحقيق حسن حبشي (القاهرة : مطبعة دار الكتب ، 1973) ، ص61 .

[2] عبد الفتاح سعيد عاشور . **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**.(القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ،1962). ص 150 .

[3] السبكي. **معيد النعم** . ص108 ؛ القلقشندي. **صبح الأعشى**.ج5 ، ص 464 .

[4] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4 ، ص39 .

الفصل الثاني

طبوغرافية المدن الفلسطينية في العهد المملوكي

أولا :خصائص العمارة في المدن الفلسطينية.

ثانيا :الجوانب العمرانية.

أ. الشوارع والأسواق

ب. المنازل والحارات

ج. الجوامع

د. الزوايا

هـ .المزارات

و. الحمامات العامة

طبوغرافية المدن الفلسطينية في العهد المملوكي

أولا:خصائص العمارة في المدن الفلسطينية:

انتصار المماليك على التتار في معركة عين جالوت سنة 658 هـ/ 1260م، أنقذ بلاد الشام من خطر داهم بعيد المدى، وأعاد لمصر والشام وحدتها مرة أخرى في ظل حكومة مركزية قوية بقيادة المماليك ، مما أشاع قدراً من الاستقرار لأول مرة منذ أمد طويل في بلاد الشام بوجه عام. وفي ظل هذه الظروف اهتم سلاطين المماليك بإقامة المنشآت الدينية والعلمية والخيرية والاجتماعية في المدن الفلسطينية حسب أهميتها وموقعها ، ولم تقتصر العمارة في المدن الفلسطينية في عهد المماليك على الجانب الديني فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى جوانب أخرى كإنشاء المدن بأنماط معمارية اتاحت للمعماريين فرص الإبداع في استخدامها، وساهم في ذلك وفرة الحجارة الصلبة، والرخام الجيد، والأخشاب ، وهو ما تجلى واضحا فيما تركوه لنا من مخلفات وأثار، آية في الفخامة والإبداع والجمال، ما زالت أثارها باقية حتى اليوم في بعض المدن الفلسطينية .

فيما يلي وصف لخصائص العمارة في المدن الفلسطينية في عهد المماليك :

1. فن العمارة في المدن الفلسطينية في العهد المملوكي أصبح بعد مرور قرن من الزمان يحمل الطابع العمراني العربي في مجمله ([1]).فالمسجد الجامع كان المركز الأساسي للمدينة ، وما حوله من أبنية قديمة أصبحت في عهد المماليك لها وظائف جديدة (مدارس

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الثاني ،المجلد الرابع ، ص 788 .

،حمامات، أسواق...الخ) ، تليها الحارات وبداخلها أنشأت شبكة من الشوارع والأزقة والدروب (الأحياء) التي ضمت الكثير من الشوارع الثانوية التي تنتهي إلى طريق مسدود . هذا بالإضافة إلى البيوت التي امتازت بجمال العمارة الداخلية فيها ، إذ قامت على مفهوم العمارة المغلقة التي تنفتح إلى الداخل على صحن . وأحاط بالمدينة سور ذو أبواب . هكذا كان النظام العمراني في المدن الفلسطينية ، وبخاصة مدينة القدس ، بيد أن قطب هذه المدينة المقدسة كان الحرم القدسي المؤلف من المسجد الأقصى وقبة الصخرة ([1])، مما يدل على سيطرة الطابع الوظيفي للمباني العامة. وما زالت الشواهد الماثلة في المدن الفلسطينية حتى اليوم وعلى رأسها منشات الحرم ، تجعل للعمارة الفلسطينية خصائص ثابتة .

2. قامت العمارة العربية الإسلامية في فلسطين على مبدأ أساسي هو الأمن والجمال. الأمن تحقق باستعمال حجارة شديدة الصلابة في البناء ، والجمال في تصميم العمارة التي تضمن لساكنيها الراحة والأمان وأكثر أبنية فلسطين ، وبخاصة مدينة القدس مبنية من الحجر ، وتغطي المنشات بسقوف أو قباب أو عقود حجرية . وجدران المنشآت سميكة تخترقها فتحات صغيرة هي النوافذ التي تسمح بدخول النور. وكانت الغرف تفتح على الصحن أكثر من انفتاحها على خارج البناء مما حمى المنشات من التأثيرات الخارجية (الظروف المناخية المتقلبة)،وحقق الراحة والتكيف والحماية لساكنيها .وتحقق الجمال في هذه العمارة عن طريق زخرفة الواجهات، حيث ازدانت عمارة فلسطين وبيوتها

---

[1] عفيف بهنسي ." تكوين المدينة العربية ". **الحوليات الأثرية** ،مجلد 26(دمشق :1976) . ص7 .

بالزخارف والرسوم الملونة التي صنعت بفصوص الفسيفساء وهذا متمثل في المساجد كقبة الصخرة، والمسجد الأقصى ، وبيوت الأغنياء في المدن الفلسطينية المختلفة ، وثمة بيت يعود إلى العصر المملوكي في القدس، هو شاهد على فن العمارة في عهد المماليك هو سرايا الست طنشق المظفرية القائم في حارة باب الناظر وعرف أيضا بدار الست . يعود تاريخ تأسيس هذا البيت إلى سنة 794هـ/1392م([1]). وهذه البيت عبارة عن مجمع معماري ضخم مكون من طبقتين ،وهو ذو مدخل كبير تعلوه قوس ثلاثية الفصوص مع عتبتين ويؤدي المدخل إلى ساحة مكشوفة هي صحن الدار الذي تشرف عليه غرف من الطبقتين .

3. التخطيط الطوبوغرافي للمدينة الفلسطينية في عهد المماليك تميز بتقسيم المدينة إلى: حارات أو خطط (أحياء) وفي هذه الأحياء أسواق محلية صغيرة استقلت عن الأسواق الرئيسة، وبقيت بينهما علاقة التواصل. وكانت الأحياء تضم مجموعة سكانية منسجمة في بيئتها الاجتماعية والدينية ، يفصلها عن بعضها البعض طرق وشوارع متعرجة ضيقة مغطاة بعقود حجرية أو مفتوحة ،كحارة النصارى القريبة من كنيسة القيامة وباب الخليل ، وحارة اليهود القريبة من الحرم ، وحارة المشارقة نسبة إلى النصارى المسيحيين القادمين من شرق الأردن ، وحارة بني مرة قرب سوق الفخر ، وحارة المغاربة ([2]). بمعنى أن هذه الحارات كانت مقسمة بحسب الأديان أو القوميات من أكراد وأتراك وقبائل عربية وهذا ينطبق على مدينة القدس دون غيرها من المدن الفلسطينية .وكان يتجمع القرويون

[1] عارف العارف .**المفصل في تاريخ القدس** . (القدس : مطبعة المعارف ، 1996)، ط4 ، ج1،ص207 .
[2] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 127-128 ؛ انظر ملحق رقم (4)، ص 211 ، وملحقاته لمزيد من التوضيح .

النازحون إلى المدينة في أحياء مستقلة ، وقد يجتمع أصحاب المهنة الواحدة فيشكلون سوقا مستقلا كالنجارين، الحدادين ، الصباغين ، الدباغين ، وهذا التمركز الجغرافي للمهن أدى إلى امتلاك كل طائفة لقطاع معين من المدينة حيث تقيم سوقا لها ([1]). وكانت تتصف هذه الأحياء بالتضامن السكاني لتحقيق الأمن والدفاع والتعاون الاجتماعي ([2]).

4. اشتهرت المدن الفلسطينية في العهد المملوكي بأسواقها التي ما زالت قائمة في العديد من المدن الفلسطينية في القدس ونابلس والخليل كسوق بـاب خـان الزيـت ،وسـوق العطارين، وسوق النجارين ، وسوق اللحامين ... في القدس([3]) ، وسوق عين السـوق ، وسوق المربعة ، والسوق الغربي في مدينة نابلس([4]) ، وفي مدينة الخليل وجـد سـوق الحصرية ، سوق الزياتين ، سوق الغزل ([5]) . وكانت هـذه الاسـواق تشـكل القسـم التجاري من المدينة.

5. امتازت المدينة الفلسطينية بظهور التنوع والإتقان والأناقة في شتى العناصر المعمارية، من واجهات ومنارات في القباب ،والحمامات العامة، والاسبلة، والمقامات، والمزارات والخوانق. (وسيتم تناولها بالتفصيل عند الحديث عن الجوانب العمرانية في المدن الفلسطينية في عهد المماليك) .واشتهر لديهم استخدام الأحجار الرخامية وخاصة

---

[1] علي السيد علي . **القدس في العصر المملوكي** . (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، 1986). ص 203-212 .

[2] ايرا لابيدوس . **مدن إسلامية في عهد المماليك** . ترجمة علي ماضي (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع ، 1978). ص 146-148 .

[3] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 211 .

[4] محمد عدنان البخيت . "نابلس ونواحيها في القرن السادس عشر على ضوء الوقفيات التي تحتفظ بها سجلات الدولة العثمانية" . **مجلة المنارة** . المجلد الأول ،(جامعة آل البيت،1996)،ص90 .

[5] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2 ،ص79 .

الحجر الأبلق باللونين الأبيض والوردي في البناء. وتفننوا في عمارة الأبواب فكانت عالية ومرتفعة مفتوحة بقوس ثلاثي ومزينة بالمقرنصات كما في باب القطانين في مدينة القدس ، أما الشبابيك فهي غالباً ما كانت شباكين بقوسين أو شباكين بقوسين فوقهما فتحة دائرية أو ثلاثة شبابيك متجاورة فوقها فتحتين دائرتين فوقهما فتحة ثالثة دائرية([1]). وكان المعماريون يحرصون على إبراز الواجهة وما فيها من تجاويف وحنايا عمودية طويلة تفتح فيها نوافذ وقد تنتهي في أعلاها بزخارف معمارية من المقرنصات ،كما تتجلى في أشرطة من الزخارف والكتابات وفي شرفات مسننة تتوج بها الواجهة ،بالإضافة إلى ذلك حرص المعماريون أن لا يكون المدخل في وسط الواجهة بل في ركن منها.

6**.** أصبحت المدينة الفلسطينية في عهد المماليك وحدة حيوية تنمو وتتطور مع مراعاة الظروف السياسية، والعسكرية، والتقاليد والعادات والتعاليم الدينية، والأسس المعمارية والبيئية، ومراعاة الإرث التكنولوجي من أسلوب العمل والتنفيذ واختيار المواد وطرق معالجتها، والرجوع إلى الماضي واختيار المناسب منه. فكانت المدينة إنسانية التكوين، عسكرية التركيب، إسلامية الطابع. وأغلب مدنهم كانت عسكرية ومسورة ومكتظة. وغلب على الواجهات سيطرة الخطوط الأفقية والعناصر الرأسية والأشكال المستطيلة وخير مثال على ذلك مدينة القدس ([2]).

[1] زكي محمد حسن . **فنون الإسلام** .(القاهرة :دار الرائد العربي ، 1948). ص 470 .
[2] انظر ملحق رقم (4) ،ص 211 لمزيد من التوضيح .

7. امتاز فن العمارة في المدن الفلسطينية في عهد المماليك بالوحدة والاستمرارية ، لا سيما في منطقة الحرم القدسي. فعنصر الدائري الظاهر في بنائية القبة بما يمثله من علاقة اتزان واستمرارية انتقل من فن العمارة في العهد الأيوبي وأثر في فن العمارة المملوكي ، مما يدل على الاتصال المستمر بين المكان والإنسان والزمان من خلال الذاكرة والتراث الذين تمثلهما العمارة المقدسية، فعنصر الدائرة استخدم في عمارات كثيرة في المدينة قبل عهد المماليك، إلا أنه قد تم تطويره وتطويعه بما يتلاءم مع المكان والزمان والإنسان حتى أصبح عنصراً تراثياً يتميز بالجمال والأصالة. ومن الأمثلة على هذا النمط ما تميز به نظام بناء المآذن وان كانت ذات قاعدة مربعة إلا أنها تتحول بالتدريج صعوداً إلى مضلعة (ثمانية) وتنتهي بالمقطع الدائري كما في المئذنة الصلاحية في القدس التي بنيت في عام 820هـ/1417 م ([1]).

[1] انظر ملحق رقم (5)، ص 214 .

ثانيا :الجوانب العمرانية

أ . الشوارع والأسواق

دخلت الأسواق في تكوين معلم المدينة الفلسطينية ، والتي اكتسبت مـع الوقـت شهرة عالمية . تشابهت الأسواق في كافة المدن الفلسـطينية مـن حيـث التخطـيط والتنظيم، فكانت الأسواق عبارة عن مجموعة من الشوارع الطويلة المتعامـدة ، كمـا كانت مسقوفة إما بعقود حجرية أو بالقماش أو الألواح الخشبية أو سعف النخيل التـي تخللها نوافذ لينفذ منها الضوء ([1]). وكانت تلك العقود والأسقف تحمي المـارة وأهـل السوق من حرارة الشمس في الصيف والأمطار فـي الشـتاء . وامتـازت حوانيـت الأسواق بصغر حجمها، ووجد في مقدمة كل حانوت مكان يشبه المصطبة يجلس عليه التاجر ومن يتردد عليه من العملاء والأصدقاء للمساومة أو للحديث ليتناقلوا مختلـف الحكايات والنوادر وأحيانا استخدمها التجار لعرض بضائعهم([2]). ممـا يجعلنـا نقـدر أهمية الحوانيت في ذلك العصر بوصفها مراكز إخبارية واجتماعية .

وكل سوق انفرد بنوع معين من البضائع، وكان لهذا النمط من الأسواق محاسن ومساوئ ،ومن محاسن ذلك أن التاجر لم يستطع أن يشذ عـن جيرانـه أو أن يرفـع أسعار السلعة التي يتجر فيها ، لان منافسيه على مقربة منه ،كما أن المشتري إذا لـم يعجبه نوع من السلعة أو ثمنها فانه يستطيع أن ينتقل بكل سهولة إلى تاجر ثان وثالث دون أن يتحمل أدنى مشقة . أما عيوب التخصص في هذه الأسواق، فاهمها أن الفـرد

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2 ،ص 77 .

[2] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 203-205 .

إذا أراد أن يشتري أكثر من صنف من البضائع عليه أن يقطع المدينـة كلهـا طـولا وعرضا لأنه لن يجد في السوق الواحد سوى نوع واحد من البضائع([1]).

وهناك الكثير من الشواهد على فن عمارة الأسواق في المدن الفلسطينية ،فقد تميزت مدينة القدس عن غيرها من المدن الأخرى في مجال بناء الأسواق المتخصصة حيث خصص كل سوق لسلعة معينة كسوق العطارين ،وسوق اللحامين ، وسوق الصاغة ...الخ .وقد انتشرت هذه الأسواق حول الحرم الشريف وفي الحارات والأحياء والأزقة والشوارع ، وأقيمت الحوانيت على جانبي تلك الشوارع، قسم منها معقود بالحجر والجير يصل ارتفاع بعضها إلى 4.8 مترا([2]) .

هذا بالإضافة إلى وجود الأسواق ذات الأنشطة المتعددة ، فذكر غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المتوفى عام 873 هـ / 1468 م بيت المقدس في كتابه " كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك بقوله : " وبالقدس الشريف أسواق كثيرة من جملتها ثلاث قصبات على صف واحد قيل انه لم يكن بغالب البلاد نظيرها ... ."([3]) . فمن ذلك سوق القطانين المجاور لباب المسجد من جهة الغرب وهو سوق في غاية الإتقان لم يوجد مثله في كثير من البلاد . وأيضا الأسواق الثلاثة المتجاورة بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل، فالأول منه وهو الغربي سوق العطارين. والذي يليه وهو الأوسط لبيع الخضراوات، والذي يليه لجهة الشرق لبيع القماش وهما وقف على

---

[1] عاشور .**المجتمع المصري** . ص 86 .
[2] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 127 .
[3] ابن شاهين الظاهري .**زبدة كشف الممالك** . ص23 .

مصالح المسجد الأقصى الشريف. وقد ذكر المسافرون أنهم لم يروا مثل الأسواق الثلاثة في الترتيب والبناء في بلد من البلاد، وان ذلك من المحاسن التي لبيت المقدس([1]) .

ووجد في مدينة القدس عدة شوارع منها: خط داود وهو الشارع الأعظم وابتـداؤه من باب المسجد الأقصى المعروف بباب السلسلة إلى باب المحـراب ، وهـو بـاب المدينة المعروف الآن بباب الخليل . ويضم هذا الخط ثمانية أسواق منها: سوق الصاغة، وسوق القشاشين، وسوق المبيضين، وسوق خان الفحـم ،وسـوق الطبـاخين، وسـوق الحريرية ،وسوق الغلال، والوكالة التي يصفها مجير الدين الحنبلي بأنها خان عظيم كانت وقفا للمسجد الأقصى وكان يباع فيها أصناف البضائع([2]) .

وانتشرت الأسواق المختلفة أيضا في خط مرزبان، في باب القطانين وحارة حمـام علاء الدين ، شارع حارة الشيخ محمد القرمي، وشارع حارة الحصرية، وشـارع حـارة ابن الشنتير ،ولم يهتد مجير الدين الحنبلي لمعرفة سبب تسمية هذا الخـط باسـم خـط مرزبان([3]) . وبجوار حارة مرزبان من الغرب سوق القماشين ويليه سوق الخضر فسوق العطارين ويليه حارة النصارى من الغرب ([4]).

خط وادي الطواحين : وهو الشارع العظيم الممتد من درج العين إلى باب العمود. وفي هذا الخط عدة شوارع وحارات نذكر منها حارة باب القطانين ،وحارة باب الحديد بجوار باب القطانين من جهة الشمال ،وحارة باب الناظر يقابلها مـن الغـرب عقبـة السـوق

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ،ص 50 ؛ غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 81 .
[2] نفس المصدر : ج2،ص 52-53 .
[3] نفس المصدر : ج2 ،ص 53 .
[4] مصطفى مراد الدباغ .**بلادنا فلسطين** .القسم الثاني، ج9 ،(كفر قرع : دار الهدى للطباعة والنشر ،2002)، ص310 ؛ انظر الملحق رقم (4) ص 211 ،لمزيد من التوضيح فيما يتعلق بالحارات والشوارع .

المعروفة بعقبة الست طنشق المظفرية ،يليها من جهة الغرب سوق الزيت وبه زقاق من جهة الشرق يعرف بأبي شامه، وبخط وادي الطواحين من جهة الشرق حـارة الغوانمـة المجاورة للمسجد من جهة الغرب نسبتها لسكن بني غانم، وسوق الفخر نسـبة لفخـر الدين صاحب المدرسة الفخرية وكانت به المصابن التي عمل بها الصابون ، وحـارة بني مرة ، يليها من جهة الغرب حارة الزراعنة وحارة الملاط بلصق حارة النصارى من جهة الغرب ،وحارة باب العمود وهي انتهاء خط وادي الطواحين وآخر المدينة من جهة الشمال إلى الغرب وضمنها حارة بني سعد، وحارة بني زيد، وحارة باب حطة وهـي من أعظم الحارات وأكبرها وهي شمال المسجد ([1]) ،وخط المربعة إلى الغرب من خـط مرزبان وشمال خط سيدنا داود يفصل ما بين حارة مرزبان وحارة النصارى .خط الوكالة إلى الجنوب من خط المربعة،خط عرسة الغلال إلى الغرب من خط الوكالة ويتصل مـع خط سيدنا داود .خط الدركاه إلى الشمال من خط سيدنا دواد يوصـل مـا بـين حـارة النصارى وحارة مرزبان ([2]).

وفي مدينة الخليل ذكر مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل،في نهاية الفتـرة المملوكية، إن شوارع المدينة بعضها سهل وبعضها وعر، وضمت العديد مـن الأسـواق كسوق الحصرية، سوق الزياتين، سوق الغزل، وسوق الزجـاجين (القـزازين) وسـوق العقابة. وكان لدخول صناعة الزجاج الأثر الكبير على النمو الاقتصادي للمدينة في القرن الثالث عشر الميلادي، هذا الأمر أدى إلى توثيق العلاقة التجارية للخليل مع كل من الشام

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ،ص 53-54 .

[2] أمنون كوهين. القدس .**دراسات في تاريخ المدينة** . (القدس : ياديتسحاق بن تسفي ،1990)، ص 124- 127 ؛ انظر الملحق رقم (4)، ص 211 .

وشرق الأردن ومصر، والتي كانت بأمس الحاجة إلى المنتجات الزجاجية التي صنعت في أفران الزجاج الخليلية ([1]).

ووجد في مدينة نابلس العديد من الأسواق التي تعود للفترة المملوكية، وكانت هذه الأسواق تسمى حسب موقعها في المدينة أو حسب السلع أو المهن المتداولة فيها مثل: سوق عين السوق ،وسوق المربعة ،والسوق الغربي، والسوق الشرقي، وسوق الغزل ،وسوق السكنية ، وسوق النجارين، وسوق اللحامين ،وسوق العطارين، وسوق السلطان ([2]). فقد حظي السوق الأخير بمكانة مميزة لكونه من أضخم أسواق نابلس ، فقد كانت له بوابات حجرية وكان يغلق يوميا مع قدوم الليل ، وكان بطول 2001 خطوة ويتكون من 370 دكان على الجانبين ، وفي مركز السوق كان هناك 100 دكان جانبية ذا ممرات مسقوفة([3]) والى يسار السوق كان يوجد حصن يشبه الخان الضخم مع وجود مواقد متجاورة في الوسط بسقف رصاصي ([4]).أما بالنسبة للدكاكين فقد اختصت ببيع سلع محددة ومن ذلك دكانان اختصا ببيع الحلويات التي اشتهرت بها نابلس ، وكان هناك دكان اشتهر ببيع حب الهال ودكاكين أخرى اختصت ببيع القنب وهكذا ([5]).

وفي مدينة الرملة وجد أربعة أسواق متصلة من أربعة أبواب إلى وسطها تعـود للفترة المملوكية ، فمن باب يافا كان يدخل في سوق القمـاحين ، الـذي اتصـل بسـوق

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2 ،ص 77-79 .

[2] البخيت .**نابلس ونواحيها** .ص90 .

[3] رئيسة عبد الفتاح العزة . **نابلس في العصر المملوكي** .(نابلس : دار الفاروق للثقافة والنشر ، 1999) ، ص 128 .

[4] Evliya Tshelbis:**Travels in Palestine** , The Quarterly of The Dept .of Antiquities in Palestine VOLIX .p,139

[5] البخيت . **نابلس ونواحيها** . ص91 .

البصالين حتى يتصل بمسجد جامعها ، وهذه الأسواق كانت حسنة بيع فيها مختلف أنـواع السلع . واتصل بباب القدس سوق القطانين ، إلى سوق المشاطين للكتـان ، إلـى سـوق العطارين إلى المسجد الجامع ، واتصل بسوق الخشابين من بـاب يـازور ، ثـم سـوق الخرازين ثم البقالين إلى المسجد الجامع ، واتصـل ببـاب أخـر مـن أبوابهـا بسـوق الصياقلة([1]) ،ثم سوق السراجين إلى المسجد الجامع ([2]).

وتجدر الإشارة إلى أن المملكة الصفدية كانت تضم عددا من الأسـواق التجاريـة التي كانت تخدم مجموعة من القرى المجاورة كمراكز تتوفر فيها حاجات السـكان مـن السلع اللازمة منها واحد في جنين في ولاية مرج ابن عامر ،وواحد في قرية عين زيتون ، وآخر في قرية المنية في ولاية برصفد ،إضافة إلى أسواق مدينة صفد نفسها ، وسـوق طبريا ، وسوق النباطية في الشقيف ([3]).

وفي مدينة غزة حيث تفرع من النواة المركزية للمدينة شوارع كالأشعة تتجه إلى أطراف السور الدائري، وشكلت الشوارع الشعاعية مع الشوارع الدائرية الخارجية أقواسا متوازية تحجز بينها مساحات أقيمت فيها الأسواق حيث وجد فـي المدينـة العديـد مـن الأسواق بلغت ستمائة دكان ومن الأسواق المختصة في مدينة غزة ،سوق التجار المبنـي

[1] الصياقلة:حرفة مفردها الصيقل وتعني شاحذ السيوف (احده) ؛ **المنجد في اللغة والأعلام** .(بيروت : دار المشرق ، 1998) ط37 ، ص430 .

[2] مجير الدين .**الأنس الجليل**.ج2،ص 68 ؛ غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 61 .

[3] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 178 .

من الحجارة وكان مزدهرا أيام المماليك ،وسوق السراجين ، وسوق الحبوب ،وسوق الخضار ،وسوق الماشية ([1]).

ب. المنازل والحارات

حظيت المنازل في عصر سلاطين المماليك بعناية كبيرة ، فاهتم السكان ببناء منازلهم لا لتكون مجرد مأوى لأصحابها بل لتوفر لهم سبل الراحة والرفاهية ، وكان نمط البناء متفاوت بين تلك المنازل تفاوتا يتناسب مع مكانة أبناء المدينة من حيث وضعهم الاجتماعي وحالتهم الاقتصادية . كما كان للطبيعة تأثيرها في مباني المدن الفلسطينية فيما يتعلق بمواد البناء ([2]).وقد روعي في هذا النمط من البناء توفير الراحة والمتعة للمرء . أما نوافذ البيوت المطلة على الشوارع فبنيت على شكل شرفات بارزة ترتكز على دعائم مصنوعة من الخشب بطريقة هندسية جميلة ، بحيث يمكن للجالس فيها مشاهدة ما في الخارج دون أن يراه احد ، إمعانا في حجب السيدات . وغالبا ما كانت تزود هذه الشرفات بحنيات خارجة لوضع أباريق من الفخار لتبريد الماء([3]) .

وهذا واضح من خلال وصف لإحدى دور بيت المقدس وهي دار ابن اللونين ، بحارة النصارى. حيث اشتملت هذه الدار على ثلاثة بيوت عقود ، ومطبخ عقد ، ومطهرة عقد . وصحن الدار يتكون من ساحة سماوية ، وبهذه الساحة صهريجان للماء ، وأشجار مختلفة الأجناس . واشتملت الدار على قبو ارضي يتوصل إليه من صحن الدار ([4]).

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ، المجلد الثالث ، ص392 ؛ الدباغ .**بلادنا فلسطين** .ج1ب.ص 82 .

[2] علي السيد. **القدس في العصر المملوكي** .ص 275 .

[3] ديماند . **الفنون الإسلامية** . ترجمة احمد محمد عيسى ،(القاهرة ،ط2 ،1958)،ص123 ؛ غوانمة . **تاريخ نيابة بين المقدس**.ص 129 .

[4] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس**. 129 .

ونظام بناء المنازل الذي ساد في المدن الفلسطينية ،كان شبيه بوجه عام لما هـو في الشرق من منازل ،حيث بنيت المنازل من الحجارة الصلبة أو الطين بعضها تكون من طابق أو اثنين ،وتميزت هذه المنازل بقلة ارتفاعها ،واستواء السطح وقربها من بعضـها البعض ، وكان بامكان الشخص إذا أراد التنقل من سطح إلى آخر علـى طـول امتـداد المنازل ، كما لم يكن لهذه المنازل أبواب كبيرة تطل على الشارع الرئيسي ، فيمـا عـدا بعض البيوت ، وكانت الأبواب في الغالب منخفضة . وفي كثير من هذه المنـازل كـان المدخل مظلما وعميقا ،وهذا المدخل كان ينتهي بقاعة فسيحة حيث وجد صهريج للميـاه، و قاعات وممرات رائعة تطل على الحدائق التي زخرت بأشجار الفاكهـة مثـل العنـب والبرتقال .هذا إلى جانب وجود عدد من الغرف لسكنى أهل المنزل ، كما كانت تخصص حجرة كبيرة لاستقبال الضيوف ([1]).

ومن المرجح أن يكون النمط الشائع في بناء المنازل في المدن الفلسطينية هو المنزل ذا الطابقين أو الثلاثة طوابق ، علما أن المنازل ذات الطوابق الخمسة كانت أيضا معروفة. وغالبا ما كانت البيوت تحاط بأشجار النخيل المزروعة في أحواض أو بالأشجار دائمة الخضرة ، بحيث كانت مكانا يستمتع فيه المرء بالنسمات الباردة بعد مغيب أشعة الشمس الحارة ، وفي الداخل كانت الحوائط السميكة تحفظ الدفء في الشتاء ، كما أنها كانت في الصيف تحفظ للحجرات برودتها حتى أثناء وقت الخماسين اللافحة . وتجدر الإشارة إلى أن كل منزل كان به صهريج أو أكثر لخزن المياه حيث كانت تتجمع فيه مياه الأمطار. والصهريج كان عبارة عن حجرة صغيرة محفورة في باطن الأرض ، ولها

---

[1] علي السيد. **القدس في العصر المملوكي** .ص 275 .

فتحة صغيرة من أعلى ومبطنة الجدران بالأحجار ومزودة بحبل ودلو ، وتظل مياهها نقية طوال الصيف . وبعض المنازل كانت مزودة بوسائل الصرف الصحي أو المجاري ، كما ورد في كتاب عارف العارف عن تاريخ القدس " إن ما أنشاه الرومان قديما من نظام للمجاري ما زال يسير على أحسن وجه حتى القرن العشرين ، مما ساعد على حفظ المدينة من كثير من الأمراض([1]) .

وفي المدن الفلسطينية الحالية هناك الكثير من المعالم الأثرية للمنازل والحارات التي تعود للفترة المملوكية مثل المنازل القائمة بالقرب من الحرم القدسي.

ووصف مجير الدين الحنبلي المدينة في مؤلفه (الأنس الجليل) الذي انتهى من تأليفه عام 901 هـ / 1496 م وصفا مسهباً نقتطف ، بتصرف ، منه ما يلي :

" وأما مدينة القدس في عصرنا فهي مدينة عظيمة محكمة البناء .وهي بين جبال وأوديـة وبعض بناء المدينة مرتفع على علو وبعضه منخفض في واد وغالب الأبنية التي فـي الأماكن العالية مشرفة على ما هو دونها من الأماكن المنخفضة . وشـوارع المدينـة بعضها سهل وبعضها وعر وفي غالب الأماكن يوجد أسفله أبنية قديمـة ، وقـد بنـي فوقها فهي بنا مستجد على بنا قديم والبناء مشحون بحيث لو تفرق على حكم غالب مـدن مملكة الإسلام لكان حجم المدينة ضعف ما هو الآن وهي كثيرة الآبار المعدة لخـزن الماء لأن مائها يجتمع من الأمطار " ([2]) .

---

[1] العارف . **المفصل في تاريخ القدس** . ص 203 .

[2] مجير الدين . **الأنس الجليل** . ج2،ص 50،ص54 ؛ الدباغ .**بلادنا فلسطين** .ج9 ،ص309 .

وتميزت الشوارع التي تفصل بين الحارات والأزقة في بيت المقدس بكونها ضيقة متعرجة ، وبعضها تم التنقل بها بواسطة درج بسبب طبوغرافية الأرض الجبلية . وبلطت شوارع بيت القدس بالحجارة([1]) . وهذا الطابع يمكن مشاهدة بقاياه في شوارع القدس القديمة وأزقتها حتى اليوم. وكان لهذه الدروب والحارات حراس خاصون ،يقومون على حراستها وحمايتها من اللصوص . كما كان من مسؤوليتهم تنبيه سكانها ليلا إذا شب حريق لديهم وهم نيام ويقدمون لهم المساعدات اللازمة ([2]).

وحظيت المنازل في نابلس كغيرها من المدن الإسلامية بالعناية والاهتمام لتوفر لسكانها أسباب الراحة . وقد تفاوتت هذه المنازل من حيث البناء تفاوتا يتناسب والمكانة الاجتماعية والاقتصادية لأصحابها .ففي الوقت الذي كانت فيه بيوت الأغنياء مكونة من عدة طبقات ومغطاة بالرخام وتحتوي بداخلها على غرف كثيرة وقاعات وحدائق تجلب الراحة والمتعة للنفس التي لدينا أوصافا عديدة لها منها ما نصه "فدخلنا في جنينة في ذلك المنزل رحيبة الاكناف لطيفة الجوانب والأطراف فيها حوض ماء يجري بالعذب الزلال وإيوان عال جديد البنيان وريف الظلال..وذهبنا إلى روض اريض يصعد إليه بدرج طويل غير عريض وهو من العجائب التي عن الغرائب مفصحة أن يكون بستان ذو أشجار ومياه جارية وثمار يانعة وذلك كله فوق الاسطحة وهو من خصوصيات البلاد النابلسية " ([3]).من خلال ذلك نستنتج أن منازل الأغنياء امتازت بالاتساع ، وتحتوي على غرف كثيرة متنوعة الاستخدام ، وكانت معظم بيوت نابلس مبنية من الحجر وتشبه

---

[1] زكريا بن محمد القزويني . **أثار البلاد وأخبار العباد** . (بيروت:دار صادر ،1969) ، ص 160 .
[2] السبكي . **معيد النعم**.ص 145 ؛غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** .ص128 .
[3] عبد الغني النابلسي .**الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية** . تحقيق أكرم العلبي ،ط1، (بيروت : دار المصادر ، 1990) ،ص78 .

الحصون ، ولم يوجد بها اية بيوت مبنية من الخشب والبيوت فيها تكونت من طابقين فوقاني وتحتاني واستخدمت الأدراج ذات المواصفات الخاصة التي تمتاز بأنها غير عريضة ،هذا بالإضافة إلى عناية سكان هذه المنازل بتجميل مداخل المنزل ومحيطه بحدائق لتوفر للنفس أسباب الراحة والمتعة ([1]).

وضمت مدينة نابلس أربع نواح :ناحية جبل قبلي ، وناحية جبل شامي (الشمال) وناحية قاقون، وناحية بني صعب. واشتملت على العديد من المحلات(الحارات) ،حارة الحنابلة وهي اكبر الحارات الست وكانت تقوم عند أقدام جبل عيبال في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وتمتد إلى الغرب في حدودها لتشمل خان التجار ، وعرفت بهذا الاسم لوقوع أحياء منها جوار جامع الحنابلة . وحارة الغرب،كانت تقع بين جامع ايبك شرقا والنهاية الغربية للبلدة القديمة . وحارة القريوت التي تقع وسط وجنوب البلدة القديمة على المنحدرات السفلى لجبل جرزيم ، وحارة الياسمينة في الزاوية الجنوبية الغربية للبلدة القديمة على منحدرات جبل جرزيم السفلى ،وحارة العقبة التي كانت تقع إلى الجنوب من الجامع الكبير ، وحارة الجوزة التي ما زالت معروفة بهذا الاسم حتى أيامنا وهذه الحارة كانت تشكل قسما من حارة القيسارية وقد عرفت بهذا الاسم نسبة لوجود شجرة جوز كبيرة فيها ،وحارة السمره تشكل جزء من حارة الياسمينة ،وعرفت بهذا الاسم نسبة لسكن السامريين فيها([2]) . وقد ذكرها ابن تغري بردي المتوفى سنة 874هـ/1469م الذي ذكر أن زلزال كان قد ضرب مدينة نابلس سنة 597 هـ /1227م بحيث " لم يبق فيها جدارا

---

[1] البخيت .**نابلس ونواحيها** . ص 3-9 .

[2] نفس المصدر : ص190 .

قائما سوى حارة السمرة ([1]) ،وكان السوق الرئيسي المعروف بالسوق السلطاني يفصل بين هذه الحارات عن طريق عدة شوارع منها شارع حمام الشجاع في محلة ياسمينة ،وشارع العافيط في محلة الغرب ، وشارع البلاط وشارع عين حسين. وكانت هذه الشوارع تبدأ من وسط المدينة حيث الجامع الكبير والأسواق المحيطة وتمتد إلى محلات المدينة المختلفة([2]) .

أما بالنسبة إلى مدينة الخليل فقد استعادت ازدهارها العمراني في عهـد المماليـك ، ووصفها مجير الدين الحنبلي في مطلع القرن العاشر الهجري (نحـو 1486 م) ، بأنهـا مدينة مستديرة الشكل تحيط بالمسجد من الجهات الأربع . بناؤها من الحجر كبيت المقدس . وسقوفها عقود ، وليس في بنائها لبن ، ولا في سقوفها خشب وتتصف المساكن بضيقها، وارتفاع سقوفها، وازدحام وحداتها التي لا يفصل بينها غير أزقة ضيقة . وأما جـدرانها الخارجية فتتصل في شبه سور يطوق الحي أو الحارة . وابرز حاراتها حارة الشيخ علي البكا في الشمال وحارة قيطون التي كانت تقع إلى الغرب من الحرم الإبراهيمي الشـريف على بعد 200 – 300 م . وحارة الأكراد بين حارة الشيخ البكا والحرم . ولا تزال هذه الحارات إلى اليوم . ومن حاراتها أيضا حارة الزجاجين ،والقصاروة(مبيضي الثيـاب) ، واليهود، والسواكنة ،والحدابنة ،والنصارى ،والشعابنة، والحبارنة وتعرف اليوم بالعقابة ، والمشيرفة في شرق المسجد وهي قسمان المشارفة الفوقا والمشـارفة التحتـا . وحـارة الدارية غربي المسجد وكانت تضم أسواق المدينة ومنافعها([3]) .

[1] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** .ج2 .ص 227 .
[2] البخيت .**نابلس ونواحيها** .ص 90 .
[3] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الثاني ،المجلد الثاني . ص 586 ؛ مجير الدين .**الأنس الجليل** .ص77-78 .

ووصف " المقدسي" المتوفي سنة 873هـ/1468م في كتابه زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك صفد وبلادها بقوله " وأما المملكة الصفدية فإنها مملكة متسعة قيل أنها تشتمل على ألف ومائتين قرية ولها عدة معاملات وأعظم مدنها صفد . وهي مدينة متفرقة ثلاث قطع وهي مدينة بها جوامع ومدارس ومزارات وأماكن حسنة وحمامات وأسواق وبها قلعة حصينة ، يقال أنها لا يوجد نظيرها عشر قلاع" ([1]).وشملت مدينة صفد عدة حارات منها حارة الصواوين ،وحارة الوطا وحارة الغربية ([2]) .

أما مدينة غزة فقد وصفها الرحالة ابن بطوطة سنة 704-779/هـ 1303-1377 م بقوله " ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة ،وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر ،متسعة الأقطار ،كثيرة العمارة ، حسنة الأسواق ،بها المساجد العديدة ،والأسوار عليها"([3]) .

وضمت مدينة غزة مجموعة من الأحياء كحي التركمان ، الشجاعية ، الخوارزمية ،المشاهرة، التفاح ،الدرج ،الفواخير الزيتون، وقسم من حي التفاح الذي يعرف باسم حارة بني عامر نسبة إلى سكانها القدماء الذين يعودون بنسبهم إلى عامر بن لؤي ومنهم عائلة الغزي التي نزلت دمشق في أواخر القرن الثامن الهجري ([4]).

ج. الجوامع

لقيت الجوامع منذ الفتح الإسلامي لفلسطين عناية خاصة نظرا لما يتمتع به المسجد من دور كبير في حياة الفرد والجماعة على حد سواء ، وبدىء في بناء الجوامع في فلسطين عقب الفتح الإسلامي مباشرة في عهد عمر بن الخطاب. فكلما فتحت مدينة أقيم

---

1 الدباغ.**بلادنا فلسطين** . ج6،ص 88 .
2 نفس المصدر :ج6 ،ص 88 ؛ **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني،ص94 -95 .
3 نفس المصدر: .ج1ب ،ص67 .
4 نفس المصدر :ص 99-100 .

فيها جامع ، وكانت عمارة هذه المساجد في البداية بسيطة على غرار المسجد الذي بناه الرسول في المدينة .

وحرص القادة الأولون على بناء الجوامع في وسط المدن . غير أن المساجد في فلسطين لم تكن تبنى كلها بناء جديدا وإنما حول بعضا من الكنائس إلى جوامع بعد مصالحة أهل البلاد إما على النصف من كنائسهم ، أو على بعضها أو يكتفون بواحدة أو نصف واحدة .

ومع الزمن تطور بناء الجوامع ، ففي زمن الخليفة عثمان استعملت الحجارة والجص في بناء جدران الجامع وأعمدته . وتطور هذا الاتجاه زمن الأمويين ، وتجلى ذلك في سقف صحن المسجد وتحويله إلى قاعة ذات أعمدة ، وإقامة نافورة وسط الصحن . وفي العصر الأموي بدأت تبنى في فلسطين الجوامع ذات الجلال والجمال . ومثال على ذلك قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس ، والجامع الأبيض في الرملة ، واستمر ذلك أيام العباسيين والطولونيين والإخشيديين والفاطميين ، ولكن اغلب هذه المعالم من العمارة اندثر مع الزمن واغلب ما هو موجود الآن من جوامع يرجع إلى الفترة الأيوبية والمملوكية .

وقد اجتهد المماليك في بناء الجوامع في مختلف المدن الفلسطينية وهـي مـن الظواهر البارزة التي ازدهرت في عهد المماليك .علما أن إنشاء الجوامع التي كـان فـي البداية من واجبات القادة والحكام اخذ يشارك فيه الأفراد بصورة متزايدة بوصفه عملا من

أعمال البر والتقوى . وكان هذا من أسباب زيادة عدد الجوامع زيادة كبيرة ،وقد تميـزت مساجد المماليك بالكثافة في التزيين وباستخدام الحجارة الملونه ، وبالمآذن المربعة([1]) .

وقد أوليت هذه المنشات من العناية في هندستها وبنائها أو في زخرفتها وفرشها ، وحرصت الدول الإسلامية على ايلائها المزيد من العناية ، ولا شك أن الدولة المملوكيـة من بين الدول الإسلامية التي حرصت على الاهتمام بهذا النوع من المنشات، سيما وأنهـا حرصت على إبراز الواجهة الدينية للدولة المملوكية نظرا لطبيعة العصر الذي وجدت فيه ولنظرة المعاصرين إليها بأنها دولة أرقاء ، ومن هنا بالغت في الاهتمام بكل ما يمت إلى الحياة الدينية .واهتموا بعمارة المساجد ولم يكن المسجد مقاما لأداء وظيفة دينية فقط ولكن لتوفير الوظائف والخدمات التي نصت عليها تعاليم الدين الحنيف التي شملت كـل أنمـاط الحياة، فلا غرابة أن يكون المسجد هو أيضا المركز السياسي والفكري، ومركز الأنشطة الحياتية اليومية، ولهذا حرص المعماري المسلم على أن تكون أبوابه مشـرعة ومتعـددة وتطل على أكثر من واجهة ([2]).ومن المساجد المملوكية في المدن الفلسطينية نذكر :

في مدينة القدس وجد العديد من المساجد التي يعود تأسيسها إلى أيـام المماليـك والتي ما زالت باقية آثارها حتى أيامنا ، ومنها جامع القلعة الذي يقع داخل القلعـة عنـد زاويتها القبلية الغربية حيث تدل النقوش المنقوشة على بابه انه بنى في العام 710 هـ ـ /1310م ، وان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر أيضا بترميم القلعة نفسـها

[1] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 88_89 .
[2] العزة .**نابلس في العصر المملوكي**. ص159 .

وجددها وحصنها([1]) . والمسجد القلندري الذي أقامة قـلاوون أو جـدد عمارتـه عـام 680هـ/ 1272 م ، كما تنطق بذلك الكتابة المكتوبة على حائطـه . ويـذكر صـاحب المفصل في تاريخ القدس " أن هذا المسجد كان يقع في طريق ديـر اللاتـين أو حـارة الإفرنج في الناحية الجنوبية ،وقـد جـدد عمارتـه الملـك المنصـور قـلاوون سـنة 686هـ/1278م . ولم يبق منه اليوم سوى لوحة في حائط بها الاسم "([2]) . هذا بالإضافة إلى العديد من الجوامع منها جامع الشيخ لؤلؤ ويقع داخل باب العمود وهو الزاوية اللؤلؤية القديمة التي وقفها الأمير بدر الدين لؤلؤ غـازي سـنة 775هـ ـ/1373م([3]) . وجـامع المغاربة داخل سور المسجد الأقصى عند باب المغاربة فيه الآن المتحـف ودار الكتـب الإسلامية ....الخ([4]) .

ومن ابرز المساجد والجوامع المملوكية في مدينة الخليل مسجد الجاولي الذي يقع شرق الحرم الإبراهيمي، ويتصل به رواق بناه أبو سعيد سنجر الجاولي بأمر من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 720هـ/1321م . وقد جدد هذا المسجد سنة 800هـ /1397م ([5]). ومن المساجد الأخرى التي ذكرها مجير الدين مسجد بن عثمان بخط سوق الحصرية والزياتين وعليه منارة، ويعرف بمسجد ابن عثمان ويقع بالقرب من باب المسجد بخط سوق الغزل عند عين الطوشي بين ضريح الشيخ يوسف

[1] العارف . **المفصل في تاريخ القدس** .ج1 ،ص 202 ؛ **الموسوعة الفلسطينية** :القسم الأول: المجلد الثاني ،90 ،والمجلد الثالث .ص537 .
[2] نفس المصدر: ص200 .
[3] **الموسوعة الفلسطينية** : القسم الأول: المجلد الثاني ،ص90 .
[4] العارف .**المفصل في تاريخ القدس** .ص 496 .
[5] **الموسوعة الفلسطينية** :القسم الأول: المجلد الثاني ، ص 91 .

النجار صالح مشهور وما زال قائم في حي العقابة([1]) . ومسجد الشيخ بهاء الدين الوفائي بحارة الأكراد ،ومسجد مسعود ،ومسجد رعونة بحارة الزجاجين([2]) .

وفي مدينة نابلس وجد جامع الخضرا الذي يقع في حي الياسمينة ، عمره السلطان قلاون الصالحي (678-689 هـ/ 1279-1290) وهذا واضح مـن خـلال اللوحـة الحجرية المثبته على مدخل باب الجامع ([3]) . وصفه الرحالة التركي أوليا جلبي " هو بناء مربع طول ضلعه 87 خطوة " ويقع الجامع وسط البساتين وتوجد بركـة فـي صـحنه ، ومساحة القسم المعد للصلاة فيه نحو 300م مربع وله محراب جميـل ومئذنـة مربعـة ([4]).والجامع الغربي (للحنابلة) ذكره مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل باسم الجـامع الغربي([5]) . ويقع قرب سوق الخضر وهو جامع قديم يرجع إلى القرن السـابع الهجـري ([6]) .ومسجد الشيخ بدران نسبة إلى واقفه عماد بن الشيخ بـدر الـدين بـدران (698 هـ/1298م)([7]) مجاور للمدرسة العمادية .ومسجد التوبة يقع فـي محلـة غـرب([8]) .ومسجد النصر ويقع هذا المسجد في وسط البلدة القديمة أصله كنيسة بيزنطيـة حولهـا المسلمون بعد انتصارهم في الحروب الصليبية إلى جامع باسم جامع النصر([9]) .

---

[1] الدباغ .**بلادنا فلسطين** . ج5 ،ص 105 .
[2] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2 .ص 77-79 .
[3] العسلي ."نقوش من نابلس والخليل" . **حولية دائرة الآثار العامة** ،(عمان: 1992) ،مجلد 36 .ص 370 .
[4] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص92 .
[5] العزة .**نابلس**. ص 149 .
[6] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 192 .
[7] البخيت. **نابلس ونواحيها** . ص94 .
[8] نفس المصدر : ص95 .
[9] نفس المصدر: ص93-95 .

كما وجد في صفد عدد من الجوامع والمساجد الأثرية التي ترجع إلى عصـر المماليك . وقد حول الظاهر بيبرس بعد تحرير صفد من الصـليبين (664هـ ـ /1265م)عدد من الكنائس إلى جوامع ومساجد أهمها الجامع الظاهري (الجامع الأحمر)([1]) وهـو من أشهر مساجد المدينة، أنشأه الملك الظاهر بيبرس في مدينة صفد بعد فتحها مباشرة بعد أن استرد المدينة من أيدي فرقة الداوية الصليبية ([2])، وأوقف عليه أراض وأملاك كثيـرة للإنفاق على شؤونه المختلفة . وسمي بالأحمر نسبة لواجهته المبنية بالحجارة الحمـراء. وكانت تغطي المسجد من الخارج قبة مسكوب فوقها الرصاص ، كما أن الرصاص كـان يغطي راس المئذنة التي تشبه الأبراج في ضخامتها وعلوها . وقد اكتسب هـذا الجـامع اسمه من محاربه الحمراء المصقولة ([3]).وقد أوقف آخرون على المسجد عقارات للصرف على مدرسيه وطلبة العلم فيه. وكان بمثابة دار العلم الأولى في هذه المدينـة (صـفد) وكان له شيوخه الذين يقومون بإلقاء الدروس فيه فيمن يقصده من الطلبـة([4]) .والجـامع الجوكنداري في محلة الأكراد وهو جامع مملوكي قديم ،وجامع الأميـر فيـروز أنشـأه الأمير نجم الدين فيروز قبل سنة 727هـ /1326م، وهو من أمراء الطبلخانـاة بصـفد ووقف عليه أوقافا كثيرة .وجامع الحمام العنبـري الـذي بنـاه الظـاهر بيبـرس سـنة 674هـ/1276م، وجامع ابن أبي الخير أنشأه شخص من أهل صفد في النصـف الأول

[1] **الموسوعة الفلسطينية** : القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 94 .
[2] ابن عبد الظاهر.**الروض الزاهر**.ص 260 .
[3] **الموسوعة الفلسطينية** : القسم الأول ،المجلد الثاني ، ص 94 .
[4] الدباغ .**بلادنا فلسطين** .ج6.ص101 ؛ الصفدي .**الوافي بالوفيات** .ج12.ص 256-258 .

من القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي([1]) .وجامع أنشاه الأمير احمد بن علي بن صبح الكردي الدمشقي أنشاه نائب صفد سنة 753هـ /1352م ([2]).

وفي مدينة غزة وجد الكثير من المساجد والجوامع التي تعود للفترة المملوكيـة ، ويعود تركيز اهتمام المماليك ببناء المساجد في مدينة غزة كونها مركز النيابة ، حيـث قاموا بتشييد وترميم عدد كبير من هذه الجوامع والمساجد التي تعكس الآثار العمرانيـة التي ترجع إلى العهد المذكور ومنها جامع الشمعة الذي يقع في حـارة الزيتـون بحـي النجارين وسبب تسميته بهذا الاسم غير معروف ، كما لا تتوفر لدينا معلومات عن بانيه ، وفوق بابه الخارجي بلاطة من الرخام محطمة من جهتها اليسرى ، ويوجـد عليهـا نقش يتألف من سطرين بخط النسخ ،كما يلي " بسم ا الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد ا من امن با واليوم الأخر وأقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخشى إلا ا فعسى أولئـك أن يكونوا من المهتدين .أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء مرضاة ا وأتباع سـنة رسول ا العبد الفقير إلى ا تعالى سنجر بن عبدا الجاولي الملكي الناصري نائـب السلطنة الشريفة بالإعمال الساحلية والجبلية بغزة المحروسة اعز ا أنصاره بتاريخ ذي الحجة سنة أربعة .."([3]) . وهذا الجامع لم يبن من قبل "الأمير علم الدين سنجر الجاولي " بدليل أن البلاطة الرخامية الموجودة فوق بابه والتي يفهم منها أن الجاولي هو الـذي بناه ، مأخوذة من بقايا جامع الجاولي عندما هدم ذلك الجامع واندثر واخذ الناس ينقلـون

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 94 - 95 .
[2] ابن حجر العسقلاني. **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** . تحقيق محمد جاد الحق ، (القاهرة : مطبعة المدني ،1966-1967)ج1،ص 220 ؛ **الموسوعة الفلسطينية** : القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 92 .
[3] عارف العارف .**تاريخ غزة** .(القدس : مطابع دار الأيتام ،1943) ، ص340 .

حجارته من مكان إلى آخر([1]) . ومن جوامع مدينة غزة المملوكية جامع الشيخ عبـدا الايبكي([2]) ويقع هذا الجامع في حي التفاح وبجانبه مدفون "الشيخ عبدا الايبكي " مـن مماليك " الأمير عز الدين ايبك المشهور " . وجـامع ابـن عثمـان ويقـع فـي حـي الشجاعية([3]) ، بناه الشيخ احمد بن عثمان بن عمر بن عبدا الحنبلي الذي نزل غـزة ، واتخذ بها جامعا ، وكان مصلحا دينيا خيرا بصيرا ببعض المسائل وكـان للنـاس فيـه اعتقاد ، وكانت وفاته في صفر عام 805 هـ/أيلول 1402م([4]) .ويعتبر هذا الجامع من الجوامع الكبيرة والمشهورة في مدينة غزة .

ومن الجوامع المملوكية في مدينة غزة أيضا ،جامع الشيخ علي بن مـروان الـذي يقع في حي التفاح وفيه ضريح يقولون انه لولي ا الشيخ علي بن مـروان([5]) . يعتقـد الناس انه من أشراف المغرب ويزورونه ويتبركون به([6]) .

والجامع الكبير اكبر جوامع غزة ويقع في وسط البلدة القديمة ، وهو جامع اثـري ضخم جميل الشكل والهندسة، ويعتقد انه في الأصل كان كنيسة استعمل في بنائها الكثيـر من الحجارة والأعمدة الرخامية القديمة . عمر هذا الجامع مـرارا عديـدة فـي العهـد المملوكي ، ويبدو ذلك من النقوش الموجودة على أبوابه وجدرانه إلـى الآن ([7]).وجـامع المحكمة البردبكية ويقع في حي الشجاعية .أنشئ في القرن التاسـع الهجـري ، وكـان

---

[1] نفس المصدر : ص340 .
[2] الدباغ . **بلادنا فلسطين** .ج1ـب .ص 127؛ العارف . **تاريخ غزة** .ص340 .
[3] نفس المصدر : ص 342 .
[4] ابن حجر العسقلاني . **أنباء الغمر بأبناء العمر** .ج3 (حيدر آباد : مطبعة المعارف العثمانية ، 1967) ،ص 340 .
[5] العارف . **تاريخ غزة** .ص341 .
[6] نفس المصدر : ص 345 .
[7] الدباغ . **بلادنا فلسطين** .ج1ب، ص124-126 .

مدرسة ثم محكمة للقضاء . وقـد أسـس المدرسـة الأميـر برديـك الـدوادار عـام 859هـ/1455م أيام السلطان الملك الاشرف أبو النصر أينال العلائـي . وعلـى بابـه الشمالي يوجد بعض النقوش تشير إلى باني هذا المسجد([1]) . ومسجد الزاويـة الاحمديـة الذي يقع في حي الدرج ،وقد انشأ الزاوية التي بجانبه المنتمون إلى الطريقة البدوية فـي أوائل القرن الثامن للهجرة /الرابع عشر الميلادي ،وذلك نسبة إلى السيد احمـد البـدوي .ويشاهد الداخل إلى هذه الزاوية من جهة اليمين غرفة ، وفوق باب الغرفة بلاطـة مـن رخام كتب عليها نقش يشير إلى مؤسسها ([2]).ومسجد الطواشي ويقع في حي الشجاعية ، بناه رجل من أمراء المماليك في مصر وعرف باسمه ، وقد اعتـاد بعدئـذ رجـل مـن المغاربة يسمى الشيخ علي أن يصلي فيه وظل كذلك إلى أن مات فيه ، فسـمي (مسـجد المغربي) وبجانبه مدرسة انشأها في أواخر القرن الثامن للهجرة ، المعز السيفي شـاهين بن عبدا الكجكي أيام السلطان الملك الظاهر برقوق ([3]).ومسجد الظفرد مري ويقع فـي حي الشجاعية ، وأنشئ في القرن الثامن الهجري من قبل شهاب الدين احمد ازفيـر بـن الظفرد مري ، وفيه قبره([4]) .ومسجد الشيخ المغربي ويقع في حي الدرج ،وعلى العتبـة العليا للباب المخصص للدخول بلاطة من رخام وعليها نقش يتألف من سطرين . تشـير إلى مؤسس هذا المسجد([5]) .

---

[1] السخاوي . **الضوء اللامع**. ج3 ،ص 504 ؛**والموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني ، ص 93 .
[2] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** . ج7 ، ص 252-253 .
[3] العارف . **تاريخ غزة** .ص350 .
[4] نفس المصدر .ص350.
[5] عطا الله .**نيابة غزة في عهد المماليك** . ص 241 .

وهذه الجوامع والمساجد ما زالت قائمة إلى اليوم وتقام فيها الصلوات . أما موارد الأنفاق عليها فكما يظهر من بعض النقوش ، كانت من الأوقاف التي أوقفت عليها .

وهناك العديد من الجوامع والمساجد التي كانت مشهورة في ذلك العهد واندثرت مع الزمن وهي جامع البيمارستان وسط المدينة وكان يقع شرق الجامع الكبير وكان به رباط([1]) ، أنشأه السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون عام 730هـ /1329م ([2]).وجامع الجاولي وكان يقع في حي الزيتون وكان عامرا أيام الرحالة ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) ووصفه بقوله " وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض"([3]) . وقد أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجاولي([4]) .وجامع قايتباي أنشئ في أواخر القرن التاسع للهجرة /الخامس عشر للميلاد ، والذي أنشأه السلطان الملك الاشرف أبو النصر قيتباي([5]) .ومسجد الاندلسي الذي بني في القرن الثامن للهجرة /الرابع عشر للميلاد ، وسمي بذلك لان الشيخ علي الاندلسي مدفون فيه وكتب على قبره العبارة التالية " هذا قبر الفقير رحمه ربه علي بن احمد الاندلسي ، توفي في شهر رجب سنة 759هـ/ 1357 ([6]).ومسجد ركن الدين التركماني بناه ركن الدين عمر بن خليل التركماني الغزي

---

[1] المقريزي . **الخطط** .ج3 ،ص 422 .
[2] العارف . **تاريخ غزة** .ص 352 .
[3] أبو عبدالله محمد ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** .(بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ،1997) ،ص 54 .
[4] العارف . **تاريخ غزة** . ص352 .
[5] نفس المصدر :ص 352 .
[6] نفس المصدر :ص353 .

عام 782هـ /1380م([1]) .ومسجد الشيخ مسافر أنشأه الحاج سعد الدين مسافر بن قتيغلي احد المماليك السلطانية عام 706هـ /1306م ([2]).

وفي مدينة يافا يوجد جامع مملوكي واحد هو جامع الشيخ رسلان في البلدة القديمة ، وينسب إلى الشيخ شهاب الدين بن رسلان الرملي (775 هـ -844 هـ/1373-1441م ([3]).

د. الزوايا

الزاوية في الأصل ركن البناء ، وهي نوع من الخوانق ، أصغر مساحةً منها ، ولا تتسع إلا لعدد محدود من المتصوفة والزهاد . وتضم الزاوية كل أو بعض الأشياء التالية : غرفة للصلاة ، محراب ،ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة ؛ غرفة أو غرفاً مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبـة ، مكتبـه أو مدرسة لتحفيظ القرآن ([4]).غير أنه كان يغلب وجود تلك الزوايا في البراري والجهـات المهجورة بعيداً عن العمار ، وربما استمدت اسمها من ذلك . أي الانـزواء والانطـواء والبعد عن حياة العامة والأسواق ، وزوى الشيء أي نحاه ، وانزوى القوم بعضهم إلـى بعض أي تدانوا وتضامنوا([5]).

---

[1] نفس المصدر :ص353 .
[2] نفس المصدر : ص353.
[3] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول،المجلد الثاني.ص 94 .
[4] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الثاني ،المجلد الأول ،ج2 ،ص 377 .
[5] ابن منظور . **لسان العرب** . ج14، ص363_364 .

ويبدو أن بداية ظهور الزوايا كانت في إيران في القـرن الرابـع الهجـري / العاشر الميلادي . ثم أخذت تنتشر غرباً إلى أن دخلت الشام ومصر في عصـر صـلاح الدين الأيوبي([1])، وتعتبر فترة حكم صلاح الدين الأيوبي فترة مهمة في تـاريخ ظهـور الزوايا والحركات الصوفية بشكل عام وذلك بسبب توفر الدعم من الحكومات والسـلاطين المسلمين لظاهرة التصوف، التي أصبح يعول عليها في دورها الهام في التصـدي للمـد الشيعي الذي رعاه الفاطميون ، مما شجع قدوم أعداد كبيـرة مـن الزهـاد والمتعبـدين والصالحين للاعتكاف بالقرب من الأماكن المقدسة في القدس.

ومما هو جدير بالإشارة أن حكومة المماليك بدأت منذ السـنوات الأولـى لحكـم السلطان برقوق 784-801هـ /1382-1398 م في تشجيع إنشاء الزوايا والخوانق . وتركز معظمها في القدس والخليل ونابلس ([2]).

وقد أفرد مجير الدين الحنبلي، فصلا خاصا ذكر فيه الكثير من الزوايا التي تـم تأسيسها في المدن الفلسطينية في عهد المماليك .

كما هو متوقع فان المماليك بنوا زوايا وخوانق في القدس أكثر من غيرهـا مـن المدن الفلسطينية وذلك لمكانتها الدينية بالنسبة للمسلمين .وقد بلغ عـدد الزوايـا التـي وردت في الأنس الجليل أكثر من 18 زاوية ، وقد قال مجير الدين :وفي المدينة عدة

---

[1]المقريزي . **الخطط** .ج4 .ص 273 .
[2] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني، ص375 .

أماكن من الزوايا ..لا فائدة من ذكرها وإنما ذكرت ما هو مشـهور[1] . ومـن هـذه الزوايا:

الزاوية الكبكية وتقع في مقبرة ماملا [2] . سميت بهذا الاسم نسبة إلى منشـئها الأمير علاء الدين ايدغي بن عبدا الكبكي المدفون فيها سنة 688هـ/1289 م [3].

الزاوية الشيخونية ، وجدت في باب حطة بالقرب من المدرسـة الصـلاحية . واقفها هو الأمير سيف الدين قطيشا بن علي بن محمد سنة 761 هـ/1359م . وكان مجاوراً في القدس وجعل نظارة الزاوية لنفسه ، ثم من بعده لولده شيخون الذي سميت الزاوية باسمه[4] .

الزاوية المهمازية وسط حارة حطة شمال غرب المدرسة الصلاحية شمال طريق ستنا مريم [5] ، تنسب للشيخ كمال الدين المهمازي. وقـف عليهـا الملـك الصـالح اسماعيل بن محمد بن قلاون قرية بيت لقيا من أعمال القـدس وتـاريخ وقفهـا 745 هـ/1344م .وبها قبر رجل من ذريته اسمه الشيخ خير الدين خضر المهمازي الذي توفي في شهر شوال 747 هـ/1346م [6] ،

---

1 مجير الدين .**الأنس الجليل .** ج 2 ،ص 41-48 .
2 ماملا: مقبرة إسلامية ووقف إسلامي صحيح وتقع في الجانب الغربي من القدس القديمة ؛ العارف .**المفصل في تاريخ القدس** .ص 200 .
3 احمد عبدا لله يوسف . **من أثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس** .ج1.(وزارة الأوقاف والشؤون الدينية . مؤسسة أحياء التراث والبحوث الإسلامية بيت المقدس 2000) ، ص 248 .
4 مجير الدين. **الأنس الجليل**.ج2 .ص 41 .
5 نفس المصدر :42 .
6 العارف .**المفصل في تاريخ القدس** . ص 246 .

الزاوية الطواشية وتقع بحارة الشرف التي كانت تعرف قديماً بحـارة الأكـراد . أوقفها شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بن فخر الدين المجاور في بيت المقدس سنة 753هـ/ 1352م([1]) .

الزاوية البسطامية ، ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليـل أن اسـم البسطامية أطلق على زاويتين الأولى أسفل صحن الصخرة من جهة الشرق([2]) وكانت مقرا لاجتماع فقراء البسطامية ، أما الثانية فهي بحارة المشارقة([3]) ، التـي تعـرف اليوم بحارة السعدية . أوقفها الشيخ عبدا بن خليل بن علي الأسد أبادي البسـطامي . أقيمت قبل سنة (770هـ -1368م)([4]).

زاوية أبي مدين الغوث أنشئت في حي المغاربة عام 720 هـ : 1320 م ([5]). وواقفها الشيخ الإمام العارف أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي([6])، بل أن الوقـف كان يعرف بأوقاف أبي مدين الغوث .

الزاوية اليونسية بباب الناظر وهي عبارة عن كنيسة حول جزء منهـا إلـى مدرسة والجزء الآخر إلى زاوية قبل 790هـ/1388م . نسبتها للفقـراء اليونسـية ، والجهاركسية نسبة إلى واقفها الأمير جهركس الخليلي أميـر أخـو الملـك الظـاهر برقوق([7]).ولا تزال معمورة حتى الآن.

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل** . ج2 .ص 45 .

[2] .نفس المصدر .ج2 ،ص48،33، 162 .

[3] نفس المصدر .ج2.ص48

[4] نفس المصدر :ص 47 .

[5] الدباغ . **بلادنا فلسطين.** ج6 ، ص267 .

[6] أبـو مـدين شـعيب بـن الحسـين الاندلسـي ،صـوفي ، زار مكـة والقـدس الشـريف بعـد الفـتح الصـلاحي لبيـت المقـدس سـنة 583هـ/1197م ؛ العارف .**المفصل في تاريخ القدس** .ص 498 .

[7] مجير الدين .**الأنس الجليل**.ج2 ،ص 44.

الزاوية المحمدية بجوار المدرسة البارودية بباب الناظر . سميت الزاوية باسـم واقفها محمد بك زكريا الناصري سنة 751هـ /1350م([1]) .

الزاوية الادهمية ، خارج سور المدينة ،وتبعد قرابة مائة متر إلى غرب باب الساهرة وهي عبارة عن كهف واسع بأسفل جبل الساهرة وتحت مقبرة باب الساهرة ، وأقيم بقربها مسجد([2]) . ويقول مجير الدين الحنبلي "أن الكهف يعرف بمغارة الكتان ، وان سطح هذا الجبل يستعمل مقبرة لدفن الأموات .وان معمر هذه الزاوية هو الأميـر منجك نائب الشام سنة762هـ /1361 م "([3]).

زاوية الأزرق ، بظاهر القدس من جهة القبلة ونسبت إلى الشيخ إبـراهيم الأزرق وعرفت أيضا بزاوية السرائي([4]) .

الزاوية اللؤلؤية داخل سور المدينة تبعد نحو 150 م إلى جنوب شرق باب العمود ضمن مبنى المدرسة اللؤلؤية . وواقفها هو الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي سنة 775هـ /1373م([5]) .

الزاوية القرمية، هذه الزاوية بحارة القرمي قرب حارة الواد . منشئها هو الشـيخ العالم التركماني الأصل شمس الدين أبو عبدا محمد بن احمد القرمي . وقـد ذكـر مجير الدين الحنبلي انه كان مشهورا بالتقى والورع حتى أن الملوك كانت تـأتي إلـى بابه للتبرك منه، وقد توفي بالقدس سنة 778هـ/1376م . ([6])

---

[1] نفس المصدر: ص44 .
[2] العارف .**المفصل في تاريخ القدس** . ص499 .
[3] مجير الدين .**الأنس الجليل** . ج2. ص 48 ، 63، 165 .
[4] نفس المصدر: ص46 .
[5] العارف .**المفصل في تاريخ القدس** . ص500 .
[6] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2.ص 161 .

الزاوية الوفائية هذه الزاوية عند باب الناظر مقابل المدرسة المنجكية بـالقرب من سور الحرم . تنسب إلى منشئها تاج الدين أبو الوفا محمد . أنشئت في بداية القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي وتكون البناء من طابقين وفيه الكثير من الغرف والقاعات ([1]).

زاوية الشيخ يعقوب العجمي بالقرب من القلعة وكان أصـلها كنيسـة (كنيسـة القديس جيمس الصليبية) حولت إلى زاوية في القرن التاسع الهجري /الخامس عشـر ميلادي . وقال مجير الدين الحنبلي أنها اشتهرت وقتئذ بزاوية الشيخ شمس الدين ابـن الشيخ عبدا البغدادي احد العدول بالقدس . وكان سكنه فيها وهي غير موجودة فـي الوقت الحاضر([2]) .

زاوية الشيخ خضر، هذه الزاوية بظاهر القدس من الغرب، بناها الظاهر بيبرس للشيخ خضر العدوي المهراني الكردي سنة 660هـ/1261م ([3]). ولم يبق منها اثـر يدل عليها .

الزاوية القلندرية هذه الزاوية وسط مقبرة ماملا في الجزء الغربي مـن المدينـة، أسسها الشيخ إبراهيم القلندري ونسبت إليه ، وجعلها مقاما له ولجماعته من الفقـراء ، والسيدة طنشق المظفرية كانت تحسن للشيخ إبراهيم القلندري وعمرت له الزاوية سنة 794هـ/1391م ([4]).

[1] محمد كرد علي .**خطط الشام** .ج6 (بيروت : دار العلم للملايين ، 1971)،ص 148 .
[2] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الثالث ،ص540 .
[3] ابن كثير.**البداية والنهاية** . ج13 .ص 300 .
[4] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2،ص 64-65 .

زاوية الشيخ حيدر في حارة الشرف في بيت المقدس عند قنطرة تسمى قنطـرة دار غنيم ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى معمرهـا الشـيخ حيـدر، وعمـرت سـنة 674 هـ/1275م للفقراء الاحمدية . وذكر لنا صاحب كتاب الأنـس الجليـل بـان حـارة الحيادرة سميت بذلك نسبة إلى الزاوية الخاصة بطائفة الحيادرة ([1]) .

زاوية المغاربة وجدت هذه الزاوية بأعلى حارة المغاربة ، سـميت بـذلك نسـبة للمغاربة الوافدين لبيت المقدس. وسميت أيضا بزاوية المصمودي([2]). وقفهـا الشـيخ عمر بن عبد ا بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد على الفقـراء والمسـاكين سنة 703 هـ / 1303 م([3])، وكان رجلاً صالحا . توفي بالقدس ودفن بمقبرة ماملا ، وتضم الزاوية مسجدا ومقاما لأحد الأولياء الصالحين([4]).

وفي مدينة نابلس وجدت بعض الزوايا التي تعود إلى العصر المملوكي نذكر منها :

زاوية الشيخ عبدا بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسـي (ت 672هـ /1273م) وتقع زاويته في أعلى جبل جرزيم([5]) .

زاوية الشيخ عبد الحافظ بن بدران ،كانت هذه الزاوية تقع غرب جامع النصر . مؤسسها العماد عبد الحافظ بـن بـدران بـن شـبل النابلسـي الـذي تـوفي سـنة 698هـ/1298م بطور عسكر ودفن بها([6]) .

---

[1] نفس المصدر : ص52 .
[2] نفس المصدر : ص 45-46..
[3] نفس المصدر : ج2، ص 45 ؛ السخاوي . **الضوء اللامع** ،ج3، 187 .
[4]نفس المصدر: ص46 .
[5] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص 383 .
[6] العزة .**نابلس**.ص 150 .

وساهمت هذه الزوايا في تقديم خدمات تعليمية وتنشيط الحياة العلمية في المـدن والقرى، وانحصر دورها في تدريس القران والحديث والفقه والتصوف ، إضافة إلـى الخدمات المعتادة التي تقدمها للفقراء والمساكين والزوار .

ووجد في مدينة الخليل العديد من الزوايا التي يمكن إرجاع تاريخ إنشـائها إلـى العهود الأيوبية والمملوكية . ودليلنا في التعرف على هذه الزوايا مـا ورد فـي كتـب الرحالة والمؤرخين الذين زاروا مدينة الخليل وكتبوا عنها . حيث أشـار مجيـر الـدين الحنبلي لها في معرض حديثه عن تاريخ مدينة الخليـل. وهي على النحو التالي :

زاوية الشيخ خضر في حارة قيطون ، للشيخ أبو العباس خضر بن أبي بكـر بـن موسى العدوي . بناها الملك الظاهر بيبرس للشيخ خضر سنة 666هـ/ 1267م أثنـاء زيارته للمدينة ، ورتب لها من مال البلد راتباً يجري على الفقراء المقيمين بها والواردين عليها([1]).

زاوية الشيخ " عمر المجرد "، كانت هذه الزاوية تقع قرب المسجد الإبراهيمي الشريف خاف مسجد الجاولي من الجهة الشرقية بحارة الأكراد ، ولم يفصل بينها وبين سور الحرم سوى شارع صغير عرضه يتراوح من مترين إلى ثلاثة أمتار،وكانت تعرف باسم زاوية الشيخ " عمر المجرد " ،الذي أسسها في العام 775 هـ/1373م.

زاوية أبي الريش، هذه الزاوية كانت بحارة رأس قيطون ، على الطرف الشمالي للحارة،وكان يفصلها عنها الطريق الرئيس المتجه إلى الجنوب والمؤدي إلى قريتي يطا

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ، ص 78-89 .

وبني نعيم ، حيث البوابة والجدار الغربي للزاوية بمحاذاة الشارع مباشرة([1]) .وعرف الناس هذه الزاوية بأكثر من تسمية عبر سنين وجودها ، فقد ذكرها مجير الدين باسم " رباط مكي " ([2]).

زاوية كنعوش (الأدهمية) ، وكانت على الطرف الغربي من بركة السلطان في وسط مدينة الخليل القديمة . وحدها من الشمال كانت حاكورة كنفوش . ومن الجنوب جامع كنفوش ، ومن الشرق ساحة المدرسة التي كانت تعرف بأسم مدرسة المعارف .وحدها من الغرب الطريق العام ([3]).

زاوية الأشرف، وكانت بجوار عين الطواشين على باب المسجد الشمالي بالقرب من السور ،وتنسب إلى آل الشريف بالخليل، ويرجع آل الشريف بنسبهم إلى الشـيخ محمـد المقري الذي قدم من الساقية الحمراء من المغرب إلى الخليل في القرن السابع الهجـري وانشأ هذه الزاوية . وكانت هذه الزاوية تدعى سابقا باسم زاوية المغاربة وبهذا الاسـم ذكرها مجير الدين ولعبت دورا هاما في تطور الحركة الصوفية في الخليل([4]) .

وهناك زوايا أخرى مملوكية في مدينة الخليل منها: زاويـة الشـيخ عبـد الرحمن الأرزرومي بحارة الأكراد ، وزاوية السمانية بجوار زاوية الشيخ عمر المجـرد ،وزاوية المدرسة القيمرية عند باب المسجد الشمالي بـالقرب مـن عـين الطواشـي([5]) .وزاوية الشيخ علي البكا بحارة الأكراد ([6]) .

---

[1] نفس المصدر :ج.ص 73 .
[2] نفس المصدر :ص79 .
[3] نفس المصدر :ص79..
[4] نفس المصدر :ص 78 .
[5] الدباغ .**بلادنا فلسطين** .ج9.ص 105 .
[6] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2 . 78.

وفي مدينة غزة وجدت بعض الزوايا التي تعود للعصر المملوكي منها :

الزاوية الاحمدية ،وكانت في حي الدرج. وهذه الزاوية أنشاها المنتمـون إلـى الطريقـة البدوية عام 736هـ /1335م بجانب مسجد الزاوية الاحمدية ، وذلك انتسابا إلى السـيد احمد البدوي([1]) المتوفي بطنطا سنة 675هـ/1276م .وأتباعه ما زالوا منتشـرين فـي جميع أرجاء مصر وشارتهم العمامة الحمراء([2]) .

وفي مدينة صفد وجدت بعض الزوايا التي تعود للفترة المملوكية منها :

زاوية حسام الدين بن عبدا الصفدي،وكانت في حارة يعقوب ، توفي منشؤها سنة 816 هـ /1413 م([3]) .وزاوية الشيخ شمس الدين بظاهر صفد من الشرق ومؤسسـها شـيخ الربوة الدمشقي محمد بن طالب الأنصاري صاحب كتاب نخبة الدهر في عجائـب البـر والبحر . عاش من سنة 654 هـ الى727هـ/ 1256م-1327م([4]) .وزاوية بنات حامد بالقرب من المسجد الأحمر ، وصفها الرحالة التركي أوليا جلبي بأنها تحفة تمثل بنايـات عصر المماليك ، شديدة الارتفاع تعلوها قبة عظيمة . وقد كتبت المراسيم السلطانية علـى ركن البناء الجنوبي بخط كبير . وفي الزاوية ضريح موسى بن إقطاي نائب السلطنة فـي صفد المتوفى سنة 774هـ -1469م وضريح زوجته وهي إحدى بنات حامد الـ درويش

---

[1] هو الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان احمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المقدسي الأصل البدوي المعروف بابي اللثامين السطوحي ، ولد عام 596هـ/1199م ، توفي بطنطا عام 675هـ/1276م ؛ ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** .ج7 ، ص252-253 .

[2] عطاالله . **نيابة غزة** .ص 238 ،ص 244 .

[3] ابن حجر . **أنباء الغمر** ،ص34 ؛ السخاوي . **الضوء اللامع** ،ج3 ، ص90 .

[4] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الثاني ،ص383 .

الفقير من أهل صفد([1]).وزاوية جب يوسف ([2]) ويعتقد انه الجب الذي القي فيـه سـيدنا يوسف ،ويقع هذا الجب في صحن المسجد وعليه زاوية وهو مزار .

نستنتج مما تقدم أن معظم الزوايا التي انتشرت فـي أنحـاء فلسـطين ، هـي مؤسسات شخصية وهي عبارة عن مقر رجل من الأتقياء ، يجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ ، وفيها مصلى . ومعظم الزوايا والخوانق تركزت في مدينتي القدس والخليـل والقليل منها في صفد،وغزة، ونابلس. ولم تكن مقصورة على الصوفية وإنمـا شـغلها زهاد ومتعبدون آخرون . ولم يبق منها في الوقت الحاضر إلا بعض الآثار .ومـا هـو موجود من زوايا قائمة ماثلة حتى اليوم يرجع إلى عصر المماليك الذين اجتهـدوا فـي تعمير زوايا ومنشآت كانت موجودة قبلهم ، فضلا عن إنشاء مؤسسات جديدة . وللدلالة على الاهتمام المملوكي بظاهرة التصوف ، أن الصوفية كانت من الطوائف المعترف بها رسمياً ، حيث كان شيخهم يعين من قبل السلطان مباشرة ، كما أن ديوان الإنشاء حـدد ألقابهم وأسلوب مكاتبتهم([3]) .

هـ . المزارات

يقصد بها الأماكن الدينية التي قامت على أضرحة بعض الأولياء والصالحين([4]) ، وارض فلسطين ارض الأنبياء والأولياء والصالحين عاش ومات فيها منهم عدد لا

---

[1] نفس المصدر . ص 383
[2] ابن بطوطة .**رحلة ابن بطوطة** ،ص62 .
[3] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج12 ، ص: 293_294 .
[4] عطا الله .**نيابة غزة**.ص 221 .

يضاهيها في كثرته بلد آخر ، فلا عجب أن انتشرت المقامات والمزارات والمشاهد في طول البلاد وعرضها في المدن والقرى وعلى أطراف الصحاري ورؤوس الجبال([1]) .

وكانت المزارات تبنى غالبا على شكل قبة أو أبراج اسطوانية ذات سقف مخروطي،وكان المماليك قد أكثروا من إقامة المزارات والمشاهد والمقامات بعد استرجاع فلسطين من الصليبيين . ويطلق على المزار عدة تسميات منها المقام ،والقبة، والمشهد . وهذه التسميات وان اختلفت جميعها في معظم الحالات بناء رباعي الشكل ، له باب منخفض،ونافذة واحدة على الأغلب . وفي أكثر الحالات يكون ذا قبة . أما في الداخل فهناك " طاقة " أو أكثر ، غير نافذة تشبه الخزانة الطويلة ([2]).

وهناك في العادة محراب بجانب القبر الذي يكون وسط غرفة المقام . وفي حين إن أكثر المقامات تقتصر على غرفة أو غرفتين وساحة فان بعضها يتألف من عدة غرف فيها مسجد ملحق بالمقام ، أو كتاب ، أو مسكن الشيخ أو الخطيب القيم على المكان ،أو مضافة ،أو مكان لغسل الموتى . وهناك نوع آخر من المقامات الكبيرة التي تحتوي على غرف متعددة لإقامة الزوار والحجاج . وهذه المقامات هي في العادة للأنبياء ، كمقام النبي موسى ومقام النبي صالح([3]) . والمقامات التي وجدت في فلسطين على عدة أنواع منها ،مقامات فيها أضرحة أما بداخل مبناها وأما في الساحة المجاورة لها .ومقامات بلا أضرحة ،وكأنها أقيمت تخليدا لولي مع الاعتراف الضمني بأنه غير مدفون فيها .هذا بالإضافة إلى قبور بلا أي نوع من أنواع الأبنية . أو كهوف تضم أضرحة أو لا تضم .

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الرابع ،ص 257 .
[2] نفس المصدر :ص 258 .
[3] نفس المصدر: ص 256 ، ص390 .

ومثال على ذلك مغارة الادهمية في القدس . وكذلك مقامات تتألف من سور بسيط محيط بقطعة ارض .أو مقامات تقتصر على شجرة أو كومة من الحجارة .

أما من حيث موقعها فيلاحظ أن اغلبها أقيم في قمم الجبال والقليل منها في الأودية والسهول .وهناك أيضا صلة بين هذه المقامات والأشجار والكهوف والينابيع ، فكثير منها أقيم على مقربة من هذه الأشياء ([1])، وكانت هذه الأشياء علامة عليه .وحكام المماليك ومن قبلهم الأيوبيين اهتموا بتعمير المقامات .ومن الأمثلة على ذلك في المدن الفلسطينية :

وجد في مدينة القدس مقام الشيخ محمد القرمي في حارة الواد وهو رجل صوفي بارز من رجال القرن الثامن الهجري توفي سنة 788هـ/1386م([2]) .

وفي مدينة الخليل وجد الكثير من المزارات التي تم انشاؤها في عهد المماليك منها ، مشهد الأربعين بظاهر البلدة من جهة الغرب على راس جبل (يعرف اليوم موقعه باسم الرميدة) يقال أنه قبر به 40 شهيدا ([3]).وضريح الشيخ علي البكا وكان مجاهدا ومن أولياء ا في أيام الظاهر بيبرس توفي في الخليل سنة 670هـ/1271م .ومقام عمر المجرد في زاوية عمر المجرد .وهو الشيخ أبو حفص عمر بن نجم البغدادي . توفي بالخليل سنة 795هـ /1392م . بالإضافة إلى مقام الشيخ إبراهيم الهدمي الذي يقع في قرية الشيوخ 6كم شرقي الخليل . وهو ولي صالح أصله كردي قدم إلى القدس والخليل وتوفي سنة 730هـ/1329م([4]) .

[1] نفس المصدر : ص 258 .
[2] نفس المصدر :ص 259 .
[3] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2 .ص 80 .
[4] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،المجلد الرابع ، 261 .

وفي مدينة نابلس وجد العديد من المقامات التي أنشئت في عهد المماليك منها مقام مجير الدين ويقع في سفح الجبل الشمالي وهو من قادة المماليك المشهورين بمحاربة التتار استشهد سنة658هـ /1259م واسمه إبراهيم بن أبي بكر ابن زكريا .ومقام الشيخ بدران ويقع غرب جامع النصر وهو عبارة عن زاوية ومسجد ومدرسة . أسسها العماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي المتوفي سنة 698هـ/1298م .ومقام عماد الدين يقع في جبل عيبال وهو ضريح طوله أربعة أمتار وفيه مسجد . يقول الدباغ في موسوعة بلادنا فلسطين " أن هذا المقام يضم رفات المجاهد علي بن شجاع الذي استشهد مع مجير الدين سنة 658هـ/1259م على يد التتار . كما يقول إحسان النمر :"هو عماد الدين بن سيف الدين المشطوب من قادة صلاح الدين "([1]) .

أما مدينة غزة فقد وجد فيها العديد من المزارات التي تم انشاؤها في عهد المماليك منها مزار الشيخ محمد بن طريف الغزي في حي الدرج([2])وهو من الأولياء الصالحين، توفي سنة 874هـ/ 1475م .ومزار الشيخ أبي العزم وهو من الأولياء الصالحين المغاربة ، وهو محمد شمس الدين أبو العزم . نزل غزة في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي .بالإضافة إلى مزار سلمان الفارسي([3]) في قرية أسدود ، وهو في مغارة وينزل إليه بدرج وعليه قبة عظيمة ، عمره الظاهر بيبرس وبنى عليه مسجدا سنة 667هـ/1268م ، وأقيم على هذا المشهد مسجد أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس

---

[1] نفس المصدر : ص 262 .
[2] العارف .**تاريخ غزة** .ص 353 .
[3] عطاالله .**نيابة غزة** . ص 223.

وعلى باب تلك المغارة يوجد نقش ، يتألف من تسعة اسطر تشير إلى مؤسسه([1]) . ومقام الشيخ إبراهيم المتبولي([2]) وهو الشيخ إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي الأحمدي الصوفي، وهو مصري الأصل ،نزل أسدود ومات فيها سنة 877هـ/1472م ،وهو صاحب الزاوية والبستان ببركة الحاج ، وكان ذا معرفة تامة بالتربية مع كونه أميا وذا عقل راجح ، واتصف بكثرة التعبد. ويقع هذا المزار إلى الشرق من مزار سلمان الفارسي، ويضم ثلاث غرف احداهما ضريح الإمام ، وأخيرا مقام الشيخ احمد العريني ويقع في عراق المنشية وبني المقام سنة 717هـ/1317م([3]) .

وفي مدينة الرملة وجد مقام الفضل بن عباس ابن عم الرسول في الرملة. بنى الأمير شاهين الكمالي على هذا المقام مسجدا ومنارة سنة 854هـ/1450م . ومقام أبو العون محمد الغزي موقعه في مقبرة الفاروقي . وهو شيخ من شيوخ السادة القادرية توفي سنة 910هـ/1504م .ومقام الشيخ محمود العدوي في حارة العنابة ، وهو ولي صالح له كرامات . كان موجودا سنة 668هـ/1269م .ومقام الشيخ أبو العباس احمد الاشموني في سوق الفاكهيين بالرملة وهو من أولياء ا .كان موجودا 815هـ/1412م ([4]).

وأخيرا وجد في مدينة صفد مزارات تم تأسيسها في عهد المماليك منها :

غار النبي يعقوب ويدعى مقام الأحزان ، إذ فيه كما يعتقد حزن النبي يعقوب على ولده يوسف. ويطلق عليه أيضا زاوية النبي يعقوب وقد جرى ترميم للمغارة سنة 815 هـ/ 1412م وهو الآن مزار يهودي ، وقد أزيلت النقوش العربية التاريخية منه. ومقام

---

[1] الصفدي **. الوافي بالوفيات** . ج15 .ص 473 .
[2] عطا الله .**نيابة غزة**. ص 221 .
[3] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الأول ،المجلد الرابع ،ص266 .
[4] نفس المصدر :ص 266 .

مغارة بيت الأحزان في سفح قلعة صفد ، فيها قبور يعقوب وأولاده ، وعمر هذا المقر فوزي الادهمي 815هـ/1412م . بالإضافة إلى مقام ضريح البشير الذي كان يقع في مغارة بيت الأحزان . والبشير هو الذي جاء بقميص يوسف إلى أبيه . عمر المقر السيفي دبل كافل المملكة الصفدية سنة 805هـ/1402م ([1]).

و. الحمامات العامة

تعتبر الحمامات العامة من المؤسسات الاجتماعية التي اهتم بها سلاطين المماليـك ، والتي قصدها الناس من مختلف الطبقات رجالا ونساء للاستحمام وللمحافظة على طهـارة الجسد وصحة البدن ، لان الناس في ذلك العصر لم يألفوا الاستحمام في منازلهم ، ولعـل السبب في ذلك راجع إلى مشاكل الصرف الصحي ، وعليه لم تكن هناك حمامات داخـل المنازل بصفة عامة([2]) .

كان يراعى في بناء الحمامات العامة اختيار الموقع ، الكثافة السكانية ، والقـرب من المسجد ، والأحياء المزدحمة، بالإضافة إلى وفرة الماء في المنطقة([3]) . أمـا البنـاء نفسه فكان يشيد من الحجارة وواجهاته كانت بدون فتحات وكان له بـاب متسـع بعـض الشيء يشابه أبواب المساجد وتغطى جميع الحمامات بقباب كروية بها فتحـات صـغيرة مغطاة بالزجاج بهدف إدخال الضوء إلى داخل الحمام. وامتازت جدران الحمام بعـرض الجدران حتى لا تؤثر فيها درجات الحرارة والأمطار ،وكانت تطلى من الأسفل بالقار أما النصف العلوي فكان يطلى باللون الأسود الذي يختاره صاحب الحمام، أما أرضية الحمام

---

[1] نفس المصدر : ص 259-269 .
[2] علي السيد .**القدس في العصر المملوكي** .ص 245 ؛ ابن حجر .**الدرر الكامنة.** ج1 ،ص522 .
[3] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الثاني ،المجلد الثاني ،ص 603 .

فتغطى بالرخام الأبيض والأسود .أما من حيث التصميم الداخلي للحمام فروعي فيه توفر شروط معينة للانتقال من مرحلة إلى أخرى، بشكل تدريجي من الجو البارد إلـى الحـار وبالعكس حرصا على سلامة الزبون . وكان الحمام يتألف من عدة غرف ([1]) الغرفـة الأولى التي يجلس فيها الزوار للراحة سواء قبل الاستحمام أو بعده ،وكانت تدعى المشلح ، وهي غرفة غير مدفأة وكانت تحتوي على بركة صغيرة وعلى مصاطب من الحجر أو الرخام ترتفع قليلا عن أرضية الحمام حيث يتم فيها خلع الملابس واستبدالها بالمـآزر ، ويتجاذب المستحمون فيها أطراف الحديث وتقدم لهم فيها المشروبات([2]) . وكانت تعلـو هذه الغرفة قبة بها فتحات ركب فيها الزجاج الملون . ومن هذه الغرفة كان المسـتحمون ينتقلون عبر دهليز إلى غرفة ثانية أدفا من الأولى لقربها من وسط الحمام الساخن . وهذه كانت مزودة أيضا بمصاطب يجلس عليها المستحم ليتعود على حرارة الحمام ، ويمكن أن تستعمل في الشتاء كمشلح سخن . وبعد هاتين الغرفتين كان المستحم ينتقل إلـى الجـزء الثالث من الحمام وهو الجزء الساخن . وكان هذا الجزء أحيانا يتألف من غرفتين غرفـة مسخنة أولى وغرفة بخار ثانية (بيت النار) وكان في هذه الغرفة مصاطب ومقصورات وأحواض ومغاطس للماء الساخن . وكان يلحق فيها خلوات فيها مغاطس وحنفيات مـاء ...الخ([3]) . ويلحق بهذه الأجزاء المفتوحة للجمهور مستوقد الحمام أو الفرن الـذي يمـد الحمام بالحرارة . وكان يحتوي عادة على قدور من النحاس تملا بالماء الذي يغلي ويندفع هو والهواء الساخن من المستوقد عبر أنابيب من الرصاص أو الفخار تمتد في الجدران أو

---

[1] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص137 .
[2] عاشور . **المجتمع المصري**.ص94-95 .
[3] ابن الأخوة . **معالم القربة**.ص240 .

تحت أرضية الحمام ، وكان الماء يجلب من بئر أو بركة بجوار الحمام ويرفع عن طريق ساقية أو يكون موصولا بشبكة المياه العامة في المدينة إن وجدت أو كان ينقل إلى الحمام بالروايا أو القرب ([1]).

وكان يقوم على الحمام رئيس يدعى بالحمامي أو المعلم ويتبعه عدد من الموظفين تختلف تسمياتهم من مدينة إلى أخرى ومنها (الوقاد الذي يشعل الفرن) والزبال الذي يزود الموقد بالزبل وروث الحيوانات ، وصاحب الصندوق المسؤول عن الملابس ، والمزين (الحلاق) ، والحجام الذي يفصد الدم . وقد حل محل (المزين،والحجام) فيما بعد شخص يدعى بالمكيس أو الكياس يقوم بهذه الأعمال ([2]).وكان كل زبون يرتاد الحمام يدفع رسما محددا مقابل الخدمات التي قدمت له([3]) .

وكان المحتسب يشرف على عمل الحمامات ، كما كان يشرف على مرافق المدينة الأخرى بصورة عامة ([4]) . ويمدنا محمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الإخوة بمعلومات طريفة عن الحسبة في الحمامات في كتابه " معالم القربة في أحكام الحسبة " وكذلك عن الحمامات بصورة عامة([5]) . وفيما يلي مقتطفات من الكتاب المشار إليه عن نظافة الحمام وآداب الاستحمام :

" وينبغي أن يأمرهم المحتسب بغسل الحمام وكنسه وتنظيفه بالماء الطاهر عبر ماء الغسالة، يفعلوا ذلك مرارا في اليوم وان يدلكوا البلاط بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها

[1] نفس المصدر :ص241 .
[2] هلال الصابي . **رسوم دار الخلافة** .(بغداد ، 1964)، ص19 .
[3] العسلي .**من أثارنا في بيت المقدس** .ص 163-164 .
[4] ابن الأخوة.**معالم القربة**. ص 241 ؛ غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** ،ص 137 ؛ يوسف غوانمة . **التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي** .(عمان :دار الفكر ،1982) ،ص 187 .
[5] ابن الأخوة.**معالم القربة**.ص155-157 .

السدر والخطي فينزلق الناس عليها ،وان يغسلوا في كل يوم حوض النوبة من الأوسـاخ المجتمعة فيه، وكذلك الفساقي والقدور من الأوساخ المجتمعة من المجاري والعكر الراكد في أسفلها في كل شهر مرة ،لأنها إن تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيهـا مـن الطعـم والرائحة . ولا يسدوا الأنابيب بشعر المشاطة بل يسدوها بـالخرق الطـاهرة أو الليـف الطاهر ليخرج من الخلاف ويستعمل فيها البخور في اليوم مرتين بالحصا اللبان الذكر أو اللادن ...ويلزم صاحب النوبة باستعمال الأمواس الجيدة الفولاذ حتى ينتفع النـاس بهـا، وينبغي أن يكون المزين خفيفا رشيقا بصيرا بالحلاقة، وتكون الأمواس قاطعة كما ذكرناه ولا يستقبل الرأس ومنابت الشعر استقبالا ولا يأكل ما يغيـر نكهتـه كالبصـل والثـوم والكراث وغيره في يوم نوبته، لئلا يتضرر الناس برائحة فيه عند الحلاقة ولا يحلق شعر صبي إلا بأذن وليه ولا عبدا إلا بإذن سيده .. ويلزم المحتسب أن يتفقد الحمام فـي كـل وقت وان رأى أحدا قد كشف عورته عزره على كشفها لان كشف العورة حرام وقد لعن ا الناظر والمنظور إليه ، والنساء في هذا المقام اشد تهالكا من الرجال ولهن محـدثات من المنكر أحدثها كثرة الارفاه والاتراف وأهمل إنكارها حتـى سـرت فـي الأوسـاط والأطراف فقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان في حساب" ([1]) .

والمعروف أن وظيفة الحمام في العصور الوسطى لـم تقتصـر علـى مجـرد الاستحمام بل امتدت إلى الحلاقة وإزالة الشعر من بعض مناطق الجسد . فضلا عـن أن الحمام كان يعتبر أحد المراكز الصحية فالمريض إذا دخل الحمام بعد فترة رقـاد اعتبـر

---

[1] ابن الأخوة . **معالم القربة في أحكام الحسبة** . ص 241-243 .

ذلك إعلانا لشفائه من مرضه ([1]) . كذلك اعتبر الحمام احد المراكزالاجتماعية حيث تناقل المستحمون كثيرا من الأخبار الهامة التي تمس حياتهم اليومية داخل الحمام ، فضلا عـن أن العريس أو العروس يجب على كل منهما أن يدخل الحمام قبل حفل الزفاف ، فالعروس كانت تذهب إلى الحمام لتستحم وتزين نفسها ثم لتعرض ملابسها وجهازها أمام زميلاتها . وكانت النساء يستعملن الحمام كصالون للتجميل ، كما كانت تذهب إليه المترفـات مـنهن بصحبة خادمتين أو ثلاث يحملن حوائجها([2]) . والمرأة الحامل كانت تـذهب إليـه لتلـد بسهولة ثم تأتي إليه في اليوم الأربعين بعد الولادة . وكان العريس يذهب إلى الحمام قبـل الزواج ، والولد يرسل إليه قبل الطهور . وكانت الحمامات تسـتعمل كمنشـآت صـحية للعلاج من الأمراض المختلفة([3]) ، وفيها موظفون مختصون بالمعالجة .وكان ذلك بمثابـة واحد من الأحداث العائلية الهامة ، وكذلك اعتادت النساء قضاء بعض أوقاتهن في الحمام لتبادل الأخبار أثناء الاستحمام ، وخاصة ما يتعلق بأخبارهن وحياتهن اليومية ([4]) .

يبدو من خلال تتبع عمارة الحمامات في مدينة بيت المقدس في عهد المماليـك أن المدينة كانت قليلة الحمامات في أوائل عصر سلاطين المماليك حيث يذكر ابن فضـل ا العمري في حديثه عن سنة 710هـ / 1310م أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أن الأمير تنكز نائب الشام قد عمر بالقدس حمامين جليلين " كانت أحوج شيء إليه لأنه لم يكن بها حمامات مرضية" ([5]) .

[1] عاشور.**المجتمع المصري**. ص 95 .
[2] عاشور. **الظاهر بيبرس** .ج1 ،ص 66 .
[3] أبو المحاسن جمال بن تغري بردي .**حوادث الدهورعلى مدى الأيام والشهور** . تحقيق محمد كمال عز الدين ،(بيروت :عالم الكتب ، 1990) ، ج2 ص 226- 227 ؛العسقلاني . **الدرر الكامنة** .ج1 ،ص403.
[4] عاشور. **المجتمع المصري** . ص96 .
[5] العسقلاني . **الدرر الكامنة**. ط 2 ،ج1، 522

ويورد مجير الدين موقع هذين الحمامين احدهما كان يقع بباب القطـانين أحـد أبواب المسجد الأقصى والمعروف بالحمام الجديد ([1]) ، والذي كان أكبر الحمامات وأتقنها في المدينة ، والحمام الثاني هو حمام علاء الدين وكان واقعا في أحد شوارع بيت المقدس المسمى آنذاك بخط مرزبان بجوار بركة ليستمد منها الماء اللازم للوافدين عليـه . كمـا يذكر لنا الحمام المعروف باسم " حمام البترك "([2]) وكان بحارة النصارى بجـوار بركـة أخرى ويقول عن البركتين المذكورتين انه يحتمل أنها بركتي سـليمان وعيـاض ([3]) . و الحمامات التي وجدت في بيت المقدس كانت كبقية الحمامات التي عرفت فـي الشـرق ، بعضها خاص بالرجال وبعضها خاص بالنساء ، أو أن بعضها يفتح للرجال قبل الظهـر وللنساء بعد ذلك ([4]).

كما بلغت الحمامات في مدينة نابلس درجة من الجودة والتميز اكسبها شـهرة لمـا تقدمه من خدمات للناس حيث وصفها شيخ الربوة بأنها حمامات طيبة ([5]) . وقد وجد في مدينة نابلس العديد من الحمامات ولكن سيقتصر الحديث هنا عن الحمامات التي أقيمت في عهد المماليك فقط ومن اشهرها :حمام الريش الذي كان في ساحة البلدة القديمة المعروفـة في الوقت الحاضر بساحة المنارة . ويرجع بنـاء هـذا الحمـام إلـى القـرن الثـامن الهجري/الرابع عشر ميلادي أو بداية القرن التاسع/الخامس عشر ميلادي. ومما يدلل على ذلك استخدام العناصر المعمارية التي ازدهرت في بناء الحمامات(القبو المروحي) والتي

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل** .ج2،ص 378. .
[2] العسلي .**من أثارنا في بيت المقدس** .ص 137 .
[3] العارف : **المفصل في تاريخ القدس** . ص 95 .
[4] عاشور . **المجتمع المصري**. ص93 _ 94 .
[5] شيخ الربوة . **نخبة الدهر** . ص200-201 .

تعود إلى الفترة المملوكية عهد المماليك ([1]) . وحمام الدرجة، هذا الحمام كان يقع خلـف المسجد الكبير من جهة الجنوب ، وكان حمام كبير الحجم ، خاصة غرفة المشلح الشتوي وبيت الحرارة ، كان يصل إليه الزبون بواسطة زقاق طويلة ، ويبدو أن هذا الحمام أقـيم على أنقاض بناية قديمة تعود إلى الفترة التي سبقت الإسلام ،وهذا واضح من خـلال مـا وجد من حجارة ضخمة استخدمت في الأساسات وهذا النمط استخدم في الفترة التي سبقت الإسلام . أما بناء الحمام بشكله الحالي فيوحي بأنه إسلامي الطراز حيث يشاهد فيه قبـو متقاطع يغطي غرفة الاستقبال كبيرة الحجم . كما وجدت به بعـض المـداخل المعقـودة صغيرة الحجم في غرفة الاستقبال مما يوحي بأنه يعود للفترة المملوكية . وقد أجريـت عليه أعمال صيانة في الفترة التركية([2]). ومن اشهر الحمامات النابلسـية أيضـا حمـام الغايب في محلة ريس ،وحمام البيدرة ، وحمام البابية في محلة عقبـه ، وحمـام الـدرج وحمام الشجاع وحمام سامري في محلة ياسمين وهذا يشير إلى وجود طائفة السمرة فـي نابلس في حي الياسمينة ([3]) .

وفي مدينة غزة وجدت بعض الحمامات التي تعود للفترة المملوكية كحمام الأميـر علم الدين سنجر الجاولي ، أنشأه أثناء نيابته على غزة وحمام السمر الذي كان بـالقرب من الجامع وربما يعود اصل التسمية إلى أن احد القـائمين علـى الحمـام كـان مـن السامريين الذين يطلق عليهم في اللهجة المحلية المتداولة اسم السمرة ([4]) .

---

[1] وائل أبو صالح ."الحمامات العامة في مدينة نابلس" . **مجلة النجاح للأبحاث** ،حزيران ،العدد رقم 1 ،1983 ،ص89 .
[2] نفس المصدر : ص90 .
[3] البخيت . **نابلس ونواحيها** .ص90-91 .
[4] العسقلاني . **الدرر الكامنة** .ج2.ص 266 .

الفصل الثالث

مؤسسات الحكم والإدارة في المدن الفلسطينية

أولا: مؤسسات الحكم الرسمية

أ .السلطات السياسية

ب .المشرفون على الشؤون الحضرية

ج .القضاء

ثانيا : مؤسسات الحكم الشعبية

أ . زعامات الجماعات العرقية والدينية

ب . زعامات الأحياء الخاصة بالجاليات

ج . زعامات الطوائف المهنية

مؤسسات الحكم والإدارة في المدن الفلسطينية

بتولي المماليك السلطة استبدل النظام الإداري الأيوبي(الكيانات) الذي كان سـائدا في بلاد الشام، بأقاليم إدارية عرفت باسم النيابات. فكانت بلاد الشام مقسـمة إلـى عـدة نيابات (نيابة دمشق ونيابة حلب ونبابة حماة ونيابة الكرك ونيابة طرابلس ونيابة صـفد ونيابة غزة ونيابة القدس). وكان من الطبيعي أن يكون حكام هذه النيابات مـن المماليـك ويختارون عادة من القادة العسكريين([1]).

كان النائب الذي يدير النيابة يتمتع بكافة صلاحيات السلطان المملوكي ،ومزودا بالاستعدادات العسكرية بحيث يستطيع أن يصد أية هجمات معاديـة دون الحاجـة إلـى الاستعانة بمصر .وكانت هذه النيابات مستقلة الواحدة عن الأخرى حيث كان يتبع حاكمها السلطان مباشرة ([2]).وكل نيابة كان لها دواوينها الخاصة ، وكل ديوان من تلك الـدواوين خصص له مكان معين (مكتب) فيه الكتاب الذين يباشرون أعمالهم ([3]) . ولكل نيابة كـان حرية التصرف في شؤونها الداخلية ، أما الشؤون الخارجية السياسية والعسكرية فكانـت من اختصاص السلطان في القاهرة . وفي حال تعرض الدولـة لأي عـدوان أو خطـر خارجي كانت قوات كل نيابة ومواردها المالية توضع في خدمة الدولة والصالح العام ([4]) .

[1] لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الأول من الدراسة :ص 10 - 12 .
[2] فاروق فوزي . **الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط** . ص 226- 227 .
[3] السبكي . **معيد النعم**. ص29 .
[4] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي**.ص 424 .

ووجد في كل مدينة فلسطينية في عهد المماليك عدد من المؤسسات تضم عددا من الموظفين يعملون في مؤسسات الحكم الرسـمية والتـي ضـمت السـلطات السياسـية ،والمشرفين على الشؤون الحضرية ،ودور القضاء.هذا بالإضافة إلى المؤسسات الشـعبية كالجماعات الدينية والعرقية والطوائف المهنية التي لعبت دورا هامـا فـي إدارة المـدن وتوفير الخدمات لسكانها منها :

أولا :مؤسسات الحكم الرسمية

تمثلت مؤسسات الحكم الرسمية في المدن الفلسطينية في العهد المملوكي فيمن تولى السلطات السياسية ، والمشرفون على الشؤون الحضرية ، والقضاء ،بعض من تولى هذه المناصب كان يتم تعينه من قبل السلطان المملوكي في مصر بمرسوم شريف ، والـبعض الآخر من قبل نائب السلطان في النيابة ولمزيد من التوضيح سـأتناول هـذه الوظـائف بالتفصيل من حيث القائمين عليها ،طريقة التعين في هـذه المناصـب ،ودور كـل مـن أصحاب هذه المناصب في إدارة المدن الفلسطينية في عهد المماليك وهـي علـى النحـو الآتي:

أ. السلطات السياسية

تمثلت في نائب السلطان ونائب القلعة، وقد حرص السطان المملوكي في مصر على تعيين القائمين على هذه المناصب في النيابات بنفسه ، باعتبارهما يمثلان السـلطان في النيابة ([1]) ويقومان مقام السلطان في عامة الأمور ([2])، إلا انه في بعض الحالات كان

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل**. ج2 ،ص 274 .
[2] القلقشندي. **صبح الأعشى**.ج4، ص16 .

السلطان يترك ذلك الحق لنائبه في دمشق ([1]) .من ذلك ما يرويه ابن تغري بـردي فـي ذكره لحوادث سنة 865هـ /1460م أيام السلطان خشقدم ، من أن السلطان المذكور أذن لنائب الشام أن يولى من يشاء ويعزل من يشاء حتى كاشف الرملة ونائب القدس وامثالهما ، وانه ليست على يده يد في ولاية نيابة دمشق ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى العلاقـة الوطيدة التي تربط السلطان بأحد كبار الأمراء أو كنوع من التكريم وربمـا لاسـتمالته أو خشية بأسه ([2]) .

1. نائب السلطنة

كان النائب يمثل السلطان في المملكة (النيابة) ويقوم مقام السلطان في عامة الأمور ([3])ويصور ابن فضل ا العمري نائب السلطان في انه " سلطان مختصر فيما هو نـاء عن الحضرة ،وان النائب هو المتصرف المطلق في كل أمر " ، وكان يراجع في كل مـا يتعلق بشؤون الجيش والمال وهو المسؤول عن البريد والأخبار ، وهو رئيس المـوظفين في نيابته ومرجعهم: وكل ذي وظيفة في نيابة لا يتصرف إلا بأمره ، ولا يفصـل أمـرا معضلا إلا بمراجعته.. " ([4])هذا بالإضافة إلى جباية الضرائب([5])، والنظر في الأحكـام الشرعية ،والاهتمام بالأمن الداخلي ، والمحافظـة علـى الأسـعار ، ومنـع التزييـف ،والمحافظة على نظافة المدينة وتأمين وصول المياه إليها بشكل منتظم . حيث عني كـل

---

[1] كوهين .**القدس .دراسات في تاريخ المدينة** . ص 105 .
[2] بن تغري بردي .**حوادث الدهور**. ج3 ،ص 274 .
[3] لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الأول من الدراسة ،ص 23 .
[4] عطاالله .**نيابة غزة** . ص 134 .
[5] كوهين .**القدس .دراسات في تاريخ المدينة** . ص 113 .

نائب يتم تعينه بإصلاح وترميم قنوات الماء بسبب الحاجة إلى ترميمها بين الفينة والأخرى كي تقوم بوظيفتها كما يرام ([1]).

وقد شاهد السائح الألماني فليكس فابري الذي زار البلاد عام885 هـ/ 1480م بأم عينه مشروع ترميم قناة المياه التي تخرج من برك سليمان الذي بادر إليه السلطان قايتباي فيقول: " لان المياه كانت تتواجد في الصحراء ! غير بعيد عن الخليل (عين العروب) التي تبعد عن تلك البرك فقد قام السلطان ببذل جهود جبارة وأموال طائلة ، مستخدما الحكمة والحيل الكثيرة من أجل إحضار المياه للقدس ... بالإضافة إلى ذلك فقد جدد القنوات القديمة كما بنى صهاريج كثيرة لتخزين مياه المطر ولم يأل جهدا ولا أموالا في إحضار المياه لمدينة بيت المقدس([2]) . وكذلك إجراء الاتصالات مع الطوائف غير الإسلامية في المدينة([3]) ، وتعيين مسؤولين عن الجماعات المهنية كالأطباء والمجبرين والصيادلة([4]). هذا بالإضافة إلى تفقد حال الرعية ،وحماية أهل الذمة فيها ما داموا طائعين ،وتأديبهم إذا خرجوا عن الطاعة ، كذلك كان من اختصاص نائب السلطنة تولية ولاة الأعمال ،وتولية صغار النواب كالتولية على القلاع والمدن الصغيرة ، وللنائب أن يولي من يشاء في الوظائف العادية([5]).

هذا إلى جانب تكليفه بأعمال أخرى ، ففي نيابة بيت المقدس بعد تأسيسها أضيف لنائبها مهمة نيابة مدينة الخليل إداريا ،ومهمة النظر في الحرمين الشريفين في القدس

[1] نفس المصدر :ص113 .
[2] نفس المصدر : ص114 .
[3] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4 ، 198 .
[4] كوهين .**القدس .دراسات في تاريخ المدينة** . ص 113 .
[5] القلقشندي .**صبح الأعشى** . ج12 ،ص 229-232 .

والخليل .. وبذلك صار يلقب بناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشـريف وبلاد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام،إلا أن الوضع تغير عام 808 هـ /1405 م أيـام السلطان فرج بن برقوق في سلطنته الثانية حيث أحدث تغييرا فـي اختصاصـات نائـب القدس ، فقد قرر السلطان: " أن نائب القدس لا يكون ناظرا للحرمين الشريفين " ،وبهـذا فصل بين الوظيفتين .وفي وقت لاحق عهد السلطان برسباي إلى نائب السلطنة بالقـدس الشريف أن يكون أيضا ناظرا للحرمين الشريفين في القدس والخليل ([1]).بل وأكثـر مـن ذلك ما يرويه مجير الدين "من أن الأمير طوغان العثماني نائب السلطنة بالقدس الشريف، وناظر الحرمين في القدس والخليل وكاشف الرملة ونابلس ومتولي السـلط وعجلـون ، واستادار الأغوار وغير ذلك من التكلم على الجهات السلطانية ، جمع له من بـين هـذه الوظائف في دولة الملك الاشرف برسباي في سنة أربعين وثمانمائة وبعـدها فـي دولـة الظاهر جقمق ، وكان من الحكام المعتبرين" ([2]).ولعل الجمع بـين تلـك الاختصاصـات والوظائف كان راجعا إلى حالة الضعف والفساد التي سادت دولة المماليك البرجية والتي دفعت الكثير من سلاطينهم إلى بيع هذه الوظائف لبعض نواب السلطنة فـي نيابـة بيـت المقدس بسبب مقدرة ونفوذ بعض النواب ، وربما أن هذا كان هذا التبديل والتغييـر فـي وظائف الإدارة دليلا على تدهور البناء السياسي والاقتصادي للدولة في الشطر الثاني من ذلك العصر، والذي أدى إلى الكساد التجاري وبالتالي قلة موارد السلطنة هـذا بالإضـافة

---

[1] علي السيد .**القدس في عصر المماليك** . ص 41 .
[2] مجير الدين .**الأنس الجليل**. ج2 . ص 275 .

إلى الحصار الاقتصادي الذي فرضه البرتغاليون والأسبان على التجارة المملوكية في ذلك الوقت دفعت السلاطين إلى تلقي الرشوة وبيع المناصب لأصحاب النفوذ في النيابات .

ومن ابرز الأمثلة ما حدث في نيابة صفد منذ تأسيسها وحتى انهيار دولـة المماليـك وسنكتفي بذكر مثال واحد لأنه ما حدث في صفد في صفد بخصوص هذا المنصب حدث في نيابـة غزة ونيابة بيت المقدس خشية الإطالة :

كان أول من تولى هذا المنصب الأمير عز الدين العلائي ([1])،الذي عينه الظـاهر بيبرس بعد فتح صفد مباشرة 18/شوال 664هـ - 21/تموز/1266م . وتقلب على هـذا المنصب حوالي مائة وستة عشر نائبا في حوالي مائة وستة وأربعين تغييرا .ولعل كثـرة النواب وتغيرهم في هذه النيابة يدل على أن هذا المنصب كان يفتقـر إلـى الاسـتقرار ، بسبب ضعف ثقة السلاطين بالنواب ،فيعمد السلطان إلى تغيير نوابه باستمرار ،خشـية أن تقوى شوكتهم ضده ،إذا ما طالت ولاية الواحد منهم . ولوحظ من خلال دراسـة نـواب السلطنة في مملكة صفد أن هناك دوافع متعددة وراء تعين النواب وعزلهم منها الـتخلص من معارضة بعض الأمراء للسلطان كما حدث مع الأمير ارغون شاه الذي اخرج لنيابـة صفد سنة 747هـ/1346م لتكبره على السلطان والأمراء ، وخشية من فتنة قد يثيرها ما بين الأمراء المماليك في القاهرة ([2]) ، أو بقصد التقليل من شان الأمير ،كما حدث مـع الأمير الحاج آل ملك الذي كان نائب للسلطنة في القاهرة وغضب عليه السلطان وأرسله فيما بعد نائبا للسلطنة بصفد سنة 746هـ/1345م([3]) .والبعض تولى المنصب بقصـد

[1] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** .ج3 ، ص139 .
[2] نفس المصدر: ج10 ،ص 153 .
[3] نفس المصدر :ج10 ،ص 118-125 .

استرضائه لخروجه عن الطاعة كما حدث مع الأمير تمراز الاشرفي ،الذي عين في نيابة صفد سنة 865 هـ /1461م لأنه قد اتفق مع الأمير جانم نائب دمشق علـى العصـيان والخروج عن الطاعة مما دفع السلطان إلى تعين تمراز نائبا علـى صـفد لاسترضـائه وإضعاف جانب نائب دمشق ([1]). وفي الربع الأخير من القرن الخامس عشر أصبح هذا المنصب يباع بمبلغ من المال يدفع للسلطان ، كما حدث مع الأمير يلباي الاينـالي الـذي تولى هذا المنصب سنة 892هـ/1487م م،مقابل مبلغ عشرين ألف دينار([2]) .

2.**نائب القلعة (أو قائد الجيش)**

إلى جانب نائب السلطان كان هناك نائب القلعة،ومهمته كانت مستقلة عن مهـام نائب السلطان في النيابة ([3])،كما ضمت إليه القوات العسكرية التي كانت ترابط في القلعة ،وعين في كل قلعة أيضا قاضي شـرعي ،وخطيـب، ومـؤذن ،وكحـال ،وجرائحـي. وخصص لهم رواتب . ووجدت في القلاع آلات التحصـين وذوو أعمـال وصـناعات ،بالإضافة إلى الحجارين والنجارين والحدادين وما تدعو الضرورة إليه لتسهيل مهام نائب القلعة في القيام بمهامه في الظروف الصعبة([4]).ومن ابرز من تولى هذا المنصب في نيابة بيت المقدس شرف الدين موسى الردادي ([5])، وفي مملكة صفد أول مـن تـولى هـذا المنصب الأمير مجد الدين الطوري هذا المنصب في سنة 663هـ 1266م ([6]) .

ب. المشرفون على الشؤون الحضرية

[1] ابن إياس . **بدائع الزهور** .ج2 ،ص 390 .
[2] ابن طولون .**مفاكهة الخلان** .ج1 ،ص 73-85 .
[3] لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الأول من الدراسة : ص 24 .
[4] ابن فضل الله العمري . **مسالك الأبصار**. ص 111 .
[5] القلقشندي .**صبح الاعشى** . ج12،ص 325 .
[6] الطراونة . **مملكة صفد** .ص 234 .

انحصر دور المؤسسة الرسمية في الإشراف على الشؤون الحضرية فـي المـدن الفلسطينية في وجود اثنين من المشرفين على المدينة :

1.المحتسب

تعتبر وظيفة المحتسب من أهم الوظائف التي اعتمدت عليها الدولة الإسلامية في السهر على مصلحة المسلمين وازدهارهم. وهي تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بمنع الفسوق والفجور والتبرج وتعاطي المسكرات . ولكن هذا المبدأ ما لبث أن تطور في البيئة الإسلامية ،وامتد إلى واجبات عملية تتفق ومصـالح المسـلمين ، وبخاصة مصالح سكان المدن الذين كان اغلبهم من أرباب الحرف والتجارة . فلم تعـد وظيفة المحتسب مراقبة للأخلاق فقط ، وإنما مراقبة للغش في الصناعة والمعاملة بـل أصبحت هذه المهمة الأساسية للحسبة ، ولذلك كانت كلمة الحسـبة تعنـي " مراقبـة الأسواق " والعمران ، وما قد يجري فيها من الغش . ومن كان يقوم بها يعرف باسـم المحتسب أو ناظر الحسبة([1]) . وكان يشترط في المحتسب أن يكون حرا ... الخ([2]).

أصبحت هذه الوظيفة أيام سلاطين المماليك واحدة من أوسع وظائف الدولة نفوذا في المدن الإسلامية التي خضعت لحكمهم. والتعيين في هذه الوظيفة كان يتم مـن قبـل السلطان الذي يولي الخطط الدينية ([3])، وفيما بعد أصبح يعين من قبل النائب. وقد ذكـر

---

[1]ابن إياس . **بدائع الزهور .**ج3 ،ص4 .

[2] راجع الفصل الأول من الدراسة : ص 41 .

[3] عبد الرحمن محمد بن خلدون . **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** .(بيروت : دار الكتب اللبناني ،1967-1968) ، ص 178 .

القلقشندى أن هذه الوظيفة كانت موجودة في صفد ، وان المحتسب كان يعين مـن قبـل النائب ، وله أن يختار أعوانه ونوابه بنفسه([1]) .

وكانت تناط بصاحب هذه الوظيفة الكثير من المسؤوليات المتشعبة الجوانب التـي نستطيع أن نلخصها من خلال ما أورده ابن الأخوة عن المحتسب ([2]) من تفاصيل وافيـة عن الدور الأخلاقي للمحتسب في عهد المماليك : فكان عليه أولا أن يكون قدوة في دينه وأخلاقه ،وان يمنع التزاحم في الطرقات ،والمضايقة للغير وإلزام الحمـالين ألا يحملـوا بهائمهم ما لا تطيق ، وان يشدوا في أعناق دوابهم أجراسا لتحذير الضـرير والصـبيان بمرورها ، كما شدد على أصحاب السفن ألا يحملوهـا أكثـر مـن الحمولـة العاديـة ، وأصحاب المباني المتداعية بهدمها وإزالة أطلالها وما يتوقع من ضررها على المـارة ، كما انه منع أصحاب المنازل أن تكون مازريب منازلهم ظاهرة في الشتاء حتّـى لا تنفـذ منها مياه الأمطار وتنزل على العابرين، واجبرهم على اتخاذ قنوات لها مدفونـة داخـل الجدار، كما أنّه أمر أصحاب الدور بأن يغلقوا مجاري الأوساخ ومخارجها التي تخـرج إلى الطريق العام. وأن يحفروا حفراً داخل الدور تتجمع فيها هذه الأوساخ ،إضـافة إلـى إشرافه على نظافة الماء وسقاية المارة([3]) .

ومن ناحية اقتصادية كان المحتسب يشرف على التجارة والصناعة في أسواق المدن ([4]).

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج4 .ص 234 .
[2] ابن الأخوة . **معالم القربة**.ص 25-32 .
[3] ابن إياس . **بدائع الزهور**. ج3، ص4 .
[4] راجع الفصل الأول من الدراسة : ص 41 .

وقد كان المحتسب عندما تكثر الأشغال عليه يستعين بالخبراء الذين يختارهم من بين أرباب الصناعات والتجارة ، وهم الذين سموا : العرفاء أو عرفاء الأسواق أو النواب ([1]). واختارهم عادة من أهل الخبرة التامة بصناعة أهل الحرفة،ومن العارفين بما يمكن أن يقوم به الحرفيون من غش وتدليس في مهنتهم.وكان هذا العريف يبقى على صلة مستمرة بالمحتسب يطالعه أخبار ذلك السوق وما يجاب إليه من السلع والبضائع وما تستقر عليه الأسعار والكشف عن أحوال النقد المتداول، وغير ذلك من المعلومات التي يلزم المحتسب معرفتها .وكان القائم بوظيفة المحتسب في أيام المماليك سلطه تنفيذية كسلطة قاضي القضاة ، وان كانت العقوبات التي يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود ، وتختلف بحسب الذنب، وهو ما أطلق عليه التعزير ([2]). فكان المحتسب يعقد محاكماته في الجامع أو في مكان معروف اسمه الدكة أو دكة المحتسب([3]) ، وكان المحتسب يستعين في تنفيذ الأحكام بالأعوان أو بوالي الشرطة الذي كان يقوم في نفس الوقت بتنفيذ العقوبات التي يفرضها القاضي . وكانت الحسبة تضاف لوالي الشرطة أحيانا ([4]) .

فمن هذه العقوبات الردع بإزالة الأمر المخالف مثل كسر أواني الشرب أو بذهاب المال .وقد كان المحتسب إذا وجد غشا في بضاعة أرسل هذه البضاعة إلى السجون ليأكلها المحبوسون([5]) ويتخذ الضرب كوسيلة للتعزير ، وذلك عن طريق آلات الضرب([6]) مثل السوط الوسط ، الذي ليس بالغليظ الشديد أو بالرفيق ، والدرة التي تتخذ

---

[1] المقريزي. **السلوك**.ج2 .ص 151 .
[2] ابن الأخوة . **معالم القربة**.ص 184
[3] نفس المصدر : ص 184 ؛ المقريزي . **الخطط** .ج3 .ص 171 .
[4] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج11.ص210 .
[5] ابن إياس . **بدائع الزهور**. ج2 . ص29 .
[6] ابن الأخوة . **معالم القربة**. ص 184 .

من جلد البقر أو الجمل المخروزة ، والمقرعة وهي قطعة غليظة من فـرع شـجرة ([1]). ولجأ المحتسب في تعزيره إلى التجريس آو التشهير .فمثلا وضع الجرة والقدح في عنـق أحد السكارى([2]) . وضرب آخر أمام الناس ضربا مبرحا([3]) . وربما كان العقاب بـالنفي من البلد وخاصة إذا كان الشخص من المماليك ويمنع عنه ماله وإقطاعه ([4]) .

هذا ما أكده القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشا : " أن المحتسـب هو الذي يشرف على أمناء الحرف والمهن، وشغله الشاغل هو التجـول فـي المدينـة باستمرار على ظهر فرسه أو بغلته مصحوباً بعدد من أعوانه لا يقل عن اثنـي عشـر عوناً، لمراقبة الأسواق وما يجري فيها من بيع وشراء، وباستطاعته إن وجـد الـوزن مخالفا ، أن يقوم بإهانة الغاش، وبالتصدق بالبضاعة على الفقراء، وبإتلافها، ومـا أزال أتذكر - إلى اليوم - منظر العديد من الأحذية وقد قطعت ومزقت وألصقت على جدار السوق الرئيسي للأحذية..! ومن الجاري به العمل أن يعين المحتسب بمرسوم يحمل ختم النائب ، تعبيراً عن الأهمية التي تولى للمحتسب..." ([5]) .

2 .والي المدينة (صاحب الشرطة)

وهي وظيفة من وظائف السيف ([6]) كان يطلق عليها الولاية([7]). ومـن كـان يقوم بها يسمى الوالي أو متولي أو صاحب([8]) وغالبا ما يتولاها المماليك الترك([9]) ، فيقدم

---

[1] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص46 .
[2] ابن إياس . **بدائع الزهور**. ج1 . ص 104 .
[3] ابن إياس . **بدائع الزهور**. ج3.ص5 .
[4] نفس المصدر : ج2 .ص 35 .
[5] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج10 .ص 460 .
[6] ابن خلدون .**المقدمة** .ص198 .
[7] المقريزي .**الخطط** .ج3 .ص362 .
[8] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج5 .ص 450 .
[9] ابن خلدون .**المقدمة** . ص199 .

لمتوليها خلعة تتميز بعلامة حسب ملاحظة القلقشندى([1]) . فيشق الشوارع وهـو لابسـها ،للإعلان عن توليته ، بقصد إخافة أهل الفساد([2]) .

ووجد في كل مدينة فلسطينية وال أي حاكم أو صاحب الشرطة ،مهمتـه كتابـة تقريرا يوميا جامعا بكل ما يحدث في المدينة من قتل أو حريق أو مخالفات ، ويرسله إلى النائب . فأما تتبع الناس في أحوال أنفسهم فيمنع صاحب الشرطة وأعوانه من فعل ذلك ، إذ لكل حريته الشخصية التي لا يجوز التعدي عليها ([3]).

وكان الوالي يقوم بنفسه بتفقد الشوارع والحارات في الليل ، وكـان لـه أعـوان يتنقلون في أنحاء المدينة لينقلوا إليه الأخبار ، كذلك كان مسئولا عن الحجاج الذين يفدون إلى المدينة وسلامتهم طوال مدة إقامتهم ([4]).

وتجب الإشارة إلى انه كان من سلطات الوالي أن يعاقب أهل الجرائم وقد حـددت بعض كتب المعاصرين بعض طرق العقاب " وليس للوالي غير أن يجلدهم فقـط بسـوط معتدل لا رطب ولا يابس ،ويفرق السياط على الأعضاء ، ويتقي الوجه والمقاتـل ، ولا يتقي الرأس " ..([5]) . ومن ابرز من ولي الولاية في مملكة صفد الأمير سنجر الصـوابي ولي ولاية برصفد سنة 690هـ/1291م ([6]) .وفي نيابة بيت المقدس تولى الأمير شرف الدين المرجاني هذا المنصب سنة 796هـ/1393م ([7]).

ج. القضاء

---

[1] القلقشندي . **صبح الأعشى**. ج5 .ص 450

[2] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة**. ج6 .ص 426 .

[3] ابن فضل الله العمري . **مسالك الأبصار**. ص106 .

[4] نقولا زيادة . **دمشق في عصر المماليك** .(بيروت : مكتبة لبنان ، 1966)،ص 154 .

[5]السبكي . **معيد النعم**. ص44 .

[6] ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** . ج8 ،ص 9 .

[7] غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص 34 .

كان التعيين في منصب قاضي القضاة يتم بمرسوم شريف من السلطان المملوكي في القاهرة ([1]) .وبعد تقليده القضاء ،يشق الشوارع من القلعة في موكب حافل وقد لبس خلعة القضاء محاطا ببطانة من الفقهاء والشهود .وكان لا بد أن يكون لبسه من السـواد الـذي يرمز إلى شعار المذهب السني ، إلا في الصيف فيلبس لباسا ابيضا ([2]). وكان لا بـد أن يكون من الصوف وليس من الحرير ،دلالة على التقوى .فيلبس على رأسه عمامة كبيـرة للغاية يترك فيها طرف طويل أصبحت من زي القضاة وحدهم ([3])،ويلبس علـى بدنـه ، فوق ثيابه لباسا واسعا متسع الأكمام ،مفتوحة فوق كتفيه ، وسابلة على قدميـه ، وكـذلك يلبس الطرحة (وهي عبارة عن قماش من الشاش يستر العمامة وتدلى على الظهر حتى الكعبين) ، ويلبس في رجليه الخفاف من الأديم ([4])، وهو لا يركب إلا البغال التـي لهـا سروج نفيسة غير محلاه بشىء من الفضة ، موضوعة على كسوة من الصوف ، تغطي كل جسم البغلة حتى ذيلها ([5]).

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس في سنة 664 هـ / 1265 م ادخل بعـض التعديل على القضاء حيث جعل القضاء في أربعة قضاة ([6]).وأصبح قاضي القضاة راس الهيئة القضائية في كل نيابة من نيابات فلسطين الثلاث([7]) . يتولى مهمـة تعيـين نـواب القضاة في جميع ولايات النيابة . وأحيانا كان يشغل أكثر من وظيفة في نفـس الوقـت ،

---

[1] راجع الفصل الأول من الدراسة :ص 36 .
[2] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج4 . ص 41-42 .
[3] المقريزي .الخطط .ج2 ،ص 305 ؛ عبد المنعم ماجد . **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر** . (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، 1982)ط2 ، ص 83-84 .
[4] المقريزي .**الخطط** .ج2 .ص35 ،ص20-21 .
[5] القلقشندي .**صبح الأعشى**.ج4 ،ص42 .
[6] راجع الفصل الأول من الدراسة :ص 36 .
[7] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج9 ، ص255 .

ففي بيت المقدس كان قاضي القضاة الشافعية يجمع إلى ذلك منصب شـيخ الصـلاحية ، وفي أحيان منصب ناظر الحرمين الشريفين ([1]).

وكان قاضي القضاة الشافعي يرتفع درجة عن باقي القضاة ، لذلك يتعين على قاضي الشافعية النظر في القضايا الجنائية ، السرقات ، قضايا شرب الخمـر ، الزنـا ، المواريث ، الطلاق ، المناكحات ، أموال المحجور عليهم ، ووصايا المسلمين ، ولا سيما أموال اليتامى والغائبين ، الأوقاف والقضايا الخاصة ببيت المال([2]) . وبطبيعة الحال كان الحكم في القضايا يسير وفق الشريعة والسنة ، وكان للقاضي حق التصرف في القـانون وفق اجتهاده . ولكن في بعض الأحيان كان يلجا إلى المفتي ، حيث كان هناك مفتي لكـل مذهب من المذاهب الأربعة . ومع ذلك فلم يتقيد القاضي بقول المفتي([3]) .

أما عن تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي ، فانه كان يعهد بهـا إلـى والـي الشرطة([4]) ،الذي كان أداة التنفيذ في الدولة المملوكية . وكان يساعد قاضي القضاة فـي مهمته قضاة من المذاهب الأربعة والاعوان ([5]) .

ولكل من هذه الوظائف رواتب خاصة تكفيهم عن الإساءة إلى وظيفتهم ([6]) تسـمى المعلوم قدرها أكثر من خمسين دينارا شهريا ، خلاف الخبز واللحم والزيـت والشـعير والكسوة .وكان مرتبهم يزداد كلما أشرفوا على مناصب أخرى كالتدريس ([7]) .

---

[1] مجير الدين. **الأنس الجليل**. ج2، ص297 .
[2] السبكي. **معيد النعم**. ص56 ؛ المقريزي . **الخطط** .ج3 .ص149 ،ص 18-19 .
[3] المقريزي . **الخطط** .ج4 .ص 59 -60 .
[4] نفس المصدر :. ص 198-199 .
[5] راجع الفصل الأول من الدراسة : ص 37-38 .
[6] القلقشندي .**صبح الأعشى** . ج4 ، ص 192 ؛ ج9 ، ص 255 .
[7] المقريزي .**الخطط** .ج3 . ص364 .

وبالرغم من ذلك نجد أن قدسية القضاة كثيرا ما ضاعت في دولة المماليك بسبب النزاع الدائم على الحكم فيما بين المماليك وتكالبهم على مصالحهم. فصار القضاة يبذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة ، كما حدث في بيـت المقـدس فـي سـنة 878هـ/1473م حين تولى منصب قاضي القضاة الحنفي القاضي جمال الدين الـديري " بعد مال كبير بذله في الولاية " ([1]).

ثانيا : مؤسسات الحكم الشعبية

اختلاف القوميات وتنوع الأديان والملك في أرجاء الولايات ، والرقعة الواسعة لدولة المماليك ، والنظام الإداري الذي اعتمدوا عليه في إدارة الولايـات بتقسـيمها إلـى نيابات تابعة للدولة ، كان يهدف إلى تخفيف العبء على المؤسسة الرسمية في إدارة المدن وجعل المماليك يمنحون قسطا من الإدارة الذاتية للطوائف الدينية والعرقيـة والمهنيـة ، ومشايخ الأحياء ،لاستخدام هذه الطوائف وسيطا بين السلطة والرعية في جميـع شـؤون الرعية الإدارية وبخاصة التحصيل المالي منهم . وكذلك للتخلص من الخدمات والمرافـق التي تقدم للسكان مثل (توفير المياه ، النقل العام ، تنظيف الشـوارع ،الأمـن اليـومي) وتولى قسم كبير منها الطوائف الدينية والعرقية والمهنية .

وكان على راس كل طائفة من تلك الطوائف شيخ ، وكان لكل طائفة شان ملمـوس في حياة المدينة من الناحيتين الاجتماعية والإدارية . وقد وفرت تلك الطوائـف الإطـار اللازم للتماسك الداخلي لمجتمع المدينة من ناحية ، ومكنت الدولة من الإمساك بزمام أمور

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2 ، ص297 .

الرعية إمساكا غير مباشر من ناحية ثانية . فالرعية كانت مترابطة فـي حلقـات تشـمل جميع نواحي حياتها وفي غالب الحالات كانت تلك الحلقات متعاقبة ، فالفرد عضـو فـي إحدى الطوائف الدينية أو العرقية أو الحرفية أو المهنية أثناء عمله في السوق طيلة النهار ، إلى جانب عضويته في طائفة الحارة التي يقطن فيها مع أسرته وكانـت تلـك الخلايـا الاجتماعية والاقتصادية كثيرة العدد في المدن ومن أبرزها:

أ . زعامات الجماعات الدينية والعرقية

كانت الفئات الدينية والعرقية تعبر في مجموعها عن المجتمع في المدينة ، ولا بـد أن نركز على دور هذه الفئات في بناء مجتمع المدينة،حيث كان لكل طائفة ممثـل عنهـا يشرف على أبناء طائفته ، ويتمتع بنفوذ قضائي وديني كبير عليهم ، فضلا عن أنه كـان يحظى باحترام الدولة ويخلع عليه عند تولية منصبه ، وفي كل حي نصب شخص يشرف. على أمور الرعية داخل الحي أطلق عليه لقب شيخ المسـلمين، وبطـرك المسـيحيين ، وحاخام اليهود ([1])

وحتى نتفهم الدور الذي لعبته الفئات الدينية والعرقية في الحياة الاجتماعية فـي المدن الفلسطينية وأثر ذلك على الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية في حياة سكان المدن الفلسطينية ، لا بد من تناول الفئات الدينية والعرقية التي انطوت تحت هذه الفئـات مع التركيز على الدور الذي لعبته في إدارة المدن الفلسطينية:

1. المسلمون

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور . **بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته** . ط1 ،(القاهرة : عالم الكتب ، 1987) ،ص 215 .

بتحرير المماليك للمدن الفلسطينية من سيطرة الفرنجة بعد الانتصار عليهم فـي معركة عين جالوت ، وسيادة الأمن والاستقرار في المدن الفلسـطينية مـع بدايـة عهـد المماليك،أخذت القبائل العربية والحجاج والصوفيين تهاجر إلى فلسطين من بـلاد الشـام والعراق وشمال إفريقيا والهند ،كالأفغان ، الأتراك ،الشركس ،الماغول ، المشارقة ..الـخ .كما عاد السكان المسلمون الأصليين مجددا إلى هذه المدن بأعداد كبيرة خصوصا مدينـة القدس بعد تحريرها. ومن أبرز الفئات العرقية التي سكنت المدن الفلسـطينية فـي عهـد المماليك القبائل العربية ، علما أن العديد من هذه القبائل كانت تسكن فلسطين قبل انتشـار الإسلام كقبائل قحطان، وقبائل لخم التي نزلت حول الرملة ،ثم انتقلت إلى نابلس والجولان واستقر قسم منهم حول البحر الميت . وقد استمرت بعض هذه القبائل تعيش حيـاة تنقـل وترحال في حين اتجه البعض الآخر إلى حياة الاستقرار وممارسة الزراعة ([1]).

وكان نشاط ودور القبائل العربية محدودا بسبب طبيعة النظام المملوكي العسكري الذي لعب فيه المهاجرون من قبائل الغز والتركمان والأكراد الدور الرئيسي في المؤسسة العسكرية وبالتالي أدى إلى تهميش دور القبائل العربية . وحينما بدأ الضعف يسري فـي صفوف المؤسسة العسكرية ،ازدادت قوة مشايخ القبائل العربية التـي سـكنت فلسـطين وقدرتها على إحداث تغيير . ومن هذه القبائل قبيلة حارثة وقبيلة بشارة التي سكنت صـفد حيث أوكلت لها وظيفة تقدمية العشير التي القي على عاتقها حماية الطرق ، وحفظ الأمن والمشاركة في حملات السلطنة ، والمساهمة في القضاء على حركات التحرر والانفصال

---

[1] العزة .**نابلس في العصر المملوكي**. ص 87-88 .

والمساعدة في جمع الضرائب ، إلا أنهم في بعض الأحيان كانوا ينقلبون على السـلطة([1]) .وهذا ما حدث مع قبيلة بشارة وحارثة التي تولت مهمة حفظ الأمن في منـاطق اللجـون وقاقون، حيث قامت بنهب القوات المملوكيـة التـي تراجعـت أمـام تيمورلنـك سـنة (803هـ/1401م) في الوقت الذي اعتمد المماليك عليهم في حماية السواحل فـي نيابـة صفد ([2]). وفي نيابة غزة تواجد العديد من القبائل البدوية ، وكان معظمها بطون جرم الطائية وجذام القحطانية التي استوطنت في القسم الجنوبي من النيابـة ، وسـاهمت هـذه القبائل في خدمة الدولة المملوكية بتوليها حراسة طريق البريد هذا بالإضافة إلى مشاركتهم في الحملات العسكرية بجانب السلطات المملوكية ضد المغول([3]) .وهذه القبائل كانت في حال صراع فيما بينها خاصة جرم وجذام . وبالرغم من الخدمات التـي كانـت تقـدمها للسلطة المملوكية إلا أنها كانت تنقلب عليها بين الحين والأخر . حيث اسـتغلت انشـغال المماليك بحرب المغول وقامت بحركة عصيان وسلب ونهب . كما حدث مع قبائل عائـذ وجرم في غزة ([4]) .

في سنة 680هـ/1281م وأثناء انشغال المماليك بالمخاطر الناتجة عن هجمات المغول والصليبين. أغارت هذه القبائل على عدد من المناطق خصوصا غزة وما جاورها ، والقدس ونابلس ([5]).

---

[1] نفس المصدر: ص 219- 225 .
[2] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 213 .
[3]عطا الله .**نيابة غزة**. ص 79-90 .
[4] العارف . **المفصل في تاريخ القدس** . ص 213-214 .
[5] نفس المصدر : ص89 .

ومن الفئات العرقية التي قدمت إلى فلسطين في عهد المماليك المغاربة([1]) .وأطلقت هذه التسمية على المسلمين القادمين إلى فلسطين من الأندلس وشمال إفريقيا بسبب اشتداد الحرب بين الأسبان والمسلمين في الأندلس، واستقر عدد كبير منهم في القـدس .وكـان أغلب المغاربة من أتباع المذهب المالكي ،مما أدى إلى استحداث مذهب قاضي المالكيـة سنة 802هـ/1399م . وفضلت هذه الفئة السكن بالقرب من الأماكن المقدسة فـي بيـت المقدس ، في الجهة الجنوبية من المدينة بالقرب من الحرم الشـريف ، وحصـلوا علـى اعتراف بهم من قبل السلطة كطائفة مستقلة لها حقوق وامتيازات عديدة إبان حكم الأفضل علي بن صلاح الدين في دمشق، وسميت الحارة التي سكنوها بالقدس بحارة المغاربة ([2]). وتم تأسيس مؤسسات مستقلة خاصة بهذه الفئة مثل جامع المغاربـة ،وزاويـة المغاربـة جنوب غرب الحرم . ([3]) ، وكان لهم شيخ يعرف باسم شيخ المغاربة([4]) ،ولقيت هذه الفئة العرقية العناية من حكام المماليك الذين قدموا لهم العون والإعفاء من الضرائب في بعض الأحيان([5]) .

وفي منتصف القرن السابع الهجري/ منتصف القرن الثالث عشـر قـدمت جاليـة إسلامية من بخارى وسمرقند، وأواسط بلاد فارس، وسكنت الجهة الشمالية الشرقية مـن مدينة القدس. وعرفت هذه الجماعة باسم المشارقة نسبة إلى قدومها من منـاطق الشـرق وسميت الحارة التي سكنوها بحارة المشارقة .وأبان الهجمة الصليبية علـى بـلاد الشـام

---

[1] كوهين . **القدس .دراسات في تاريخ المدينة .** ص 115 .
[2] مجير الدين. **الأنس الجليل.** ص397 .
[3] كوهين . **القدس. دراسات في تاريخ المدينة** . ص 115 .
[4] مجير الدين. **الأنس الجليل.** ص 590 .
[5] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي.** ص 475 .

وأثناء هجمات المغول قدمت جالية من الهنود للسكن في القدس والرملة وأقيمت لهم زاوية خارج باب الأسباط وكانوا جالية صغيرة ([1]).

كما نزحت إلى المدن الفلسطينية جاليات من أواسط آسيا وكان أغلبهم من المؤمنين البسطاء والعلماء . منهم جماعة من منطقة هراة في أفغانستان وهذه الجالية قـدمت إلـى فلسطين للمشاركة في تحريرها مع جيش صلاح الدين الأيوبي، وبعد الانتصار في حطين انتقلوا إلى بيت المقدس واختار بعضهم السكن في منطقة قريبة من الحرم القدسي . وفـي العهد المملوكي قدمت جالية أفغانية صغيرة من منطقة غور وسط أفغانستان الجبلية إلـى فلسطين وانضمت للسكن إلى جانب الفئة السابقة . وصار يطلق على الحارة التي سكنوها اسم حارة الغورية ،كما عرفت أيضا باسم حارة الأفغاني([2]) .

كما استقر بعض العراقيين القادمين من بغداد وحران وبعض المدن الشـامية فـي القدس ([3])،وأطلق عليهم اسم الحنابلة وأدى ذلك إلى استحداث منصب قاضـي للحنابلـة .إضافة إلى منصب قاضي القضاة الشافعية . وهذا الاستحداث عممه السلطان برقوق في كافة نيابات الدولة باستحداث منصب قاضي للحنابلة ([4]).

وقدمت جماعة أخرى من الموصل في العراق وسكنت مدينتي القدس والرملة وعرفت بعائلة الموصلي. وجماعة من بغداد عرفت بعائلة البغدادي . وقد حرصت هذه الجماعات على السكن في بيت المقدس لتكون قريبة من المسجد الأقصى . ومع الزمن ذابـت هـذه

---

[1] كوهين . **القدس دراسات في تاريخ المدينة** . ص115 .
[2] نفس المصدر : ص 115 .
[3] فاروق فوزي .**الوسيط في تاريخ فلسطين** .ص 228 .
[4] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الثاني .المجلد الثاني.ص588 .

الجماعات في الخليط السكاني الفلسطيني ، وان ظلت تحمل أسماءهم والمناطق التي قدموا منها([1]) .

ومن الفئات العرقية التي سكنت المدن الفلسطينية المغول.وكانت هذه الجماعات قد هاجرت إلى فلسطين هربا من بلادهم خوفا من القائد المغولي غازان 695 هـ ـ /1269م . وعرفت هذه الجماعة باسم العويراتية ، وقد عطف عليهم السلطان كتبغا لأنه كان مـن أصل مغولي ،واسكنهم المنطقة الممتدة بين عتليت وقاقون . ولكن هذه الجماعة العرقية لم تستطع المحافظة على وجودها بل ذابت في المجتمع المحيط الذي لجأت إليـه ، ويقـول عنها المقريزي " وقد هلك من العويراتية عالم كثير ، واخذ الأمراء أولادهـم الشـباب ، وتنافس الأمراء والأجناد في أخذ صبيانهم وبناتهم ، ثم انغمس من بقي منهم في العسـكر والجندية ، وتفرقوا داخل المماليك ودخلوا في الإسلام . واختلطوا بأهل البلاد ([2]).

هذا بالإضافة إلى بعض الجاليات التي قدمت إلى المدن الفلسـطينية مـن أطـراف الصين الشمالية والغربية ، وهضبة آسيا المركزيـة فـي البـراري شـمال أوزبكسـتان وطاجكستان ، وبعض المناطق المحيطة ببحر قزوين وأطراف سيبريا . وهي نفس البيئـة التي قدم منها المماليك على شكل غلمان وأسرى ومرتزقة .وعرفت هذه الجاليـات باسـم الأتراك والجراكسة ، وسكنت هذه الجاليات في كافة أنحاء فلسطين أيام المماليك ، ولعبوا دورا هاما في تولي مهام الحكم والإدارة وشكلوا طبقة إقطاعيـة عسـكرية فـي المـدن الفلسطينية . وحظيت هذه الفئة بالمراكز الإدارية والعسكرية في النيابات الثلاث في صفد

---

[1] كوهين . **القدس. دراسات في تاريخ المدينة** . ص 108- 120 .
[2] المقريزي . **السلوك**. ج1 ، ص 813 .

وغزة وبيت المقدس ، ووزعت عليهم الاقطاعات([1]) .وتواجد عدد كبير منهم في نـابلس وصفد . وبعد سقوط الدولة المملوكية بقي بعضهم في صفد وصاروا جزءا مـن سـكانها بينما تفرق البعض الآخر في بقية مدن فلسطين([2]) ،وكونوا طوائف دينية وعرقية داخـل الأحياء والأسواق للمحافظة على أوضاعهم الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والدينيـة من خلال هذه الأنظمة الاجتماعية . وفي القرن العاشـر الهجـري / السـادس عشـر الميلادي كان أغلبية السكان في المدن الفلسطينية من المسلمون ([3]).

2. النصارى

شكل النصارى أقلية صغيرة عشية احتلال الفرنجة للمدن الفلسـطينية ، إلا أنهـم كانوا منتشرين في غالبية المدن في القدس والخليل والناصرة وبيت لحم والرملـة ،واللـد ،وغزة ، وبيت جبرين وطبريا وعكا وسبسطية ونابلس . وكان لهم أديرة وكنائس تتركـز اغلبها في المدن الرئيسة كالقدس ،والناصرة ،وبيت لحم([4]) .وازداد عددهم بعـد سـيطرة الفرنجة على المدن الفلسطينية بسبب تشجيع الهجرة من اجل ملء الفراغ الذي تركه قتـل المسلمين واليهود ، وحاجتهم إلى كوادر بشرية من اجل القيام بمهام الدفاع ، وهذا ما قـام به الملك بلدوين حيث نقل قسما من سكان وادي موسى والبلقاء النصارى إلى القدس . وقد وعد المهاجرين بحياة أفضل، وكان قد استقبلهم في القـدس مـع زوجـاتهم وأولادهـم وقطعانهم ، وقد وطنهم في حارة المشارقة التي تقع إلى الشرق من باب العمود ([5]).

---

[1] العزة .**نابلس**. ص89-90 .
[2] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 148 .
[3] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 463-466 .
[4] محسن يوسف ."الخارطة الدينية لسكان فلسطين عشية الاحتلال الصليبي" . **مجلة آفاق** .العدد 7 ،1993 ،ص 31 .
[5] الدجاني .**الصراع الإسلامي الفرنجي**.ص 428 -430 .

ومن ابرز الفئات العرقية من النصارى التي سكنت المدن الفلسـطينية الفرنجـة حيث قدموا إلى المدن الفلسطينية المختلفة من فرنسا وايطاليا وأسبانيا وصقلية خلال فترة الصراع الإسلامي الفرنجي واستقروا في معظم المدن الساحلية([1]) . والمـؤرخ الفيتـري يرى أن هؤلاء كانوا عبئا على المملكة ، وسبب خرابها ، إذ اتهمهم بالفساد حيث عاشـوا في رفاهية مطلقة ، وأدمنوا على الحياة الصاخبة غير النظيفة([2]).وتركز وجـودهم فـي القلاع التي أسسوها([3]) .

ولم يكن هناك انسجام بين طبقات الفرنج المختلفة في فلسطين مما أدى إلى انعدام التآلف بينهم ،وكان هذا عاملا في ضعفهم .أنقسم هؤلاء الفرنجة إلى الطبقة الأرستقراطية الحاكمة ،وطبقة المحاربين الفرنج([4]) ، وطبقة المسيحيين الشرقيين من أرمـن وموارنـة وسريان ويعاقبة وقبط ، وهؤلاء كانوا محتقرين في المجتمع الفرنجي وكانوا يعملون فـي المهن الحقيرة ([5]).

وبعد انتصار المسلمين على التتار في معركة عين جالوت تم تحرير الكثيـر مـن المدن الفلسطينية وطرد الصليبيين منها، مما دفع ملك قبرص هنري الثـاني إلـى طلـب النجدات من أوروبا، وتدعيم مركزه في عكا بتتويجه ملكا . وأجرى اتصالات مع المغول من اجل ذلك، وقد أثمرت هذه الجهود حيث استجاب بعض الفلاحين والعاطلين عن العمل من سكان المدن الصغيرة في شمال ايطاليا وقدموا إلى عكا تحت قيادة أسـقف طـرابلس

---

[1] العزة .**نابلس في العصر المملوكي** .ص88 .
[2] يعقوب الفيتري . **تاريخ بيت المقدس** . ترجمة سعيد البيشاوي .(عمان : دار الشروق ،1998) .ص 63-66 .
[3] محمد أسامة نعيرات .**إقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي** .(عكا :مؤسسة الأسوار ،2002) ،ص 204 .
[4] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ، المجلد الثالث،ص 445-446 .
[5] نفس المصدر: 447 .

سابقا . وأخذت النجدات تتوالى من أوروبا وقبرص بسبب شعورهم بالخطر الكبير علـى المملكة الصليبية ، وعلى وجودهم في الشرق بأكمله ، وبهذا ازداد حجم سكان عكا ورفع من قدرتها العسكرية . حيث اجتمع داخل أسوار هذه المدينة طوائف عدة مثلـت مختلـف الأمم الأوروبية . وأخذت كل طائفة تمارس دورها بغير تنسيق مع الطوائف الأخـرى . حيث كان في عكا سبع عشره سلطة مستقلة .ونجم عن هذا الأمر فوضى كبيرة أضـرت بالوجود الصليبي في المدينة([1]) . وقام القادمون الجدد بإثارة الفوضى والإخـلال بـالأمن واخذوا يسلبون وينهبون التجار والباعة المسلمين، علاوة على الصراعات بـين التجـار التابعين لجنوة والبندقية وسواهما ، مما أدى إلى انفجار أعمال العنـف فـي عكـا سـنة 689هـ/ 1290م وخارجها ضد المسلمين . ونتج عن هذا الأمر قتل الكثير من المسلمين على يد الصليبين ، وتم نهب الكثير من أموالهم وبضائعهم . وظل هذا الوضع إلى أن تـم طرد الصليبين نهائيا من فلسطين . وما أن وصلت أخبار تحريـر عكـا إلـى المنـاطق الساحلية التي ما زالت بأيدي الفرنجة مثل عتليت ،وصور، وصـيدا ،وبيـروت أخلوهـا وهربوا تاركين البلاد لأصحابها([2]) .

وفي عصر المماليك ازداد عدد النصارى في فلسطين وخاصة في مدينة القـدس بيت لحم والناصرة وكان معظمهم من العرب المحليين(نصارى بلاد الشـام الاصـليين) ،هذا إلى جانب نصارى الفرنج من دول أوروبا المختلفة والأحباش، إضافة إلـى بعـض ممثلي الكنائس المسيحية المختلفة مـن غيـر العـرب وأهمهـم الأرمـن، والأحبـاش،

[1] **الموسوعة الفلسطينية** .القسم الثاني .المجلد الثاني ، ص 545-552 .
[2] نفس المصدر : ص 555-556 .

والجورجين، والإغريق، واللاتيين ،وربما السبب في زيـادة عـددهم المعاملـة الحسـنة والإنسانية التي حظي بها هؤلاء من قبل السلطات المملوكية ، حيث تمتع النصارى العرب (الملكانية وكان اغلبهم من الأقباط واليعاقبة) بالإعفاء الضريبي ومارسوا طقوسهم بحرية تامة في المدن التي سكنوا فيها كالقدس والناصرة وبيت لحم([1]) .

وفي نيابة غزة في العصر المملوكي شكل النصارى نسبة لا باس بها مـن سـكان النيابة ، وتعود جذورهم إلى مناطق متباينة كالشوبك، ووادي موسى في الأردن، والأقباط الذين قدموا من مصر . هذا بالإضافة إلى الجماعات المسيحية التي وفدت إلى غزة مـن منطقة القدس والخليل . ومن عائلاتهم جماعة رزق ا ،وجماعة وادي موسى، وجماعـة خليل وقد توزعوا على منطقة غزة بأكملها . وهذه الجماعات لجأت إلى غـزة ومنـاطق أخرى شأنها شأن الجماعات الأخرى التي كانت تنتقل في البلدان من اجل البحث عن سبل أفضل للحياة .وهربا من الخلافات بين الطوائف في هذه المدن ([2]).

وإبان الفترة المملوكية توافدت أعداد كبيرة من الحجاج والزوار المسيحيين إلـى فلسطين فتشددت السلطات المملوكية في التعامل معهم خوفا من اندساس الجواسيس بيـنهم . وقد اعتبرت السلطات المملوكية بعض هؤلاء الحجاج جواسيس وذلك جراء الأوصـاف الدقيقة للبلاد الإسلامية التي أوردها هؤلاء الحجاج بعد عودتهم إلى بلادهـم، خصوصـا التحصينات العسكرية، والطرقات، والطاقات الاقتصادية والإمكانيات القتاليـة ، فقضـت الأوامر المملوكية بان يقوم كل ربان سفينة بتسجيل أسماء الحجاج الذين معه ، وأوصاف

---

[1] الدجاني .**الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 429 ؛ ناصر خسرو. **سفر نامة** .ترجمة يحيى الخشاب (بيروت :دار الكتاب الجديد ،1983) ،ط3 ، ص 70 ؛ غوانمة .**تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص120-121 .

[2] عطا الله .**نيابة غزة**. ص 91-92 .

كل واحد منهم مبينا طول قامته، ولون بشرته، والعلامات المميزة له . وكان يعهـد إلـى موظف مسلم بمهمة القيام بعملية مطابقة محتوى هذه اللـوائح والقـوائم مـع الحجـاج . وفرضت عليهم ضريبة(رسوم دخول) مقابل حمايتهم أثناء مكوثهم في البلاد ([1]).

وقد رحب سلاطين المماليك بالتجار الفرنجة القادمين إلى فلسطين وحـرص هؤلاء على عقد اتفاقيات اقتصادية مع سلاطين المماليك، لتحقيق الامتيازات، فتردد هؤلاء التجار على أسواق المماليك لشراء سلع الشرق وتصديرها إلـى أوروبـا ، ممـا شـجع الآخرين على القدوم إلى المدن الفلسطينية وأقاموا العديد من الوكالات التجارية في هـذه المدن .

وكانت السلطات المملوكية ترعى مصالح المسيحيين وتقدم لهم المسـاعدات. فقـد اعتنى السلطان برقوق بالمسيحيين اللاتين وغيرهم . وكذلك تابع الأمر ابنه فـرج حيـث سمح سنة (813 هـ /1410م) ببناء كنيسة بيت لحم ، وتـم إحضـار الأخشـاب مـن أوروبا، ونقلها بالبحر إلى يافا ومن ثم إلى بيت لحم على ظهور الدواب . كما قام السلطان خشقدم سنة (869هـ/1465م) بإصدار مرسوم يقضي بتعويض المسيحيين عما هلـك من منافعهم، وأرزاقهم، وعدم معارضتهم في أشغالهم بسبب تعديات المسـلمين علـيهم، وتخريب ممتلكاتهم. وهذا يعني أنهم كانوا يتعرضون لمضايقات من قبل المسلمين ،وكانت تتعرض أحياءهم وممتلكاتهم للتخريب في بعض الأحيان([2]) .

---

[1] المقريزي . **السلوك**. ج4 ، ص 143 .
[2] كوهين. **القدس. دراسات في تاريخ المدينة** . ص 116؛ غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** . ص 85

كما أن هناك مرسوم آخر أصدره السلطان قانصوة الغوري سنة 919هـ/1513م ، قد أمر بنقش المرسوم على بلاطة وإلصاقها على باب كنيسة القيامة حيث أمر فيه بمعاملة المسيحيين اليعاقبة، والملكانية، والأقباط، معاملة حسنة ولائقة . واسقط عنهم ما كان يجبى من رسوم عند قيامهم بالحج . كما أن الطائفة الارمنية قد حصلت على مرسوم حماية من السلطان جقمق سنة 854هـ/1449م . وهذا المرسوم ينص على حماية ممتلكاتهم ويمنع حكام المدينة من التعرض لهم . وما زال هذا المرسوم منقوشا على لوح رخامي في المدخل الجنوبي لحارة الأرمن ([1]).

وبالرغم من هذه الضمانات تعرض النصارى في بعض الأحيان إلى معاملة سيئة من قبل السكان المسلمين في المدن، لاتهامهم بالولاء للدول المسيحية التي حاربت من اجل السيطرة على فلسطين([2]) . ورغم كل هذا ساد الهدوء والإخاء والمحبة بين النصارى والمسلمين لفترات طويلة، فالمصادر تذكر انه في العام 722هـ/1317م نظمت صلاة استسقاء مشتركة للمسلمين والنصارى واليهود بسبب انحباس الأمطار لفترة طويلة .كما أن الرحالة إسحاق بن تشلو الذي زار فلسطين سنة 739هـ/1334م روى أن الكثير من المسلمين رجالا ونساء وعلى وجه الخصوص النساء يدخلون كنيسة قبر العذراء دون اعتراض من قبل النصارى ([3]).

3. اليهود

---

[1] نفس المصدر : ص 116-117 .
[2] نفس المصدر : ص116 .
[3] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي**. ص 463-466 .

عانى اليهود في المدن الفلسطينية في عهد الفرنجة من الاضطهاد ، حيث شملهم القتل والأسر مثل المسلمين، ونتيجة لهذه الممارسات هرب قسم كبير منهم إلى مناطق أكثر أمنا حتى كادت مدن فلسطين تخلو منهم تماما ([1]).ومما ضاعف من المشكلة أن عددهم كـان قد تقاص في الربع الأول من القرن الخامس الهجري/ الربع الأول من القـرن الحـادي عشر الميلادي بسبب تعرض المدن الفلسطينية لسلسة من الغزوات الخارجية التي قام بها بنو الجراح الطائيون والقرامطة ، مما دفع نسبة كبيرة منهم للهجرة إلى مصر والعـراق ،ومن تبقى منهم لم يتمكن من دفع الضرائب المفروضة عليه([2]) .

ذكر الرحالة اليهودي بنيامين الطليطلي الذي زار فلسطين فـي العـام590هـ ـ/ 1173م انه رأى مدن فلسطين تكاد تكون خالية من اليهود إلا من العدد القليل ، وخاصة في نابلس ،والقدس ، وبيت لحم ،وبيت جبرين ،والرملة ،ويافا ، وفي بعض المـدن لـم يشاهد أي يهودي كمدينة الخليل ([3]).

وبتحرير المدن الفلسطينية من قبضة الفرنجة أيام صلاح الدين الأيوبي اتخـذ عـدة إجراءات لتصحيح الوضع السكاني في فلسطين ، فدخل فلسطين أعداد كبيرة من المسلمين وفتح الباب أمام اليهود للقدوم إلى فلسطين من البلاد العربية، وشمال إفريقيـا وأوروبـا، فسكنوا في بعض المدن الفلسطينية مثل الرملة ، حيفا ،اللـد ، القـدس ،طبريـا ، عكـا

---

[1] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 100 .
[2] خليل عثامنة . **فلسطين في خمسة قرون** . (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،2000) ,ص 167-168 .
[3] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 100 .

،عسقلان ، يافا ، قيسارية ،نابلس ، صفد . وفي القرى مثل الجش ،وكفر برعم ، وميرون ،ودير حنا وعادوا لممارسة نشاطهم التجاري وحرفهم إلا أن عددهم بقي قليلا ([1]) .

وبسبب الخلافات المذهبية بينهم حول تعاليم دينهم انقسم اليهود في فلسـطين إلـى ثلاث فرق رئيسة وهم الربانيون، والقراؤون ،والسامريون . أما الربانيون فكانوا يمثلـون التيار القديم والأساسي ، ويعتمدون في شريعتهم على التوراة وعلـى تعـاليم مجتهـديهم وشيوخهم ، في حين تعتمد طائفة القرائين التي ظهرت للوجود وانفصلت عن الربانيين في نهاية القرن الاول الهجري/ القرن الثامن الميلادي على التوراة فقط ، ولم تأخذ باجتهـاد المجتهدين والعلماء اليهود الذي جمع في كتب "التلمود "، و"المشناه" . أمـا السـامريون فإنهم يعتبرون أنفسهم اليهود الأصليين ، وان التـوراة التـي يتـداولونها هـي التـوراة الصحيحة([2]) ، بينما التوراة التي يتداولها الربانيون والقراؤون محرفة وغير صحيحة، في حين يعتبرهم الربانيون والقراؤون كفارا وخارجين عن الملة اليهودية . ولا شك أن هـذه الاختلافات في العقائد أدت إلى الانشقاق بين هذه الطوائف ،كما أن القيود التـي فرضـها الفرنجة على اليهود أدت إلى انتشار المجاعات والأوبئة وبالتالي تناقص عدد اليهود ،كما أن التوتر في العلاقات بين اليهود والمسلمين والنصارى أدت إلى أعمـال عنـف وقتـل ضدهم وبالتالي دفعهم ذلك للهجرة ([3]).ومن تبقى منهم وخاصة السـامرين تقربـوا مـن المسلمين من ناحية اجتماعية .

[1] محسن يوسف .**الخارطة الدينية**.ص26 .
[2] نفس المصدر : ص 26 ؛ كرد على . **خطط الشام** .ج6 ،ص 222 .
[3] محسن يوسف .**الخارطة الدينية**. ص 25 -26 .

وفي عهد المماليك شهدت فلسطين هجرة يهودية معاكسة إلى فلسطين ،بدافع ديني واقتصادي وكان اغلب المهاجرين اليهود إلى فلسطين من أصول أوروبية وبالتحديد من الأندلس([1]) .

وفي كثير من الحالات عاش اليهود في أحياء خاصة بهم في المدن وكانت متاخمة للأحياء الإسلامية ، وهذا كان واضحا في مدينة القدس وأحيانا كانوا يعيشون بشكل مبعثر بين السكان ، مما أدى إلى حدوث مشاكل بينهم وبين المسلمين على المساجد والكنس.وشكلت هذه الجماعات في الأحياء جماعات صغيرة تميزت بانعزالها في روابطها العائلية والتجانس العرقي، والتضامن بين أفراد الجماعة الواحدة والوحدة الاقتصادية وكانت أشبه بالجماعات القروية ([2]). وكان بامكان هذه التجمعات من الانتقال إلى الأحياء المسلمة أو المسيحية إن أرادوا ، وكان بامكانهم مزاولة أي عمل أو مهنة يختارونها ، ولكنهم فضلوا التجارة والدباغة وصناعة الزجاج والعقاقير والحدادة والمجوهرات ، كما اهتموا بالوظائف الحكومية وخدمة السلطان([3]) .

ب . زعامات الأحياء الخاصة بالجاليات

قسمت المدن الفلسطينية إلى مناطق سميت حارات أو أحياء سكنية اختلف عددها من مدينة إلى أخرى تبعا لاتساع المدينة وتعدد الطوائف الدينية والعرقية التي سكنتها ، كما تفرع عن كل حارة عدد من الأزقة أطلق عليها أسماء الأسواق أو المساجد ،أو العائلات أو الكنائس والأديرة فيها ،وتضمنت هذه الأحياء أسواق منفصلة عن الأسواق

[1] **الموسوعة الفلسطينية** . القسم الثاني ،المجلد الثاني ، ص 593 .
[2] لابيدوس. **مدن إسلامية** . ص145-150 .
[3] محسن يوسف .**الخارطة الدينية**. ص30 ؛ على السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 104-105 .

الرئيسة وسط المدينة ، يفصل بينها شوارع وممرات ضيقة ،وأزقة قـد تكـون وحـدات حيوية للحياة الاجتماعية ،وكانت هذه الأحياء مجاورة لبعضها البعض داخل المدينة .

عاشت كل طائفة من الطوائف الدينية والعرقية فـي حـارة خاصـة بها،فعـاش المسلمون في حارة خاصة بهم ، كما عاش اليهود والمسيحيون في حارات أخرى وكـان هذا ينطبق على مدينة القدس دون غيرها من المدن الفلسطينية في عهد المماليك لان عدد اليهود والمسيحين في هذه المدن لم يكن يسمح بذلك ،وقد تفرع من حارات الطوائف غير الإسلامية حارات اصغر سكن كلا منها طائفة دينية ([1])، وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه التقسيمات لم تكن مطلقة فلم تقتصر الحارة الواحدة على طائفة معينة بصـورة تامـة ، إذ عاش المسلمون والمسيحيون معا في المحلة الغربية من حيفا ، التي كان معظم سكانها من المسيحيين، كما سكن المسلمون والمسيحيون في المحلة الشرقية من حيفـا ، التـي كـان معظم سكانها من المسلمين ، وكذلك الحال في عكا والناصرة ،وصفد ، وكان العديد مـن الفئات في الأحياء يكونون مجتمعات متجانسة ووثيقة الصلة بين أفرادها ، وان لـم يكـن ضروريا أن يكون كل واحد منها متضاما بذاته . فميل الفئات المختلفة إلى التماس الراحة والحماية لإفرادها كان شديدا جدا في عالم لم يكن فيـه أي إنسـان أمنـا حقـا إلا بـين عشيرته([2]) .

وقد قام التضامن بين هذه الأحياء على أساس الهوية الدينية ،ففي القدس كانـت كل طائفة مسيحية أو يهودية لها شارعها الخاص ولكنها كانت متاخمة للشوارع الإسلامية

---

[1] لمزيد من التوضيح مراجعة الفصل الثاني في الرسالة ، ص 62-66 .

[2] لابيدوس .**مدن إسلامية**. ص 146- 147 .

، وكان للقدس عدة أحياء لناس وافدين من قرى مختلفة ، أو لجماعات قبلية .وكان أحيانا تضامن بعض الأحياء الإسلامية يعتمد على الانتماءات الدينية الطائفية والعشائرية، ولعـل الأحياء كانت منظمة تبعا لأسرة من عائلة ذات شان تحيط بهـا منـازل فـروع أصـغر وعائلات التابعين والخدم ،والموظفين والتلاميذ ([1]) .وهناك أيضا أسس اقتصـادية يبنـى عليها تجانس أحياء معينة . فبعض الأحياء كان يسمى بأسماء احـد الأسـواق أو أحـدى الحرف .وغالبا ما كانت تعطى المهنة المشتركة هذه الأحياء صفتها الخاصة ومـع ذلـك ليس هناك من برهان على أن تجانس الطبقات الاجتماعية كان أساسا للتضامن ، ولم تكن الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية متميزة بعضها عن البعض الآخر بحيـث تخلـق أساسا لأي انفصال جذري بين الطبقات على أساس الحي ، فالأحياء كانت جماعات مكونة من الأغنياء والفقراء معا ([2]) .

وقد ولد التضامن في بعض المناطق عداوات شرسة بين الأحياء، كـان يشـتعل لهيبها كلما ضعف الحكم المملوكي . ففي المدن الفلسطينية أحدثت الخصومات الكردية أو التركمانية أو العشائر البدوية العربية التي لها صلات نسب أو مصاهرة مـع القـرويين والبدو في الخارج ،حروبا داخلية . ففي الخليل مثلا ،وفي عام 878هـ/1474 م تقاتلـت أحزاب من الأكراد مع جماعة تسمى الدرية فتدفق رجال القبائل مـن الريـف المجـاور لنصرة زملائهم من الدرية، وفي عام 885هـ / 1480م ، انفجر القتال في القـدس لان الحاكم اعدم بعض الأشخاص من بني زيد ،فهاجم البلدة حلفاؤهم أو انسـباؤهم القـاطنون

---

[1] نفس المصدر :ص 156 .
[2] نفس المصدر :ص 148 -150.

خارج المدينة ، وأغاروا على الأسواق والمساجد ، وأطلقوا سراح المساجين . وبعد مضي بضعة سنوات تقاتلت في الرملة 889هـ/1484 م أحياء التركمان والبشكير فيما بينهما نتيجة لمثل هذه الخصومات([1]) .

وعلى أية حال كان تماسك الأحياء معززا بالمسؤوليات الاجتماعية والإدارية الهامة التي تطورت فيها فكان احد الأعيان القياديين ويدعى الشيخ أو عريف الحارة ، وكان يجري اختياره من قبل والي المدينة .وكان عرضة للإقالة من قبل هذا الحاكم . وكان المشايخ مخولين حق الجلوس في مقاعد الشرف أثناء الاجتماعات العامة ، ويستقبلون الحكام والسفراء ، وزائرين آخرين من أصحاب المقامات الرفيعة . وكانوا يسيرون شؤون الحياة في الأحياء بالتشاور مع أعيان آخرين وعلماء وتجار وموظفين رسميين .فمثلا ،استغلوا الهبات الصغيرة التي كانت تقدم لغايات اجتماعية ، في أعمال الصيانة وإجراء الإصلاحات ([2]). لقد كانت وظيفتهم في الأساس وظيفة إدارية ، فضلا عن ذلك التوسط بين متطلبات النظام المملوكي المالية ، وموارد الشعب المالية . وكانوا وكلاء الحكومة في تحديد الضرائب وجمعها ، وبخاصة الضرائب الاستثنائية التي لم تفرض على أساس منتظم ، والتي كان المشايخ يحاولون ردها أو تخفيضها . فكان على المماليك أن يقنعوهم بدفع الأموال ،ويحولوا بينهم وبين استخدام نفوذهم ضد الرعايا ضمن إطار النظام نفسه فتولى المشايخ مهمة جمع الضرائب للنظام بغية تماص المشايخ من دفع الضرائب ولحماية تابعيهم من تعسف السلطة ([3]) .

---

[1] نفس المصدر :ص 150.
[2] نفس المصدر : 157 .
[3] نفس المصدر : ص 157-158 .

وامتدت مسؤولية المشايخ الإدارية حتى شملت أيضا وظائف الشرطة . فقد طلب الحكام المماليك إلى مشايخ الأحياء أن يفرضوا بالقوة قوانين محلية خاصة ، ويشاركوا في قمع معاقرة الخمرة ، ويحدوا من الانتشار أثناء الليل ، وينظموا فتح المحلات التجارية وأقفالها ، ويعملوا على تطبيق القواعد الصحية بالقوة . وحملوا أيضا مسؤولية منع الجريمة ، وعودة الهاربين ، واعتقال المجرمين ، أو دفع تعويضات العطل والضرر في الحالات المستعصية على الحل([1]) .

ومن الطوائف التي اعتمد عليها المماليك لتحقيق هذا الغرض في حال توتر العلاقات مع مشايخ الحارات والأحياء الزعار: وهي أكثر الجماعات تنظيما وكانت تضم الفتيان في أحياء المدن والذين تلقوا تدريبا عسكريا ، وحازوا على نفوذ قوي ومؤثر في المجتمع في بعض الأحيان ، ولعبوا دورا كبيرا في المقاومة الشعبية ، واستغلهم المماليك ووجهوهم بشكل يتوافق مع مصالحهم أحيانا .وكان لهذه الفئة مقرات خارج أسوار المدينة وفي القرى المجاورة لمدن القدس، ونابلس ،وغزة، وصفد ،والخليل . وكان يتسمى زعماء هذه الفئة بألقاب مثل السيد والشريف والرئيس ، وقد حصلوا على هذه الألقاب رغبة منهم في الحصول على مناصب . وكانوا يدافعون عن أحيائهم ويقفون في وجه السلطة المملوكية ، ولكنهم كانوا يظلمون الأحياء بقدر ما يدافعون عنها كونهم قتلة ومجرمون ولصوص يعتمدون في حياتهم على هذه الأعمال لكسب قوتهم ، وكانوا مسؤولين عن اغتيالات لا حصر لها ، وربما نتجت عن الثارات بين الأحياء، ولعبت السلطة المملوكية دورا في تسليح هذه الفئة ، وفي بعض الأحيان دفعوا لهم الأموال لقاء ولائهم بغية

---

[1] نفس المصدر :ص 160 .

استخدامهم كقوات عسكرية موازية واحتياطية ، أو لتحقيق مصالح ذاتية . مما أدى إلـى بروز عصابات إجرامية منظمة اعتمدت على السلب والنهب في حياتها ، وكانـت هـذه الفئة تنشط في ألازمات والحروب ، وكان يطلق عليهم اسم الحرامية ([1]) .

ج . زعامات الطوائف المهنية

جمعت هذه الفئة كل السكان التجار والحرفين والمهنيين باستثناء فئة العلماء ، ومن أبرز التنظيمات المهنية التي لعبت دورا هاما في إدارة شؤون الرعية فـي المـدن بجانب المؤسسة الرسمية نذكر :

1. التجار

كانت طائفة التجار من الطوائف الثرية وذات النفوذ والمركز الاجتماعي في الدولة المملوكية ، وكان لطائفة التجار رئيسا يسمى رئيس طائفة التجار ، يراعي مصالح التجار في المدينة وفي أحيان يسمى شيخ التجار ويكون من أثرياء تجار المدينة . وقد أطلق على طبقة التجار في العصر المملوكي "بياض العامة " ([2]) ، وذكرت المصادر وجود عريف لكل سوق من أسواق بيت المقدس ([3]) .

وضمت هذه الطائفة تجار الجملة والسماسرة ، والتجار الدوليين ، والصرافين، وتجار الرقيق ، ووسطاء بيع السلع الكمالية ، وكان بعضهم يتمتع بمستوى معيشي جيد. ومما ساعد في ثرائهم ولع المماليك بالسلع الكمالية ، واقتناء الأواني الفضية، والنحاسـية

---

[1] نفس المصدر :ص 256-263 .

[2] يوسف غوانمة. **تـاريخ شرقي الأردن في عصر دولـة المماليك الأولـى** .(عمـان : جمعيـة عمـال المطـابع التعاونيـة الأردنيـة ، 1979)، ص 104 .

[3] **وثيقة رقم 20 سنة 768هـ** ، من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

والأخشاب الثمينة ، والورق ، والأجواخ الأنيقة . وقد استثمر التجار أموالهم فـي شـراء العقارات والممتلكات التي جعلت منهم قوة اجتماعية مهمة حيث امتلـك العديـد مـنهم: الأرض والكروم والبساتين والحدائق والبيوت الكبيرة والانيقة وأحيانا أسـواق وحوانيـت ومعاصر وحمامات وطواحين وخانات .

كما عمل رئيس التجار كوسيط بين سكان المدن والريف وخاصة في مجال تسـويق حبوب الأمراء . وكانوا مرتبطين بشكل قوي بالنظام المملوكي ، لان قسـما كبيـرا مـن الأملاك والأراضي والحبوب والمواد الخام التي احتاجها التجار كانـت بأيـدي الأمـراء والسلاطين والقادة ([1]) . وهذا واضح من خلال استثمار المماليك بعـض أمـوالهم فـي التجارة وعقدهم الشراكة مع بعض التجار ليتاجروا بالنيابة عـنهم .وقـد كـان لنفـوذهم وسيطرتهم على مقاليد الحكم دور كبير في التحكم في قوى الإنتاج في المجتمع وعمليـات الشراء والبيع بالإكراه . كما كان يحدث في بيع كميات من الزيت فـي منطقـة القـدس ونابلس حيث كان المماليك هم من يحدد السعر الذي يتم البيع به ، وبهذه الطريقة تجنـى الفوائد على السلع وهي ما زالت في مناطق إنتاجها ([2])، واستغل التجار الذين من أصـل مملوكي الامتيازات التي تمتعوا بها كالإعفاء من الضرائب ، وقاموا بأعمال غير شـرعية ، حيث عرف عنهم أنهم كانوا يبيعون المشروبات الروحيـة والخنـازير إلـى التجـار الاوروبين منتهكين بذلك حرمة المحظورات الإسلامية([3]).

---

[1] لابيدوس . **مدن إسلامية**.ص 200-201

[2] العزة .**نابلس .** ص 131-135 .

[3] لابيدوس .**مدن إسلامية** .ص201 .

تطلب النظام التجاري تجارا يعملون كصرافين ومارس هذه المهنة تجار التوابـل الذين كانوا ينقلون التوابل من البلاد الإسلامية ومنها فلسطين إلى أوروبا . هؤلاء التجـار مكنتهم ثروتهم وتنظيمهم غير الاعتيادي من إعطاء قروض ضخمة للموظفين الرسميين ، والحكام ،والأمراء. وقد كانت بعض هذه القروض ابتزازا أو قروضا بالإكراه . وربما لم يتم تسديد بعضها ، وان تم ذلك فربما كان بأقل مما يستحق لهم بالفعل . ومن أمثلة ذلـك انه طلب من التجار في العام 687هـ/1286م أن يـدفعوا الغرامـات عـن المـوظفين الرسميين في كل من القدس ودمشق الذين كانوا قد استدعوا إلى القاهرة . ولم يكن معهـم مال نقدي جاهز ، لدرجة أن احد السلاطين وهو الناصر محمد كان مدينا بمبلـغ 16000 دينار لعدة تجار اوروبين ، فسواه بإلغاء ديون الاوروبين المتوجبة لتجار الكارم(التوابل) . وقد رضي التجار بما الزمهم به السلطان . كما أن السلطان الناصر اقترض المال مـن تجار الكارم لتمويل الحملات العسكرية وكذلك السلطان برقوق اقترض المال مـن تجـار الكارم سنة 790هـ/1390م حيث كان في حاجة شديدة للمال ([1]) .

وقد عمل التجار على حماية النظـام ومسـاعدته حيـث وقعـت اتفاقيـات ومعاهدات مع دول ومقاطعات لتسهيل مهمة التجار المسلمين وحمايتهم . وبذلت السلطات المملوكية جهودا كبيرة لحماية التجار الاوروبين . ولم يقتصر الأمر على الحماية فقط بل قدمت لهم مساعدات هامة من قبل دوائر البريد الرسمية والخانات التي كانـت مؤسسـات حكومية مدعومة من قبل الدولة والأوقاف ([2]).

---

[1] المصدر السابق :ص203-205 .
[2] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 175-178 .

2. الطوائف الحرفية

كانت هذه الطوائف تضم الحرفيين المحليين في المدن الفلسطينية والـذين جلـبهم الأمراء برفقة الجيوش للعمل في مشـاريع البنـاء والاقنيـة والجسـور، والتحصـينات والشوارع والصناعات المختلفة ([1]) . وكان أصحاب كل حرفة في داخل المدن لهم تنظيم خاص بهم لحماية مصالحهم الاجتماعية والاقتصـادية، و تحسـين الظـروف المعيشـية لأعضائها والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم،وكانت كل طائفة حرفية توضع تحت قيادة شيخ يتم اختياره بالانتخاب من بين أعيان التجار وأصحاب الحرف، ويصادق عليه مـن قبـل نائب السلطان في النيابة .وهؤلاء الشيوخ كانوا مسؤولين عن حفظ النظام والأمن، ومنـع الاحتيال وكذلك جمع الضرائب التي تفرض على أهل الحرفة في كل سوق ([2]) وكـذلك كان كل شيخ منهم مسؤولا عن أبناء حرفته كالإشراف المهني على أعضـائها وعمليـة التصنيع ونوعية المنتجات وتحديد الأسعار ومواصفات كل سـلعة ومسـتواها وتسـوية الخلافات بين أعضائها وحظر المنافسة غير المشروعة بين أصحاب الحرفة الواحدة، كما كانت تهتم بالمنازعات مع العملاء ، وتحديد أجورهم ،وربما رعاية المرضى والفقـراء من أبناء الحرفه . وقد أدى التمركز الجغرافي للمهن إلى امتلاك كل طائفة لقطاع معـين في المدينة حيث تقيم سوقا لها . بحيث نجد النجارين والحـدادين والنحاسـين وصـانعي الأحذية والملابس والنساجين والصباغين والدباغين ... الخبـازين والفـرائين وحـائكي الحرير وصناع القباقيب الخشبية ...الخ ([3]) . وكان يعاون شيخ كل حرفـة عـدد مـن

---

[1] لابيدوس.**مدن إسلامية** .ص116 .
[2] نفس المصدر : ص 164-171 .
[3] نفس المصدر :ص 216 .

العرفاء والكتبة ومجموعة من الحرفيين أو المهنيين القدامى في المهنة .وكانت تتم تحـت إشراف الطائفة وشيخها ترقية الحرفي أو التاجر من مبتدئ إلى زميل ثم اسطى أو معلم . وبمناسبة الترقية يجري احتفال بتنظيم موكب في الشارع وفقا لنظم محدودة يتخذ رجـال الدين والفتوه دورا مرموقا في المشاركة فيه([1]).

وكان الشيوخ يحتفظون بقائمة أسماء الأعضاء المنتسبين إلى الطائفة الأمر الـذي يسمح للسلطات باللجوء إليهم عند الحاجة إذا لزم الأمر .هذا بالإضافة إلى العمل على نقل أوامر الحكومة والتحقق من تنفيذها ،ويتولون مهمة جباية الضرائب المفروضـة علـى طوائفهم وذلك بتوزيع المبلغ الإجمالي المفروض على أعضاء الطائفة والذي كانت الطائفة مسؤولة عنه بصفة جماعية .كما كانت السلطة تستشيرهم في حال وقوع أزمة ([2])، وتلقي عليهم مهمة الحفاظ على الأمن داخل الأسواق الخاصة بهم بتكليف من والي المدينـة أو المحتسب في حال حدوث مصاعب غذائية كبيرة كالمجاعة أو ارتفاع الأسعار. حيث يـتم استدعاء المشايخ للحصول منهم على المعلومات اللازمة ، ولوضع تسـعيرة بمسـاعدتهم لأنهم يبررون سبب ذلك للمحافظة على الأمن داخل الأسواق والأحياء .وقد أدت تجزئـة الطوائف المهنية الشديدة وعدم وجود أي تنسيق بينهم إلى منع الحرفيين من تشكيل نفـوذ مواز وعلى مستوى المدينة ينافس السلطة السياسية([3]) .

3 . الطوائف المهنية للعامة الرثة من سكان المدن

---

[1] اندرية ريمون . **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني** . ترجمة لطيف فرج ، (القاهرة : دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر ، 1991) ص99 ؛ عبد الكريم رافق . **"مظاهر من التنظيم الحرفي". دراسات تاريخية** (1981) ص22 .

[2] نفس المصدر ص 99-100 .

[3] رافق . **مظاهر من التنظيم الحرفي** . ص37 ؛ ريمون . **المدن العربية الكبرى** . ص 100 .

إن اتساع مساحة المدن وزيادة عدد السكان فيها طرح عددا من المشاكل الخاصـة المتعلقة بتوفير احتياجات السكان. ولهذا كان من الواجب إيجاد أشكال تنظيمية لتزويد هذه المدن بالخدمات الضرورية والتي أدت إلى ظهور العديد مـن الطوائـف المهنيـة التـي مارسها العديد من الفئات من طبقة العامة الرثة ،ومن ابرز المهن التي ظهرت في المـدن الفلسطينية في صفوف طبقة العامـة الرثـة مهنـة المكـارين، الجمـالين، والحمـالين، والبازدارين ،والحجامين ، والدباغين ، والمشـعوذين، والحلاقـين، وبـائعي الخمـور ، ومصارعي الديكة ، والندابين المحترفين ، والراقصين ، والزبالين ، والجراحين ، ومـن يسوسون الكلاب والحمير ، والصيادين، والمصارعين ، والمهرجين ، والمتاجرين بالبغاء ،والمقامرين، والقصاصين ، والكسارين، واللصوص، والممثلين، والمشاعلية، والسقائين ([1])،والاساكفة والناطور([2]) والمزملاتي([3]) ، وغاسل الموتى ، والباعة المتجولون ([4]).

فتولت طائفة المكاريين (سائقو الحمير) مهمة نقل الرجال والنساء داخـل وخـارج المدن ونواحيها ، وطائفة الجمالين (سائقو الجمال) تولت مهمة نقل البضائع والحقائـب الخاصة بالتجار والمسافرين .وكان يمكن للسكان أن يستأجروا هذه الدواب التي تقف فـي مواقف (محطات) خاصة تقع بالقرب من مداخل المدن وفي الشوارع الرئيسة والأسـواق . وتتفاوت الأجرة وفقا لطول المسافة وعلى أساس نوع من التسعيرة .

وتم العمل على تامين المياه في المدن من خلال طائفة السقائين التـي كانـت تتـولى المهمة باستخدام الجمال والحمير والبغال في نقل الماء .وكان توزيع المياه في المدن مسند

[1] لابيدوس .**مدن إسلامية**. ص 141-144 .
[2] الناطور : هو العامل المنوط به حراسة الثياب في الحمامات ؛ السبكي . **معيد النعم**. ص 174-175 .
[3] المزملاتي : هو حامل قربة الماء والعامل للسبيل ؛ السبكي . **معيد النعم**. ص 85 .
[4] المقريزي .**الخطط** .ج2 ،ص 72 .

إلى ثلاث طوائف: السقاءون بالتجزئة في الشوارع والثانية السقاءون لمـلء الخزانـات ، والثالثة السقاؤون للمياه المالحة . السقاؤون بالتجزئة يستخدمون الحمير ولكنهم في اغلـب الأوقات يحملون القرب فوق ظهورهم وكانت المياه تباع للمارة أو تحمل إلى المنـازل ، ولكل سقاء عدد معين من العملاء الدائمين الذين يحاسبونه بأساليب مبتكرة .ففـي بعـض الأحيان يقوم السقا برسم خط على باب العميل مقابل كل قربة يحضرها له . وفي أحيـان أخرى يستخدم عقود من الخرز ويقوم بسحب خرزة مقابل كل قربة وحين ينتهـي يقـوم بجمع الخرز ويسوى حسابه مع العميل .

وكان هؤلاء السقاؤون يرتدون صدرية من الجلد الطويل إلى حد ما ، وسـروال قصير يصل إلى فوق الركبة وحذاء نصفي خفيف للغاية . وكانوا يقدمون الماء إلى المارة في أكواب معدنية مزخرفة مفرطة في الجمال في بعض الأحيان . وكانوا يرددون نداءات لجلب العطشان قائلين " سبيل ا يا عطشان " ([1]) .كما قـام السـقاؤون، والكسـارون، والمراقبون بمساعدة والي المدينة في مكافحة الحرائق .

ووجد العديد من الطوائف المهنية التي تولت مهمة النظافـة داخـل المـدن منهـا الزبالون ، الترابون،الرشاشون، حيث كان كناسون محترفون يقومون بكنس الشوارع فـي الأسواق وبداخل الأحياء ، ويدفع سكان المنازل أجورهم . كما قام الترابون وهم أعضـاء في طائفة متخصصة برفع الأتربة والفضلات ونقلها فوق ظهور الحمير إلى خارج المدينة وقامت طائفة الرشاشين المكلفين برش الشوارع بالماء لترطيب الجو ،ورش الأسواق حتى

---

[1] اندرية ريمون . **المدن العربية الكبرى**. ص 118 .

لا تتطاير الأتربة فوق البضائع . وكان الرشاش يتلقى من كل صـاحب حـانوت مبلغـا محدودا .

ومارس الحرافيش وهم من الفقراء المعدمين الـذين يسـكنون المنـازل الحقيـرة والاكشاك والشوارع داخل المدن وكانوا يعتاشون من سخاء الأمراء والأغنياء وصـدقات السلطان. وكان يغلب على عمل أصحاب هذه المهن عدم التنظيم ، والتجوال فـي المـدن بغية التكسب . وكانوا يتواجدون أينما وجدت الرذيلة والتسول. وكان أفراد هـذه الطبقـة وثيقي الصلة ببعضهم البعض، عملوا كرجال أمن وحراس وجلادين وحجـاب محـاكم . واستخدموا للتشهير العلني بالأشخاص الذين حكم عليهم.بجانب عملهم كحـراس ليليـين وحملة مشاعل ، وتولوا مهنة نقل الأقذار بعربات خارج المدن كجثث الحيوانات الميتـة ،مقابل أجر بسيط . وكانوا أيضا من الخدم الوضيعين حيث استخدمهم البائعون في التقاط الكلاب الشاردة وإزالتها من شوارع المدينة ، وقد شكل هؤلاء الحرافيش جمهورا غوغائيا خطيرا . وتورط المشاعلية والحراس منهم الذين يعملون في الليل في المقامرة والسرقة ، والتجارة بحشيشة الكيف التي كانت تزرع في مرتفعات صفد([1]). وكان الناس يخشـونهم لأنهم شكلوا عنصرا غير منضبط في المجتمع ، وفي بعض الأحيان انخرط الحرافيش في الجيش بصورة أكثر انتظاما للقتال إلى جانب المماليك في التصدي للفرنجة والمغول . كما استفاد منهم حكام المماليك وأمرائهم لتحقيق مصالحهم الشخصية ([2]).كما مارس الشـطار وهم طائفة من الرعاع الدعارة .وقد كانت هذه الفئة تكثر إبان الحروب . وكان أتباع هذه

---

[1] لابيدوس . **مدن إسلامية**. ص 294- 304 .
[2] نفس المصدر: ص 295 .

الفئة يمتازون بميلهم للفكاهة والمرح واللهو، فهم مشهورون بالنوادر المستلحمة والنكـات المرحة . وسماهم ابن بطوطة الفتاك([1]) .

نستنتج مما تقدم أن المماليك اعتمدوا على المؤسسات الرسمية والشعبية في إدارة المدن ،حيث تولى أمراء المماليك المناصب الرسمية والإدارية في المدن. وعينـوا لكـل مدينة حاكم(والي المدينة) وموظفين رسميين ليتولوا أمور الجـيش وجبايـة الضـرائب وصيانة المؤسسة العسكرية فيها . أما الخدمات العامة فقد وقع جزء منها على مسـؤولية الحكام والأمراء المماليك كنتيجة غير مباشرة لمهماتهم العسكرية والمالية . والجزء الأكبر القي على عاتق المؤسسات الشعبية حيث مارس رؤوساء الطوائـف المهنيـة والعرقيـة والدينية دورا هاما في إدارة المدن بالإشراف على الأوضاع الاقتصـادية والاجتماعيـة، والخدماتية والأمنية ، فمارسوا دور الشرطة داخل إطار وظائفهم في الأحياء والأسواق .

وبذاك احتفظ المماليك بجميع الخيوط الاجتماعية مع معظم الفئات الاجتماعية داخل المدن لضمان بقائهم في السلطة .فانشاوا ارتباطات مباشرة مع العلماء ،رجـال الـدين ، التجار ، وعامة الشعب من أهالي الأحياء في الأسواق ، لضمان عدم تكـوين معارضـة منظمة ضدهم . فقد صان المماليك مصالح طبقة التجار لارتباطهم بمصالح تجارية معهـم ، كما تقربوا من رجال الدين وقدموا لهم الدعم والامتيازات لكونهم قادة المجتمع الروحيين ،ولقدرتهم في إقناع الناس بإطاعة أوامر السلطة بإضفاء الشرعية على مطالب السـلطة، وبالتالي ساعدوا النظام المملوكي على إنجاز جمع الضرائب . كما امتدت رعاية المماليك إلى عامة الشعب من حرفيين ومهنيين ومزارعين وحرافيش وزعار ،وزعامات الأحيـاء

[1] ابن بطوطة .**رحلة ابن بطوطة**. ج1 ،ص235 .

والطوائف العرقية والدينية ،التي اعتمدت عليهم في جباية الضرائب وحفظ الأمن ، والقيام بمهام الخدمات العامة في المدن لتخفيف العبء على السلطة المملوكية.

وبهذه الطريقة احتوى المماليك كل فئات الشعب وحالوا دون قيام أنمـاط بديلـة للحكم ، ودون معارضة قوية وفعالة ضدهم . كما لجأ المماليك إلى إنشاء مؤسسات أمنية إضافية بين فترة وأخرى بدل التنسيق بين النظم الأمنية في داخل المـدن وجعلهـا أكثـر ترابطا وتنظيما والتوفيق بين أعمالها ،ودعموا فئة على حساب الأخرى تبعا لمصـالحهم وأهدافهم، مما شجع السلب والنهب واضطراب الأمن في بعض الأزمـات التـي كانـت تتعرض لها المدن بسبب انشغال الدولة في النزاعات الداخلية والحروب .

الفصل الرابع

نشاطات المجتمع المدني الاقتصادية

أولا:النشاط الحرفي

أ. الصناعات الغذائية

ب.الصناعات الحرفية

ثانيا :النشاط التجاري

أ. التجارة الداخلية

ب. التجارة الخارجية

نشاطات المجتمع المدني الاقتصادية

أولا :النشاط الحرفي

شهدت المدن الفلسطينية نشاطا حرفيا جيدا في العهد المملوكي، حيـث مـارس السكان العديد من النشاطات كالعمل في الحرف اليدوية ، الصناعة ، والتي ساهمت إلـى حد ما في ازدهار كثير من الصناعات الغذائية والحرفية وفي تنمية الاقتصاد ، وعـادت بالفائدة على السكان ، ومن بين تلك الصناعات والحرف التي مارسها السكان في المـدن الفلسطينية في العهد المملوكي :-

أ .الصناعات الغذائية

تتمثل هذه الصناعة في عصـر الزيتـون واسـتخراج زيته،وصـناعة السـكر ،ومنتوجات الألبان ، وفي عصر العنب وصنع الدبس منه وطحن الغلال للحصول علـى الدقيق..الخ .وتشير نتائج المسح العثماني الأول لسنجق صفد إلى وجود العديد من معاصر الزيتون في المنطقة والطواحين المصنوعة من الحجر والتي كانت تدار بالماء، وأقيمـت بالقرب من ضفاف الأنهار والوديان، موزعة في عدة نواح من عكـا وتبنـين وطبريـا والشقيف ...([1]) .

1.صناعة عصر الزيتون :

نشطت هذه الصناعة في المدن الفلسطينية ونواحيها ، وأقيمت لهذا الغرض الكثير من المعاصر التي كانت تدار إما بجهد الحيوان أو بطاقة الماء . وقد حققت مدينة نـابلس

---

[1] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 172-173 .

شهرة عالمية واسعة في مجال إنتاج هذه السلعة وكانت تنتج كميات كبيرة من الزيت قبل الفترة المملوكية وبقيت كذلك خلال الفترة المملوكية . وقد أشار ناصر خسرو في رحلته إلى أن إنتاج نابلس من الزيت وفير لدرجة أن الوجهاء كانت تصل غلة كل منهم من زيت الزيتون إلى خمسين ألف رطل ([1]) ،وكان الرطل يعادل 2.4كغم ([2])، وأشار إلى أنهم كانوا يحتفظون بالزيت في آبار وأحواض ، ومن ثم يصدرونه إلى الأقطار الأخرى ([3])، كذلك أشار دانيال إلى محصول الزيت في نابلس كواحد من أهم منتجاتها ([4]) .وتشير الكثير من المصادر التي تناولت الفترة المملوكية إلى أهمية نابلس في إنتاج زيت الزيتون، فشيخ الربوة يذكر بأنها مختصة بشجرة الزيتون، ويحمل زيتها إلى الديار المصرية والشامية والحجازية والبراري (بر دمشق) وان قسما من هذا الزيت كان يحمل إلى جامع بني أمية في دمشق كل سنة ألف قنطار بالدمشقي ([5]) ،ويعادل القنطار الدمشقي 185كغم ([6]).وتحدث ابن بطوطة عن زيت نابلس الذي يحمل إلى مصر والشام ([7]) .

أما طريقة عصر الزيتون فكانت تتم بقيام الفلاحين بجمع ثمار الزيتون ، ومن ثم يحمل إلى المعصرة حيث يدق الزيتون باليد والمدرس ، وهو يتألف من حجر قائم على حرفه ، ويدور فوق فرشة أفقية ثابتة ، وفي الحجر الراسي الذي يدور حول المحيط ،وهو مخروطي قليلا وقطر وجهه الخارجي اكبر من قطر وجهه الداخلي ، والفرشة الأفقية

---

[1] ناصر خسرو. **سفر نامة** . ط3 ، ص53 .
[2] فالترهنس . **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري** . ترجمة كامل العسلي ،(عمان : منشورات الجامعة الأردنية ،1970) ،ص32 .
[3] ناصر خسرو: **سفر نامة** . ص53 .
[4] دانيال الراهب . **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب** . ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة (عمان : د.ن،1992) ، ص109 .
[5] شيخ الربوة . **نخبة الدهر** . ص 200-201 .
[6] فالترهنس . **المكاييل والأوزان**. ص 42 .
[7] ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** . ص60 .

الثابتة عبارة عن بناء حجري أسطواني يرتفع من 80-90 سم ، مبني من الخـارج مـن حجارة تستدق إلى الداخل ، وفي الوسط حجر أفقي (فرشة) وفي وسط الفرشة عـامود راسي في أعلاه محور يتمركز ويدور عليه السابق أو الداير وهو خشبة طويلة أفقية يمر احد طرفيها في الحجر الراسي ، ويشد الطرف الآخر بالدابة التي تدير الخشـبة . وبعـد عملية الدرس يعبا الدرس في قفص ، وتوضع فوق بعضها البعض في المكـبس بحيـث يخرج الزيت أثناء الكبس ([1]) أما المتبقي بعد العصر فكان يطلق عليه اسـم (الجفـت) يكبس مرة أخرى بقوة اكبر ،ويعطي كمية إضافية من الزيت يستخدم في صناعة الصابون ،أما المتبقي من الجفت فكان يباع للأفران لاستخدامه كوقود([2]).

2.صناعة السكر

ازدهرت صناعة السكر وتكريره في بلاد الشام ، واعتبرت منطقة الأغوار مـن اشهر المناطق المناسبة لزراعة قصب السكر ([3]). وقد كشفت الحفريـات الأثريـة فـي منطقة الأغوار عن وجود أثار لبقايا معاصر لقصب السكر كانت تعمل باستخدام دواليـب المياه ويرجح أن تاريخ هذه المعاصر يعود للفترة الممتدة بين القرنين السـادس-الثـامن الهجري/ الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين ([4]) . ويدلنا هـذا العـدد الضـخم مـن المعاصر على قيمة وأهمية هذه الصناعة . وكانت زراعة قصب السكر تمتد مـن سـهل بيسان إلى منطقة اريحا ثم على امتداد البحر الميت، وأشار ياقوت الحموي إلـى القـرى

---

[1] الدجاني . **الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 541 .
[2] نفس المصدر: ص 541 .
[3] العزة . **نابلس**. ص 123 .
[4] الدجاني .**الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 533 .

التي زرعت وأنتجت قصب السكر منها : اريحا، بيسان ،طبريا،كابول في الجليل الغربي بين طبريا وعكا، قراوى الغور التي زرع فيها السكر الفائق ([1]) .

وقد تحدث بورشارد في رحلته عن كيفية صناعة السكر إذ أورد بأنه يـتم تجميـع القصب وتقطيعه قطعا طولية صغيرة ، وبعد ذلك يتم عصر القطع بالمعصرة ، ويجمـع العصير في وعاء نحاسي معد لذلك ،ثم يتم غليه على النار حتى يصل إلى درجة التكاثف وبعد ذلك يجمع في سلال مصنوعة من أغصان رفيعة ، ويبقى فيها لفترة حتـى يصـبح جافا وقاسيا بزوال المادة السائلة منه والتي تدعى عسل السكر ، وبهذه الطريقـة يصـنع السكر ([2]) .

3. صناعة الحلويات :

اهتم سكان المدن الفلسطينية بصناعة الحلويات، وفي مقـدمتها صـناعة الكنافـة ،والقطايف ، وحلويات الخروب ([3]) . وتحدث ابن بطوطة فـي رحلتـه عـن صـناعة حلويات الخروب ،التي تصدر إلى دمشق وغيرها ولخص طريقة صـنعها بـان يطـبخ الخروب ثم يعصر، ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلوى، وتباع في أسواق مصر والشام ([4]) .

4.صناعة النبيذ :

---

[1] شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي . **معجم البلدان**. تحقيق عبد العزيز الجندي (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990) ،ط1، ج4، 362 ؛ الدجاني .**الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص537 .
[2] بورشارد . **وصف الأرض المقدسة** .ترجمة سعيد البيشاوي (عمان : دار الشروق ،1995)، ص 168 .
[3] العزة . **نابلس**. ص 126 .
[4] ابن بطوطة .**رحلة ابن بطوطة** .ص61 .

ومن الصناعات التي اشتهرت بها نيابة غزة "النبيذ الغزاوي " الذي أشار إليه ابـن إياس عند حديثه عن سفر السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد إلى الحجاز سنة 778هـ/1376 م حيث يقول "...وأشيع انه حمل معه نبيذ غزاوي ... "([1]). ازدهرت هذه الصناعة أيضا في نابلس ومدينة القدس ([2])وهي من الصناعات التي تحدث عنها الرحالة الأجانب أثناء زيارتهم للمدن الفلسطينية ، وخاصة أن الكروم متوفرة في هذه المدن ومن الصنف الجيد ، لذلك أنتجت أنواعا جيدة من النبيذ . وقد استمر إنتـاج هـذه السلعة في العصر المملوكي ، واستخدمت من قبل السكان النصارى كما استعملت من قبل بعض المسلمين ([3]) .

5.صناعة منتجات الحليب المختلفة :

كالجبن ،والألبان ، وحملت هذه السلع إلى أسواق نابلس . حيث اشـتهرت مدينـة الخليل بالجبن الذي نقل إلى مصر والعقبة لبيعه إلى الحجاج مما يدل على وفرة المواشي في النيابة ([4]) .

6. صناعة طحن الغلال :

وهي من الصناعات الغذائية التي وجدت في فلسطين قبل مجئ المماليـك إليهـا ، واستمرت في عهد المماليك ،بل ولا يزال بعضها يعمل حتى أيامنا هذه خاصة في مدينـة نابلس. فيقول النابلسي " واقبلنا على تلك الطـواحين المحفوفـة بالميـاه والبسـاتين ([5])

---

[1] ابن إياس. **بدائع الزهور**. ج1-2 ،ص 174 .
[2] العارف .**تاريخ القدس** .ص212 .
[3] بورشارد . **وصف الأرض المقدسة** .ص 170 .
[4] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 80 .
[5] النابلسي . **الحضرة الإنسية** . ص74 .

وكانت دواليب الماء في مطاحن فلسطين من النوع الأفقي حيث يتألف الدولاب من عـدد من الأجنحة .أو الفرشات الموزعة على المحيط وهي تتصل بكتلة في مركـز الـدولاب ،يمر داخلها محور راسي، ويدور الدولاب بقوة انبعاث الماء المسلط على الأجنحة . وهذا النوع من الدواليب الأفقية يناسب كميات المياه القليلة المتحركة بسرعة كبيرة ([1]).

ب. الصناعات الحرفية

1. صناعة المنسوجات :

ازدهرت هذه الصناعة في بعض المدن الفلسطينية حيث تتوفر المادة الخام لصناعتها كالحرير والكتان والقطن والصوف .وقد اشتهرت عكا بصنع قماش حريري سميك يعرف بالحرير المقصب ، حيث كانوا يدخلون في حياكتـه خيطانـا مفضضـة ومذهبـة ([2]). وعرفت أيضا مدينة صفد بصناعة المنسوجات الصوفية التي تعتمد على الأصواف التـي يتم توفيرها من قطعان الماشية في المنطقة ([3])، إضافة إلى المنسوجات الكتانيـة التـي كانت تعتمد على الكتان الذي ينمو في جبال الجليل ([4]). وبعودة مدينـة عكـا وصـفد للحضيرة الإسلامية بتحريرها من الفرنجة، لحق الدمار مصانع المنسـوجات فـي هـذه المنطقة ولم يعد بعد هذا التاريخ ذكر لهذه الصناعة في مدينة عكا، واستمر الوضع إلى أن قدم عدد من المهاجرين اليهود إليها من إسبانيا ، اثر سقوط غرناطة في أيدي المسـيحيين

---

[1] الدجاني.**الصراع الإسلامي الفرنجي** . ص 532 .
[2] فليب حتي . **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور عصرنا الحاضر** .ترجمة أنيس فريحة ،مراجعة نقولا زيادة ،تنقيح جبرائيل جبور (بيروت : دار الثقافة ،1972) ،ط2 ، ص 380 .
[3] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 172 .
[4] ستيفن رنسيمان . **تاريخ الحروب الصليبية** .ترجمة سيد الباز العريني (بيروت : دار الثقافة ،1997) ، ج3 ،ص 603 .

سنة 1492م ([1]) والذي أدى بدوره إلى إعادة الاهتمام بصناعة المنسوجات . وفي نيابة بيت المقدس انتشرت صناعة النسيج والحياكة في بعض ولاياتها حيث وفرة المواد الخـام اللازمة لهذه الصناعة . واشتهرت مدينة نـابلس بصـناعة المنسـوجات حيـث حققـت المنسوجات الكتانية النابلسية سمعة طيبة في عالم العصور الوسطى ، إذ ضـاهى كتانهـا الكتان المصري في جودته ([2]) .كما اشتهرت مدينة القدس بصناعة المنسوجات القطنيـة والحريرية ([3])

2. صناعة اللباد :

اشتهرت به مدينة صفد واستخدم اللباد في صناعة سروج الخيل وكان إنتاجها منـه يفيض عن حاجتها فيباع في المناطق المجاورة ([4]) .

3. صناعة الجير :

وقد عرفت هذه الصناعة في كل فلسطين وعلى وجه الخصوص منطقة الشقيف في نيابة صفد. وقد اشتهرت به لوفرة المادة الخام لصناعته واستخدم الجير في تجبير كسـور الناس والبهائم ، وكان إنتاج الجير يفيض عن حاجة السكان ويباع في المناطق المجـاورة .([5])

4. صناعة الصابون :

---
[1] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 172 .
[2] رنسيمان .**تاريخ الحروب الصليبية** . ج3 ،ص 603 .
[3] علي السيد .**تاريخ القدس في عصر المماليك** . ص 199 .
[4] محمد العابدي . **صفد في التاريخ** . (عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، 1977) ، ص8 .
[5] الطراونة . **مملكة صفد**.ص 174 .

وجدت هذه الصناعة في مدن نابلس والقدس والرملة التي امتازت بكثرة المصابن التي استوعبت أيدي عاملة كثيرة.وقد استعان بهم أهالي القدس لما لهم من خبرة ودرايـة بهذه الصناعة ([1]) .

وهي من الصناعات المرتبطة ارتباطا وثيقا بصناعة عصر الزيـت ، إذ أن النـاتج من عملية العصر وهو الجفت ، يتم عصره بقوة مرة أخرى لاستخراج الزيت الذي يدخل في صناعة الصابون .وقد حقق الصابون النابلسي بجودته وحسن إنتاجه شـهرة عالميـة فيذكر شيخ الربوة " أن الصابون النابلسي كان يحمل إلى سائر البلاد التي يحمـل إليهـا الزيت النابلسي ، إضافة إلى جزر البحر الرومي ([2]).

وتتلخص طريقة صنع الصابون في اخذ جزء من القلي([3])ومن الجير نصف جـزء فيحكم سحقها ويجعلان في حوض ، ويصب عليهما الماء قدرهما خمس مرات ، ويحرك بقدر ساعتين ويكون للحوض خرق مسدود . فإذا سكن من التحريك وصفا ، فتح الخرق ، فإذا نزل الماء سده ووضع عليها الماء وحرك واستبدل، هكذا حتى لم يبق في الماء طعـم ،هذا مع عزل كل ماء على حده . ثم تؤخذ من الزيت الخالص قدر المـاء الأول عشـر مرات ويجعل على النار فإذا شرب الماء الأخير شيئا فشيئا ثم الذي قبله حتى يكون سقيه بالماء الأول آخرا ، فحينئذ يصير كالعجين ، فيغرف ويوضع على الحصـير ، حتـى إذا جف بعض الجفاف قطع ([4]) .

---

[1] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 199 .

[2] شيخ الربوة . **نخبة الدهر**.ص200-201 .

[3] القلي : هو الرماد الذي يجمع من نبات الحمض (الاشنان متوفر في بلاد الشام) استخدم كبديل للصودا الكاوية التي تستخدم في صناعة الصابون. الدجاني .**الصراع العربي الفرنجي** . ص 542 .

[4] محمد سعيد القاسمي . **قاموس الصناعات الشامية** . تحرير ظافر القواسمي، ط1،ج2 ،(دمشق: دار طلاس للدراسات ،1988) ،ص 269 .

5. صناعة الحصر والبسط :

اشتهرت صناعة الحصر والبسط في مدينة صفد والنـواحي المحيطـة ببحيـرة الحولة وفي مدينة نابلس بسبب توفر المادة الخام لصناعتها من نباتات الحلفا التي كانـت تنمو في سهل الحولة([1]) .وفي منطقة الأغوار في نابلس بسبب وفـرة الكتـان ،ونبـات الحلفا. وهذه النباتات كان يستفاد منها في صناعة الحصر ، أما البسط فقد صـنعت مـن أصواف الحيوانات ([2]).

6.صناعة الورق :

عرفت نابلس صناعة الورق طيلة العصر المملوكي ([3]) وقد استخدم حلفا الأغوار في هذه الصناعة ([4]) .

7.صناعة السلال :

ازدهرت صناعة السلال في القدس ونابلس التي اسـتخدمت لحمـل الخضـروات والفواكه ، وكانت بأحجام مختلفة ([5]) .

8.صناعة الزجاج :

ازدهرت صناعة الزجاج في القدس ونابلس والخليل ،وقد اعتمد السمرة في معيشتهم على هذه الصناعة، بسبب ارتباطها بعمليات التعمير والبناء في المدن الفلسطينية ([6]).

9.صناعة التحجير :

---

[1] شيخ الربوة . **نخبة الدهر**.ص 211 .
[2] يوسف غوانمة . **دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين** .(عمان :دار الفكر ،1983)،ص 91 .
[3] نجم الدين الغزي .**الكواكب السائرة بأعيان المئة العشرة** . تحرير جبرائيل جبور ،(بيروت : نشر محمد أمين ، 1945) ج3 ،ص16 .
[4] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص 59 .
[5] سامي الأحمد .**تاريخ فلسطين القديم** . (بغداد : مركز الدراسات الفلسطينية ، 1979) ،ص265 .
[6] رنسيمان . **تاريخ الحروب الصليبية** .ج2،ص 474 .؛ علي السيد . **القدس في عصر المماليك** .ص 199 .

ازدهرت صناعة التحجير في مدينة نابلس والقدس حيـث وجـدت بهـا المقـالع وافتخرت مدينة نابلس بان بيوتها جميعها كانت مبنية من الحجر ولا تجد فيها بيتـا مـن الخشب ([1]) .

10.صناعة الشمع :

صناعة الشمع من الصناعات التي ازدهرت في مدينة القدس وبيت لحم حيث كـان الشمع المقدسي مرغوب فيه من قبل الأجانب والحجاج المسيحيين ،وكانـت تبـاع منـه كميات كبيرة في الأعياد ، حيث من المعروف أنهم كانوا يوقدون كثيرا من الشموع داخل كنيسة القيامة ، عندما يدخلون إليها في الأعياد المسيحية المختلفة . وربما وجد منهم مـن كان يأخذ معه إلى بلاده بعض الشموع تبركا بأنها صنعت في بيت المقدس أو لإشـعالها في كنائسهم في الغرب الأوروبي عقب عودتهم.وكذلك استعملها المسلمون فـي المسـاجد خصوصا في الأقصى وكان الفاطميين (الخلفاء) يتنافسون في حجم الشـمع الـذي كـان يستعمل في المساجد وخاصة أثناء الاحتفالات بالأعياد وخاصة ([2]) .

11.صناعة الحفر على الخشب :

وهي من الصناعات الخفيفة التي ارتبطت بمراسم الحج المسيحية للقدس. وقـد توفر لأبناء القدس المهارة الكبيرة في هذه الصناعة حيث أتقنوها على مر الزمان ، فكانوا يحفرون على خشب الزيتون أشكالا متنوعة وبإتقان حيث كانوا يصنعون كثيرا من أدوات

---

[1] Evlia Tshelebis: **Travels in Palestine.** p 138 .

[2] العارف . **تاريخ القدس** . ص 211 .

الكتابة، ولعب الأطفال وأدوات الزينة والهدايا ذات الرموز الدينية التي تستهوي الكثير من الغربيين ([1]).

12.صناعة المشغولات الفضية والذهبية :

عرفت هذه الصناعة في مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك والتي يقول عنهـا ابن شاهين " القدس مدينة شريفة عظيمة يعمل فيها فضة ميناء تجاب منها إلى سائر البلاد وأوصافها كثيرة وفضائلها جمة وهذا على وجه الاختصار" ([2]) .

نستنتج مما تقدم أن اغلب الصناعات التي ازدهرت في فلسطين في عهد المماليك اعتمدت على الإنتاج النباتي والحيواني ،والقليل منها اعتمد على المعادن . وعمـل بهـذه الصناعات كثير من أبناء المدن في تلك الفترة ، إلا أن السياسة التي انتهجهـا المماليـك الجراكسة كفرض الضرائب الباهظة وطرح بعض السلع على الصناع بالإكراه أدى فـي النهاية إلى كساد كثير من تلك الصناعات ، وبالتالي ضمور وذبول كثير منها.

ثانيا :<u>النشاط التجاري</u>

لقد ساعد وجود الفرنجة في بلاد الشام على تنشيط التجارة العالمية ،حيـث كانت البضائع تأتي من الشرق الأدنى والأقصى ، وتأخذ طريقها إلى أوروبا عبر مـوانئ الشام الواقعة على البحر المتوسط عكا وصور . وقد حرص الفرنجة على ما كان بأيديهم

---

[1] نفس المصدر :ص 52 .
[2] ابن شاهين الظاهري . **زبدة كشف الممالك**. ص 23 .؛ علي السيد .**القدس في عصر المماليك** . ص 199 .

من موانئ ، فاخذوا بتوسيعها وتشديد الحماية عليها ، لما كانت تجلبه إليها من رخاء ([1])
.

وعلى الرغم من حالة الحرب التي كانت قائمة في بلاد الشام مـا بـين المماليـك والفرنجة ، فان الصلات التجارية ظلت قائمة ولم تنقطع ، وقد بقـي التجـار المسـلمون يترددون على ميناءي عكا وصور ، ويجرون فيها مبادلاتهم التجارية ([2]).وعـزز ذلـك بالهدنة التي وقعها السلطان قلاوون مع الفرنجة في عكا سنة 682هـ ـ/1283م ، والتـي نصت على حماية حركة التجارة وضمان أمن التجار وحماية ممتلكاتهم ([3]) ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا بسبب الاعتداء على حياة عدد من التجار المسلمين في عكـا مـن قبـل الفرنجة والتي كانت السبب المباشر الذي أدى إلى فتحها ، وتصفية الوجود الفرنجي نهائيا من الساحل الشامي ([4]) .لقد أدى طرد الصليبين من بلاد الشام إلى شلل تام فـي حركـة النشاط التجاري مع أوروبا . علاوة على تدمير الموانئ الشامية من قبل الحكام المسـلمين خوفا من عودة الفرنجة إليها ثانية . بالإضافة إلى إصدار الكنيسة البابوية قـرارا يحـرم تجارة الفرنجة مع دولة المماليك ، مهددا بإصدار قرار الحرمان من الكنيسة على كل من يخالف أوامرها . وقامت بتجهيز العديد من السفن لمراقبة التجار الفرنجة الذين يتمـردون على قرارات البابوية بإعادة الاتصال بالتجار المسلمين في بلاد الشام ([5]) ،اعتقـادا مـن البابوية بان ذلك سيحرم المماليك من مصادر الثراء والقوة ممـا يـؤدي إلـى ضـعفها

---
[1] الطراونة . **مملكة صفد**. ص 174 .
[2] ابن عبد الظاهر . **الروض الزاهر**. ص 153 .
[3] ابن عبد الظاهر . **تشريف الأيام**. ص 34-43 .
[4] ابن كثير . **البداية والنهاية** . ج13، ص 313 ؛ ابن الفرات . **تاريخ ابن الفرات** .ج8 ،ص 96 ؛ المقريزي . **السلوك**. ج1 ، ص 753 .
[5] احمد دراج . **المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي** .(القاهرة : دار الفكر العربي ، 1961) ،ص7 .

وانحلالها ويمهد الطريق للقضاء عليها عسكريا ويمكن الفرنجة من العودة إلى مملكة بيت المقدس ([1]) .

على اثر بسط المماليك سيطرتهم على بلاد الشام وطرد الفرنجة نهائيا منها علـى يد الاشرف خليل بن قلاوون لم تنقطع العلاقات التجارية مع أوروبا والمـدن الفلسـطينية وذلك بسبب الموقع المتوسط لهذه المدن بالنسبة لبقية دول العالم ، فكانت تحتـل مركـزا إقليميا في النشاط التجاري وبذلك أصبحت محط القوافل التجارية القادمـة مـن الشـرق والمتجهة إلى الغرب ، أو القادمة من الجنوب باتجاه الشمال . وكانت القوافـل التجاريـة مضطرة إلى المرور عبر المدن الفلسطينية في عهد المماليك، لكونها كانت تشغل محطات تجارية على الطريق التجاري الذي كان يخرج من دمشق وينطلق جنوبا مع طريق الحـج ، أو كونها تشغل الممر الواصل بين الغور والبحـر ([2]) .ولا تنحصـر أهميـة المـدن الفلسطينية في كونها محطة تجارية مهمة بل كانت بعض المدن بالغة الثراء بحيث أنتجت كميـات ضـخمة مـن المنتوجـات الصـناعية (زيـت الزيتـون ،السكر،الأقمشـة الكتانية،الصابون،الشموع،الجير) والحاصلات الزراعية الضرورية للحياة والتي فاضـت عن حاجة سكان المدن ، كمدينة نابلس والقدس ،مما ساهم في تشـجيع حركـة التبـادل التجاري بين المدن الفلسطينية والأقطار المجاورة .

لتشجع النشاط التجاري شرع المماليك في بناء الجسور ورصف الطرق ، وبنـاء الخانات على الدروب والطرق داخل المدن وخارجها خدمة للقوافل التجارية والمسافرين ،

---

[1] نفس المصدر: ص7 .

[2] عبدالله عارف . **مدينة نابلس** .دراسة إقليمية ، (دمشق : 1964) ، ص 12 .

وكان المسافرون يأوون إلى هذه الخانات فيجدون مأوى لهم ولدوابهم ، وبخارج كل خان وجدت ساقية للسبيل أو بركة وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ولدابته ([1]) .وكانت سببا في أن تتمتع بلاد مصر والشام بدرجة كبيرة من الازدهار والثراء([2]) .

نذكر من تلك الخانات خان الظاهر بيبرس الذي أنشأه الظاهر بيبرس لأبناء السبيل من التجار في بيت المقدس سنة 662هـ/1263م . وأوقف عليه عدة قرى بـبلاد الشـام والقدس :قيراط ونصف في قرية الطره الواقعة قرب مدينة اربد شمالي الأردن ، وثلـث قرية المشيرفة من بصرى ، ونصف قرية لفتا على بعد ثلاثة كيلو مترا غرب القـدس . ويصرف ربع هذا الوقف في ثمن الخبز والنعال لمن يرد إلى بيت المقدس من المسافرين المشاة ، ثم بنى طاحونا وفرنا برسم هذا الخان كي يقوم بطحن الدقيق وخبز الأرغفـة ، وجعل كل ذلك سبيلا ([3]) .هذا بالإضافة إلى خان الفحم وخان المصـرف ويقعـان فـي الشارع الأعظم الواصل بين باب السلسلة وباب الخليل ، ثم خان الجبيلى الواقع في خـط مرزبان ([4]) وخان تنكيز بن عبدا نائب دمشق وكان يقع بين حمام الشفا وحمام العـين في سوق القطانين وقد بني سنة 737هـ /1336م. وأشارت وثائق الحرم الشـريف فـي بيت المقدس إلى وجود خان العناية الواقع بالقرب من باب حطـه ، وكـان وقفـا علـى المدرسة الصلاحية بالقدس ([5]) .

---

[1] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** ، ص 89 .
[2] لابيدوس . **مدن إسلامية** . ص 16 ؛ غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** ، ص 86 .
[3] نفس المصدر :ص521 ؛ ابن تغري بردي .**النجوم الزاهرة** .ج7 ، ص 121 .
[4] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ، ص 52 -53 .
[5] **وثيقة رقم 43 سنة 785هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس** ؛ لمزيد من التوضيح انظر الملحق رقم (6)، ص 215 .

أما في خارج المدن فكانت الخانات تبنى على هيئة قـلاع ذات أبـراج لحمايـة المسافرين والتجار من قطاع الطرق ، وكانت غالبا مربعة الشكل ذات أبـواب ضـخمة ،وتحتوي على غرف للمسافرين ومخازن للبضائع ودكاكين وإسطبلات للحيوانات، كمـا كان فيها حمامات ومصليات . والبناء عادة كان يدور حول صحن مكشوف وحوله طابقان الطابق الأول للخدمات. والطابق الثاني للنوم .فقد وجد العديد من الخانات علـى الطـرق الرئيسة ما بين دمشق والقاهرة ففي نيابة صفد وجدت الخانات في الأماكن التاليـة عنـد جسر بنات يعقوب ، عند المدخل الشرقي للمملكة الصفدية ، وفي جب يوسف في الجليـل الأعلى إلى الشمال الشرقي من صفد . وفي قرية المنية على ساحل بحيرة طبريا الشمالي الغربي بالإضافة إلى خان عيون التجار إلى الجنوب من طبريا . كمـا وجـدت مراكـز للتمكيس في كل من عكا وصور والشقيف ([1]) . وفي نيابة بيت المقـدس وجـد الخـان الأحمر بين القدس وأريحا وخان اللبن بين القدس ونابلس ([2])، وفي نيابة غزة خان يونس جنوبي غزة ([3]).

ومن المنشآت الأخرى التي ساعدت على ازدهار الحركة التجارية الخارجيـة دور الوكالة ، حيث أقيمت في معظم المدن الهامة في مصر والشام لخدمة التجارة الخارجية ، وكان يطلب من المسافرين إبراز تصاريح للدخول إلى مصر والخـروج منهـا ، ووجـد للتجار الشاميين والعراقيين في القاهرة والإسكندرية القياسر الخاصة والوكالات لتخـزين

[1] الطراونة .**مملكة صفد** . ص 178 .
[2] علي السيد.**القدس في العصر المملوكي** . ص 223-228 .
[3] عطاالله .**نيابة غزة** .ص 102 ؛ لمزيد من التوضيح انظر الملحق رقم (6) ص،215 .

بضائعهم وإقامتهم فيها ([1]). فالتاجر الذي لا يصاحب تجارته ولم يرتبط بصـديق يقـوم بأعماله ، عليه خزن بضاعته لدى وكيل يهتم بتسويقها . فالوظيفـة المزدوجـة الخـزن والتسويق هي من اختصاص دار الوكالة ، وان وجدت وامتلاك الوكيل دارا خاصـة بـه فيطلق عليه صاحب دار الوكالة ([2]) .وكان وكيل التجار يتعاطى عمولة نظيـر خدماتـه التي يقدمها للزبائن . وجرت العادات أن تباع السلع القادمة من الخارج إما نقدا أو نسـيئة لأجل ، فإذا احضر التاجر شيئا من السلع كالثياب مثلا تسلمه السماسرة وبـاعوه فـي النداء (الحراج) ، أو باعوه على التجار نسيئة لأجل وبذلك يزداد ثمنها فينـال صـاحب السلعة ربحا آخر ([3]) . ولكن المستهلك كان يدفع ثمنا أكثر لمثل هذه السلعة ، مما دفـع السلاطين إلى منع مثل هذا البيع لأنه فيه زيادة للأسعار ([4]). وفي العادة وجدت في دور الوكالة وظيفة شاد دار الوكالة يعين هذا الموظف من قبل النائب مهمته استخراج المكوس من دار الوكالة . مثل رسم القبان ، الذي كان يفرض على البضائع حسب الوزن والنـوع ([5]).

أ . التجارة الداخلية :

تجدر الإشارة أن المدن الفلسطينية في النيابات الثلاث في العهد المملـوكي كانـت تضم عددا من الأسواق التجارية الداخلية التي كانت تخدم مجموعة من القرى المجـاورة كمراكز تتوفر فيها حاجة السكان من السلع اللازمة .ففي مملكة صفد وجـد العديـد مـن

[1] ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك**. ص 23 .
[2] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص92 .
[3] المقريزي . **السلوك**. ج4 ، ق2 ،ص 611 .
[4] نفس المصدر :ج4 ، ق2 ،ص 611 .
[5] Cohen and lewis, **population and revenue in the towns of Palestine in the sixteenth century** p.47-48. ؛ القلقشندي .**صبح الأعشى** .ج4 ،ص186 .

الأسواق واحد منها في جنين في ولاية مرج ابن عامر ([1]) . وواحد في قرية عين زيتون وواحد في قرية المنية في ولاية برصفد .إضافة إلى دور مدينة صفد ذاتها في هذا المجال . أما كفر كنا في ولاية طبريا فيذكرها القاضي العثماني على أنها سوق طبريا ([2]) .

وبالنسبة للبضائع فكانت تتألف من السلع الغذائية كـاللحوم والحبـوب والفواكـه والخضروات،وسروج الخيل والثياب الصوفية والكتانية والمنسوجات القطنية واللباد ([3]) .

ومن المعروف أن أسواق المدن الإسلامية في العصور الوسطى كانـت متخصصـة فكل سوق اختص بسلعة معينة ([4]) .

اشتهرت في نيابة بيت المقدس مدن كثيرة بكثرة الأسواق وتنوعها بسبب وفـرة المحاصيل الزراعية وازدهار الصناعة فيها، وموقعها المتوسط بين النيابات الثلاث ممـا أدى إلى ازدهار النشاط التجاري . وكانت أسواقها زاخرة بصنوف السلع ، منهـا ثـلاث قصبات " قيل انه لم يكن بغالب البلاد نظيرها " ([5]). وأشارت وثائق بيت المقدس إلـى وجود أسواق لم تذكرها المصادر الأخرى مثل السوق الأسفل ([6]) وسـوق التجـار ([7]) وسوق الليل ([8]) والسوق الكبير الذي يبدأ من باب السلسلة إلى باب الخليل ([9]). وكـان يتفرع منه عدة أسواق : سوق الصاغة ، سوق القماش ، سوق المبيض ، سوق خان الفخر

---

[1] الطراونة . **مملكة صفد** ص 178.
[2] نفس المصدر : ص178.
[3] نفس المصدر: ص 178 .
[4] مجير الدين. **الأنس الجليل**.ج2 ، ص 50 .
[5] ابن شاهين . **زبدة كشف الممالك**.ص 22 ؛ ناصر خسرو . **سفر نامة** .ص 46 ؛ راجع الفصل الثاني من الدراسة ص 55-57 .
[6] **وثيقة رقم 53 سنة 778هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .**
[7] **وثيقة رقم 20 سنة 768هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .**
[8] **وثيقة رقم 77 من وثائق المتحف الإسلامي في القدس** .
[9] ابن جبير . **رحلة ابن جبير** . ص 262 .

نسبة إلى فخر الدين صاحب المدرسة الفخرية . وكانت تكثر فيه المصابن التي يصنع فيها الصابون([1]) . وسويقة باب حطه ([2]) .

كما أن وجود القياسر وهي أبنية تقوم بمهام الأسواق بها حوانيت تـؤجر للتجـار متخصصة للبيع والشراء ، ويخزن التجار بضائعهم فيها، شجع التجارة الداخليـة ومـن الأمثلة على ذلك قيسارية النصارى في بيت المقدس ([3]) .وكان لهذه القيساريات أبـواب كبيرة من الحديد تغلق ليلا بواسطة ضبة عريضة من الحديد ([4]) ويراقب المحتسب هـذه الأسواق ويحكم السيطرة عليها خوفا من الاحتكار والغش والتدليس .

كما وجدت لهذا الغرض أيضا تجمعات لبيع المحاصيل والمنتوجات الزراعية في كثير من المدن الفلسطينية. فعلى سبيل المثال وجد في بيت المقدس عرصة للغلال تقع قرب بـاب الخليل ([5])، وهي ساحة أو ميدان واسع كان الفلاحون والقرويون يجلبون إليهـا غلاتهـم الزراعية لبيعها على التجار والأهالي مثل الفواكه والحبوب والزيوت . وكان القمح ينقـل من الرملة والسهل الساحلي ، والزيت من نابلس والخليل ،والتين والرمان وزيت السـيرج والبطيخ والعنب من الرملة ونابلس وشرقي الأردن والقرى المحيطة بالقدس ، أمـا الأرز والحصر فمن بيسان ، والموز والسكر والنيلة من أريحا والأغوار ([6]) . وكانـت هـذه الأسواق تزود الفلاحين ورجال القبائل بكل ما يحتاجونه من سلع مقابل مقايضتهم وبيعهم

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل.** ج2 ،ص 52-54 .
[2] نفس المصدر : ج2 ،ص 41 .
[3] غوانمة. **تاريخ شرقي الأردن** . (القسم الحضاري)،ص 60 .
[4] ابن جبير. **رحلة ابن جبير**. ص 261 .
[5] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ،ص 53 .
[6] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس** .ص 83 .

لمنتوجاتهم من الحبوب والفواكه والاجبان والبسط والسجاد والزيت والتين المجفف واللوز والجوز وغيره من السلع ([1]).

وقد شهدت مدينة نابلس أيضا حركة تجارية داخلية نشطة فقد كانت مركزا لإقليم يشتمل على ثلاثمائة قرية ([2]) . وقد أنتج هذا الإقليم كميـات كبيـرة مـن المحاصـيل الزراعية المختلفة والإنتاج الحيواني، وقام سكان الأرياف بتصريف هذا الناتج في أسواق المدينة التي تركز وجودها حول المسجد . وكانت ذات دهاليز وطريق عامة .وعند مدخل الساحة كان هناك ميدان ومآذن تشبه البرج . ويعتبر سوق السـلطان السـوق الرئيسـي للمدينة ([3]) .وحصلوا بالمقابل على احتياجاتهم من السلع من متاجر المدينة، ممـا يعنـي حركة تجارية داخلية نشطة . فقد حملوا إلى أسواق نابلس أحمال البطيخ والدبس والتمور والتين والقطين والخيار ، والليمون والبرتقال ،والتفاح ، والألبان ، والزيتون ومـا شـابه ذلك ([4]). حيث يشير إلى ذلك ابن فضل ا العمري بقوله عن مدينة نابلس " مدينة ممدنة يحتاج إليها ولا تحتاج إلى غيرها " ([5]) .وما فاض عن حاجة المدينة والقرى المجـاورة من زيت الزيتون ، القمح ، الصابون ، المنسوجات ،العنب ، حمل إلى المدن المجـاورة .وكانت القدس في طليعة المدن الفلسطينية التي تاجرت مع نابلس ، أولا لقربها من نابلس وثانيا لحاجة سكان القدس إلى استيراد جميع ما يحتاجونه من طعام من هذه المدينة بسبب وفرتها فيها([6]) .

---

[1] نفس المصدر : ص 97 ؛ ناصر خسرو . **سفر نامة** . ص 99 .
[2] ابن شاهين الظاهري . **زبدة كشف الممالك**. ص 46 .
[3] العزة . **نابلس**. ص 128 .
[4] نفس المصدر : ص 128 .
[5] العمري . **مسالك الأبصار**. ص 187 .
[6] دانيال . **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب** . ص 109 .

وكانت التجارة الداخلية بين المدن الفلسطينية تنشط بشكل كبير في المواسم والأعياد (في بيت المقدس ،الرملة ،الخليل ،بيت لحم ،صفد ،غزة ،عكا) حيث يحتشد التجار بأعداد كبيرة من مسلمي بلاد الشام ومسلمي العالم ، إما لتقديس الحجة أو لزيارة الحرم الإبراهيمي في الخليل . ونتيجة للعدد الكبير من الزوار كانت الحركة التجارية تنشط في هذه الأسواق ويعم الخير على الجميع في المنطقة والمناطق المجاورة حيث يهرع الأهالي للاتجار مع وفود الزائرين .

ولم يقتصر الأمر على المواسم الإسلامية والأعياد ، حيث كان يتجمع النصارى واليهود أيضا لزيارة أماكنهم المقدسة والاحتفال بمواسمهم الدينية وخاصة في بيت المقدس([1]) .فكانت لهم الأسواق الخاصة بهم بيافا والرملة والقدس وبيت لحم والتي تعود بالنفع على تجار تلك المدن والمتسببين من أهالي المناطق المحيطة . وكان الحجاج النصارى يأتون من مناطق مختلفة من العالم لزيارة كنيسة القيامة ، فمنهم الشاميون والأوروبيون والمصريون والأحباش ([2]) .

ب. **التجارة الخارجية**

شهدت حركة التجارة الخارجية نشاطا ملحوظا بين المدن الفلسطينية والأقطار المجاورة لها وأوروبا وجنوب شرق أسيا . فمنتوجات المدن الفلسطينية الفائضة عن حاجة السكان تم تصريفها في المدن المجاورة كدمشق والقاهرة وفي مناطق بعيدة وبضمنها أوروبا .فقام سكان نابلس بتصدير الزيت والأقمشة الكتانية إلى بلاد الشام والحجاز ومصر

---

[1] ناصر خسرو . **سفر نامة** . ص 55 ؛ ابن شاهين الظاهري . **زبدة كشف الممالك**.ص23 .
[2] ابن طولون . **مفاكهة الخلان**.ج1 ،ص 39 .

([1]) والصابون إلى أسواق الشام ، والحجاز ، ومصر ، وجزر البحر المتوسط حيث بيـع بأعلى الأسعار لشهرته العالمية ([2]) ، هذا بالإضافة إلى تصدير بعض الحلويـات التـي اشتهرت بها المدينة وقد أشار ابن بطوطة إلى حلواء الخروب التـي تبـاع فـي الـديار المصرية والشامية ([3]).

وكان السكر يصدر للأسواق الأوروبية على شكل عسل السـكر ، أو بلـورات أو مسحوق أو قطع كبيرة .هذا بالإضافة إلى المنسوجات الصوفية مـن الرملـة ، وزيـت السمسم والبلسم من أريحا ، والحمر من البحر الميت ، والنبيذ من القدس والخليل ، والنيلة والقطن من وادي الأردن ([4]) . والبسط واللوز والجوز والجبن والفواكه ، والمصنوعات اليدوية من فضيه وخشبية صدرت إلى القاهرة ([5]) .

وكانت سلع بيت المقدس ومنتوجاته تصدر إلى الأسواق الخارجية. فـبعض هـذه السلع كانت تصل إلى أوروبا بواسطة الحجاج القادمين لزيارة الأمـاكن المقدسـة حيـث يقومون بشرائها ونقلها إلى بلادهم بقصد الربح. وكان يتم اسـتيراد السـلع إلـى المـدن الفلسطينية من الأقطار المجاورة عن طريق القوافل التي كانت تنقلها من أيلـه (العقبـة) ميناء دمشق على البحر الأحمر ، ومنها إلى الكرك ثم أريحا وبيت المقـدس ([6]) .ومـن تلك السلع التوابل والأحجار الكريمة والصمغ العربي ،وهذه المنتوجات كانت تـأتي مـن

---

[1] رنسيمان . **تاريخ الحروب الصليبية** .ج3،ص 603 .
[2] شيخ الربوة . **نخبة الدهر** ، ص 201 .
[3] ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** . ص 61 .
[4] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص92 .
[5] المقريزي . **السلوك**.ج3 ،ص 53 .
[6] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص91 .

الهند والصين عبر البحر الأحمر والخليج العربي ([1]) ، والمسابح والقماش والحرير مـن دمشق ([2])

وكانت صفد تحصل على بعض حاجاتها من المواد الغذائية من منتوجـات مملكـة دمشق ([3]) .ومن دمشق نفسها كان ينقل الزجاج والسـيراميك والمنسـوجات والخـزف والسجاد وغيرها من الصناعات إلى الموانئ الشامية والفلسطينية كطـرابلس ، وصـيدا ، وعكا ويافا وغزة ،أو كانت ترسل برا عبر فلسطين وسيناء إلى مصر حيث كانت توجـد محطة للمكوس فيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ، فيدفع التجـار المكـوس علـى بضائعهم ([4]) .

بالرغم من تهديدات البابا لكل من يتعاون مع تجـار المسـلمين ، إلا أن بعـض التجار الفرنجة وخاصة من المدن الإيطالية ، بادروا إلى تحسين علاقاتهم مـع السـلطة المملوكية ، فوقع البنادقة اتفاقا مع أهل الشام ، ووقع الجنويون اتفاقا مماثلا مع أهل مصر ([5]) .

ومع عودة النشاط التجاري في الربع الأول من القرن التاسع الهجـري/ الخـامس عشر الميلادي مع المدن الإيطالية سمح لهذه المدن بفتح القنصليات في مدن بلاد الشـام ومن ضمنها المدن الفلسطينية ، فتزايدت أعداد هؤلاء التجار فـي مـوانئ بـلاد الشـام كبيروت وعكا وصور ، كما أخذوا يتغلغلون في المدن الداخلية حتى بلغ هـذا الازديـاد

---

[1] نفس المصدر : ص91 .
[2] نفس المصدر : ص92 .
[3] القلقشندي. **صبح الأعشى**.ج4 ، ص150 .
[4] الطراونة .**مملكة صفد** . ص ،177-178 .
[5] نفس المصدر: ص 176 .

والنشاط جدا كبيرا في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ([1]) .وابتداء مـن النصـف الثاني من القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي استعادت عكا شيئا فشيئا مكانتهـا التجارية على ساحل البحر المتوسط . وقد أكد القاضي العثماني ذلك بقوله " وبعكا ميناء يقصدها تجار الفرنج بالبضائع ، ويعبون منها القطن ، وتضمن بخمسين ألف درهم ([2]) .

ويشير ابن شاهين الظاهري إلى أن عكا كانت ميناء المملكة الصفدية في زمنه ([3]) .

أما السلع التجارية التي كانت تصدر إلى أوروبا ، فكانت إما من المنتجات المحلية كالقطن والرز والصابون والزيت وإما من السلع التجارية القادمة من جنوبي وشرقي آسيا ([4])

ويذكر الرحالة فيلكس فابري الذي زار بيت المقدس سـنة 888هـ ـ/1483م ، إن مراكب الحجاج الأوروبيين كانت ترسو في يافا ، ويكون في استقبالهم مندوبون عن نائب القدس وغزة وكاشف الرملة ورئيس دير جبل صهيون . وقد هيأوا لهم كـل الترتيبـات لحمايتهم وتسهيل مهمتهم في الأراضي المقدسة . ولاحتياطيات الأمن كانـت السـلطات المملوكية تقوم بتفتيشهم جيدا ، ثم يسجلون المعلومات الخاصة عن كل زائر ، ويـدونون ذلك في سجل خاص ، كاسم الحاج واسم أبيه إلى غير ذلك من أمور تهمهم ، تخوفا مـن أن يتسلل الفرنجة إلى المدينة المقدسة ويعيثون فيها فسادا ، خوفا من تكرار ما حدث عام 826هـ /1423م حين تمكن عدد من الفرنجة من التسلل إلى داخل المدينـة المقدسـة ، فطاردتهم السلطة المملوكية وأسرت منهم نحو مائة شخص . وهناك حادثة أخرى حـدثت

---

[1] نفس المصدر : ص 176

[2] نفس المصدر :176 .

[3] ابن شاهين الظاهري : **زبدة كشف الممالك**.ص 44 .

[4] الطراونة . **مملكة صفد**.ص 177 .

سنة 813 هـ /1410م حين وصل إلى يافا أربع قطع بحرية على متنها 700 من الفرنج فاسروا عددا من المسلمين واستولوا على مركب قادم من مصر فيه تجارة للسلطان ([1]) .

ولكي يسهل المماليك تنقل الحجاج من يافا إلى القدس ، قاموا في سنة 813هـ/1410م بتوسيع الطريق وإزالة ما به من الاوعار ، وزادوا في سعته بحيث يمر منه عشرة فرسان متواكبين ([2]) .

وكانت الأسواق تقام في يافا لخدمة هؤلاء الحجاج ، فيحضر التجار من القدس والرملة والمدن المجاورة ويحملون معهم السلع المختلفة من بلسم ومسك وصابون ، وحجارة كريمة ، وقماش موصلي ، وأنواع الأطعمة والاشربة والفواكه المختلفة . ثم يواصل الحجاج سيرهم إلى القدس فينزلون في الرملة ويقيمون فيها في مضيف اعد لاستقبالهم وتقام لهم في الرملة سوق موسمية كبيرة فيها الأطعمة والفواكه كالتفاح والتين والبرتقال والبطيخ واللوز والعسل والتين المجفف(القطين) والسكر فيشتري هؤلاء الحجاج ما يحتاجونه من هذه السلع ، ثم يواصلون سيرهم للقدس ،وقد خصصت الدولة لهؤلاء الحجاج مترجمين من المسلمين والنصارى ممن يتقنون اللغات الأوروبية يساعدونهم على زيارة الأماكن المقدسة وحمايتهم، وحراستهم،واستئجار البيوت اللازمة في القدس ،وكان يطلق عليهم اسم المكاريون ([3]). وكان رئيس التراجمة يتقاضى أجره من الحجاج وله مساعدين ([4]) . وزيادة في سلامتهم أمنت لهم السلطة المملوكية العلاج في البيمارستان

---

[1] المقريزي . **السلوك**. ج4 ،ق1 ،ص143 .

[2] نفس المصدر : ص 144 .

[3] ماير . **الملابس المملوكية** : ص 120 .

[4] نقولا زيادة ، **فليكس فابري .فلسطين** ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام .(عمان ،1980م) . ص 195-197 ؛ محمود زايد ، **دراسة التقسيمات الإدارية في فلسطين من خلال رحلة دي لابروكية ،1432م** .بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ،عمان 1980 . ص 586 .

الصلاحي في القدس، فكانوا يدفعون تامينا صحيا(مبلغ من المال) مقابل الخدمات الصحية والعلاج لمرة واحدة أثناء إقامته ، ولا شروط على المدة التـي يقضـيها المـريض فـي البيمارستان، فله حق الإقامة من يوم إلى سنة كاملة ولا يحصل منه أي مبلغ إضافي مهما كانت المدة ([1]) .

---

[1] غوانمة . **تاريخ نيابة بيت المقدس**. ص86 .

الفصل الخامس

مظاهر الحياة الاجتماعية في المدن الفلسطينية

أولا:العادات والتقاليد

ثانيا:وسائل التسلية

ثالثا:الأعياد والاحتفالات

مظاهر الحياة الاجتماعية في المدن الفلسطينية

أولا :العادات والتقاليد

عرفت المدن الفلسطينية في عهد المماليك الكثير من العادات والتقاليد والتـي توارثوها أبا عن جد ، كباقي المجتمعات الإسلامية في بلاد الشام، سواء في ذلك ما شـاع منها لدى المسلمين أم المسيحيين أم اليهود وبسبب كثرة تلك العادات وتنوعهـا سنقتصـر على إيراد بعضها خوفا من الإطالة ، وبما يعطي صورة كاملـة عـن عـادات السـكان وتقاليدهم في المدن الفلسطينية في ذلك العصر التي انتشرت بين مختلف الطوائف.ومـن أبرز هذه العادات والتقاليد عادة إخفاء بعض النقود تحت الأرض ، فالاكتشافات الحديثـة أظهرت أن هذه العادة قديمة ، حيث تم الكشف عن كثير من العملات وبكميات كبيـرة ، وبخاصة ذات القيمة الصغيرة ، والتي وجدت حول بيت المقدس وغيرها من المدن . فقد جرت العادة بان يخفى الناس هذه النقود داخل أواني فخارية ، خشية سـطو اللصـوص عليها ، وربما نظرا لكثرة تعرضهم للغارات والمصادرات التـي تكـررت فـي عصـر سلاطين المماليك الجراكسة . وربما رجع ذلك إلى فقرهم وتعبهم في الحصول على تلـك النقود ، مما جعلهم يتفننون في إخفائها ([1]).

كذلك كانت غالبية سكان فلسطين من مسلمين ومسيحيين ويهود يعتقـدون فـي الحسد ، ويعتقدون أنها تسبب المرض والحزن والموت وأنها يمكـن أن تهـدم المنـازل

---

[1] علي السيد. **القدس في العصر المملوكي** .ص260 .

وتوقف الحرث وتقتل الحيوانات والزرع([1]) .كما أنهم كـانوا يعتقـدون أن الأشـخاص أصحاب العيون الزرقاء هم الأكثر تأثيرا من حيث الحسد . وللوقاية من عـين الحسـود فإنهم كانوا يأخذون قطعة من ملابس الشخص الذي يعتقد انه يحسد غيـره ، ويحرقونهـا تحت الشخص الذي أصيب مع ترديد بعض التعاويذ لفـك وأبطـال مفعـول الحسـد .أو يستخدمون خرزة زرقاء للوقاية من الحسد ([2]) .

ومن العادات التي سارت بين مختلف الطوائف المسيحية . أنهم كانوا في حالة المرض ينذرون للكنائس والمعابد والأديرة زيتا وشموعا وبخورا ،كما انتشرت هذه العادة بين اليهود والمسلمين في المدن الفلسطينية، ومن العادات الخاصة بالمرض أنهـم كـانوا يلجأون إلى تشريط جلد المريض بشفرة حادة كنوع من العلاج وإذا لم يحدث تقـدم فـي حالة المريض فان الخطوة التالية عادة ما تكون الكي بالنار ، كذلك عند الإصابة بجـرح من الجروح فإنهم يغطونه بعجينة من الغبار الدقيق المخلوط بالماء.ومن العادات الطريفـة لدى سكان المدن وحولها أنه كان لديهم نوع من اللبن الحليب ، والذي يقومـون بإعـداده بطريقة خاصة والذي يسمى خثارة اللبن ، أو اللبن المتخثر ، وكان يقدم للضـيوف فقـط ويعتبر طعاما مترفا . وهو مرطب جدا بالنسبة للمسافرين والرحالة ، عنـدما يتعبـون أو يشعرون بالحرارة ، وله تأثير منوم ومهدئ ([3]) .

وانتشرت في المدن الفلسطينية عادة الاستحمام في الحمامات العامة التي قصـدها الناس من مختلف الطبقات رجالا ونساء .للاستحمام وإجراء بعض العمليـات الجراحيـة

---

[1] نفس المصدر :ص261 .
[2] نفس المصدر :ص261 .
[3] نفس المصدر : ص262-63 2 .

الخفيفة كثقب الأذنين لوضع الحلق أو ختان الأطفال . لقص الشعر ، وتهذيب الشـوارب والذقون ،وإزالة الشعر الزائد على الجسم للعريس والعروس عشية حفلة الزفـاف حيـث إلى حمام الرجال وتذهب العروس إلى حمام النساء ([1]).

وكان الرجال من المسلمين ونسائهم يلبسون المناطق وهي نوع من الأحزمة يوضع على الوسط. ومنع النصارى واليهود من لبس المناطق واستعيض عنها بلـبس الزنـانير على أواسطهم وذلك ليسهل التمييز بينهم وبين المسلمين، فالزم النصارى بلـبس الزنـار باللون الأزرق ،واليهود باللون الأصفر والسامرة باللون الأحمر ([2]).

كذلك جرت العادة أن يقبل الإنسان قريبه أو صديقه الذي عـاد بعـد غيـاب طويل . وعرف من العادات أن الشخص لا يقف إذا كان بامكانه أن يؤدي العمـل وهـو جالس لذلك نشاهد النساء في مجتمعنا يجلسن أثناء غسل الصوف أو خبز الخبز وما شابه ذلك([3]) .

ومن العادات التي ظهرت في المدن اهتمام المرأة بالعنايـة بنفسـها وجسـدها وإبراز محاسنها ، نظرا لما عرف في ذلك العصر من أنواع الزينة المختلفة من طـلاء الأظافر والوشم الذي اعتادت كثير من النساء أن يزين به أجزاء مختلفة من أبـدانهن([4]) . وهذه الظاهرة كانت واضحة لدى المرأة المسيحية بصفة خاصة ، حيث كانت تخرج إلـى الكنيسة في ابهى زينتها ([5]).

---

[1] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** . ص 247 . .
[2] القلقشندي . **صبح الأعشى.**ج13 ،ص 378 .
[3] علي السيد . **القدس في عصر المماليك** . ص262 .
[4]عاشور . **المجتمع المصري**.ص 127 .
[5]علي السيد . **القدس في عصر المماليك** . ص273 .

كما أن نظرة الرجل للمراة كانت على أساس أنها خاضعة له ومعاونة له فـي عمله ، فيتقدم عليها في المناسبات والمجالس ، وكثيرا ما كان يأكل الرجل وامرأته تخدمه بتقديم الطعام له ثم تأكل بعده . كما كان يلقى على عاتقها العمل داخل المنزل ([1]). فعندما يسير الرجل كانت امرأته تسير وراءه . كما سمح لها بان تكون لها ملكيتها الخاصة والتي تكونها بمجهودها الشخصي . وكان من واجبات المرأة طحن الحبوب بالرحـاة وطحـن الغلال ، ثم تقوم بعجن الطحين وخبزه . وبينما تنشغل الأم بذلك ، ترسل البنات إلى البئر لجلب الماء اللازم للشرب ، وبعد أن تفرغ الأم من الخبيز ، تحمـل الخضـروات إلـى السوق لبيعها ، وعليها أن تقطف بعض الفاكهة وتقوم ببيعها لمن يمرون علـى الطريـق المؤدية إلى المدينة. هذا بالإضافة إلى قيام المرأة بكثير من الأعباء التي تتطلبها المناسبات والأفراح حيث تقوم بواجب المشاركة في تلك المناسبات . وفي حالة الوفاة تخرج النسـاء كل خميس عقب الوفاة وحتى الأربعين لزيارة القبور حسب العادة . وهذا الخمـيس كـان يسمى خميس الأموات حسبما يروي لنا النابلسي عند زيارته لمدينة القدس ([2]). أما أوقات الفراغ لدى المرأة فيبدو أنها كانت قليلة جدا ، إلا أنها كانت تقضيها مع جاراتهـا أو فـي الاحتفالات العائلية المختلفة من زواج وولادة ومعمودية إلى غير ذلك من الاحتفالات ([3]) .

---

[1] ابن عبد الظاهر . **الروض الزاهر**. ص 62 .
[2] النابلسي . **الحضرة الإنسية** . ط1 ،ص 55 .
[3] علي السيد.**القدس في العصر المملوكي**.ص 274 .

ومن العادات التي انتشرت بين سكان المدن الإيمان بالمعتقدات الخرافية، منها ما كان شائعا لدى المسلمين من الاعتقاد في المشايخ والأولياء ([1])، وان لهم كرامات كثيـرة ، وان لهم القدرة على الإتيان بالكثير من الخوارق من الأعمال.من ذلك ما يرويه لنا مجيـر الدين عن " الشيخ احمد جعارة انه كان مجذوبا وله كرامات ظاهرة وأهل بيـت المقـدس يعتقدون صلاحه ... توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ودفن بمـاملا بالقرب من القلندرية نفع ا به"([2]) .

إضافة لما كان شائعا لدى سكان المدن من النصارى والمسلمين واليهود من أنهم كانوا يستدلون من الحيوانات على بعض الأشياء ، فمثلا غسل القطة لوجهها يزعمون انه دليـل على قدوم ضيف ، ونعيق البوم إشارة إلى موت، وطيران غراب واحد نحس وغـرابين سعد ، وصياح الدجاجة كالديك إنذار بخطر . والى غير ذلك من الاستدلالات ([3]) .

ومن العادات أيضا التي ظلت حتى أواخر عصر سلاطين المماليك انه كان في وادي جهنم بالقرب من عين سلوان عين ماء تسمى نبع العذراء أو نبع النساء المتهمـات حيث أعتيد تسميتها بذلك ، فقد جرت العادة أن يجري بها نوع من الاختبار لمن تتهم مـن النساء بعدم الطهر ، فمن تشرب من ماء تلك العين وتكن مذنبة فإنها تموت ، أما إذا كانت بريئة فإنها لا تصاب بأي أذى أو ضرر.ومما يؤكد أن هذه العين وتلك العادة قديمتان مـا يرويه مجير الدين عنها بقوله إنها كانت تسمى " عين المقذوفات " وهي معروفة منذ زمن بني إسرائيل وكانت بالقرب من عين سلوان "وكانت المرأة إذا قذفت أثوابها إليها فشـربت

---

[1] الصفدي . **الوافي بالوفيات** .ط2 ،ج7،ص48-49 .
[2] مجير الدين . **الأنس الجليل**.ج2 ، ص 531 .
[3] أبو عبدالله محمد بن محمد العبد ري ابن الحاج. **المدخل**. ج1، (القاهرة : 1929م) ،ص 237 ،278 ،279 .

منها فان كانت بريئة لم يضرها وان كانت غير بريئة طعنت فماتت،وهذه العادة تورثهـا الناس منذ عهود قديمة أيام قصة حمل مريم عليها السلام حيث أتوا بها وحملوها علـى بغلة فعثرت بها فدعت ا أن يعقم رحمها فعقمت من يومئذ ، فلما أتتها وشربت منها لـم تزدد إلا خيرا ، فدعت ا أن لا يفضح بها امرأة مؤمنة فغارت تلك العين مـن يومئـذ" ([1]).

ثانيا :وسائل التسلية

اعتاد السكان في الولايات الفلسطينية التابعة للنيابات الثلاث على الاهتمام بالغنـاء والموسيقى . فكانوا يعقدون مجالس الأنس والطرب في بيوت كبار الموظفين والمتـرفين من التجار ، ومن الدلائل على اهتمام السكان في عهد المماليك بالغناء مـا تحـدث عنـه النابلسي أثناء زيارته لنابلس حيث وصف مجلس من مجالس الأنس التي حضرها بقولـه "واستقدم في هذا المجلس فتى حسن الصوت وقدم ألاغاني للحاضرين "([2]) وقـد اعتـاد الناس أن يستقدموا في حفلاتهم من زواج وختان المغنيات مقابل مبلغ من المـال ، وقـد تطور الأمر في الدولة المملوكية إلى أن أصبح هناك ضـريبة تفـرض علـى المغنيـين والمغنيات عرفت باسم ضمان المغاني ([3]) .وقد استمر العمل بهذه الضـريبة إلـى أن ألغيت من قبل الناصر محمد بن قلاوون سنة 717هـ/1317م ([4]) .

---

[1] مجير الدين .**الأنس الجليل**.ج2، ص 57 .

[2] عبد الغني النابلسي . **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز** . تحقيق رياض عبد الحميد (دمشق : دار المعرفة ،1989) ط1 ، ص 311 .

[3] نفس المصدر : ص 241-242 ؛ عاشور .**المجتمع المصري** . ص 104 .

[4] القلقشندي .**صبح الأعشى**. ج 13 ، ص 22-34 ؛ العسقلاني .**أنباء الغمر** .ص 71 .

وعرف في المجتمع الفلسطيني أيضا العديد من وسائل التسـلية منهـا الخـروج لاصطياد الحيوانات البرية من غزلان وطيور وغيرها . وقد اولع العرب فـي رياضـة الصيد وعدوها من تراثهم الأصيل الذي تمسكوا به ، لكونهم يقضون أوقات فراغهم بعـد طول الإنهاك والعمل .كما وجدت المباريات الرياضية من سباق الخيل ولعبـة الكـرة (البولو) وبخاصة من جانب أمراء المماليك ([1]) .

كما مارسوا لعبة النرد ، ووجدت أيضا ألعاب الأطفال ومنهـا القـرق(الحكايـات) ، والأرجوحة ، والرجاجة ، والزحلوقة ، والضبطة والمشية ، والانبوئه ، والأربعة عشر ، وجبا جعل (القلب على الظهر) .كذلك تلهى الناس في المـدن بألعـاب اتخـذت طـابع المقامرة مثل تطيير الحمام ، والمناطحة بالكباش ، والمناقرة بالديوك ، فيراهن الشـخص على هذا الطير أو ذاك الكبش أو الديك فإذا فاز كسب الرهان ([2]). ويدخل في هذا النوع من الألعاب أيضا المعالجة ،أي رفع الأثقال والمثاقفة من الثقاف وهو الخصـام والجـلاد والطعان بالرمح والملاكمة والمشابكة ... وكانت هذه الألعاب كلها تتم بطريـق المقـامرة والرهان ([3]). بالإضافة إلى ممارسة ألعاب البهلوانيات التي تسلى بها الناس في المـدن ، والدبابة الذين يلعبون بالدب والقرادة الذين يلعبون بالقردة ([4]) .

ثالثا : الأعياد والاحتفالات

[1] تركي النقاش . **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية** .(بيروت: دار الكتاب اللبناني،1946) ، ص 149 .
[2] المقريزي . **السلوك**.ج2 ، ص 754 ؛ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**. ج5 ، ص41 .
[3] المقريزي . **الخطط**. ج2 ، ص55 .
[4] ابن عبد الظاهر . **الروض الزاهر**. ج9 ، ص 41 .

سار المماليك على نهج الأيوبيين في العناية بالأعياد والاحتفالات والمواسـم ، بل استحدثوا فيها وأضافوا إليها وشجعهم على ذلك وفرة المال والثروة . حيـث تعـددت المواسم والاحتفالات الدينية في عصر المماليك تعددا واضحا وملموسا ، سواء مـا كـان يتعلق منها بالمسلمين أو المسيحيين واليهود من سكان المدن . ويهمنا في هـذا المقـام أن نتناول الأعياد الدينية الرسمية التي احتفل بها سكان المدن الفلسطينية ونواحيها في النيابات الثلاث، بالإضافة إلى التركيز على ما تميزت به بعض المدن عن غيرهـا مـن مواسـم واحتفالات لم تكن موجودة في غيرها من المدن الإسلامية وخاصة ما كان منها خاضـعا لحكم سلاطين المماليك .

الأعياد الدينية كثيرة ومتنوعة ، فهناك العيدان ، عيد الفطر وعيـد الأضـحى اللذان جاءت بهما الشريعة الإسلامية وذلك ابتداء من السنة الثانية للهجـرة ([1]) . وعيـد راس السنة الهجرية والمولد النبوي . هذا بالإضافة إلى الأعياد التي ابتدعها المماليك ، أو التي أخذوها عن الفاطميين والأيوبيين ، كعيد ليالي الوقود وهي الاحتفال بغـرة رجـب ،شعبان ،رمضان ،وعاشوراء (اليوم العاشر من محرم)، وموسم النبي موسى وغير ذلك من المناسبات الدينية .

ومن أولى الأعياد الدينية الرسمية التي احتفل بها سـكان فلسـطين رأس السـنة الهجرية ويحتفل بهذا العيد في غرة المحرم([2]) لأنها أول ليالي السنة وابتداء أوقاتها ([3]) .

[1] القلقشندي .**صبح الأعشى**. ج2 ،ص 444 .
[2] ابن إياس . **بدائع الزهور**.ج2،ص99،ج3، ص4 .
[3] المقريزي . **الخطط** . ج1 ،ص490 .

وكان السلطان يخصص بهذه المناسبة أرزاقا ومنحا إضافية لأرباب الرواتب ([1]) . وقد حرص العلماء والقضاة والمشايخ وعامة الناس على تبادل التهاني في أول المحرم من كل سنة هجرية ، كما اعتاد أصحاب السعة منح العطايا لكل وارد عليهم([2]) .

ثم يأتي بعد ذلك الاحتفال بالمولد النبوي في شهر ربيع الأول ؛ وهذا العيد من الأعياد الدينية العامة التي احتفل بها سكان المدن الفلسطينية. فقد حرص عامة الشعب من المسلمين في بيت المقدس على الاحتفال بهذا العيد احتفالا يفوق الوصف من حيث العظمة والفخامة في الثاني عشر من ذلك الشهر ([3]). ويبدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ويتعاقب المقرئون على ذلك . وبعد صلاة المغرب تمد الحلوى المختلفة الألوان على الحضور ([4]) .وبعد الانتهاء من تناول الحلوى يأخذ المنشدون في الإنشاد فيمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ساعات متأخرة من الليل ([5]).

وهناك عدة ليال في العام الهجري اعتاد السكان على الاحتفال بها .على رأس تلك الليالي تأتي ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب من كل عام . حيث كان يقام في بيت المقدس احتفال عظيم مهيب بقبة الصخرة ، تكثر فيه إشعال القناديل في قبة الصخرة ومحيطها ([6]) .

ولعل بعض المسلمين قد حرصوا على إحياء تلك الذكرى بالصيام ، والاجتماع في المسجد الأقصى للذكر والقراءة . ويذكر لنا مجير الدين، في تلك الذكرى كانت تتلى

---

[1] المقريزي . **السلوك**. ج2 ص 165 .
[2] أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الأنصاري الشعراني . **ذيل لواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء والصوفية** . (القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1881 م) ص 32 .
[3] ابن إياس . **بدائع الزهور**.ج3،ص 16-17 .
[4] المقريزي . **الخطط** .ج3 ،ص373 .
[5] المقريزي .**السلوك**.ج4 ،ص 36-37 .
[6] بن فضل الله العمري. **مسالك الأبصار**. ج1 ، ص 35 .

بعض القراءات الخاصة بالمعراج وكذلك سورة الإسراء ، وكان لها قراء معينون يقومون بتلك القراءات ([1]) .

كما كانت ليلة النصف من شعبان إحدى تلك الليالي المشهورة ، والتي توقـد فيهـا القناديل في الجامع الأقصى وبقبة الصخرة بشكل يفوق كثيرا ما يوقد في مسـاجد بعـض المدن مجتمعة ([2]) . وكان والي مدينة القدس يحضر ذلك الاحتفال ، حيث يتصدر مجلس العلماء والفقهاء في محراب المسجد الأقصى .وكانت المدينة كلها تلبس حلة العيد القشـيبة وتقام فيها الاحتفالات ، والزينة بتلك الليلة ، هذا فضلا عن تمركز الاحتفالات في الحـرم الشريف ([3]) . والتي غالبا ما كان يتم فيها قراءة آيات من القرآن الكريم ، ثـم صـحيح البخاري ، ثم يقوم المداح بعد ذلك بالمدح. وكانت ليلة مشهورة ([4]) .

أما فيما يختص بشهر رمضان وإحياء لياليه فكانت تقام صـلاة التـراويح فـي المساجد والجوامع ، وكان أكثر سكان القدس يحضرون هذه الصلاة كامل شهر رمضان ، حتى أن عددا من الأئمة بداخل الأقصى والصخرة وعند أبواب الحرم كـانوا لا يقومـون بوظيفتهم إلا في صلاة التراويح طوال شهر رمضان فقط ([5]) .

كذلك من المرجح أن شهر رمضان كان فرصة طيبة للإكثـار مـن الصـدقات وإطعام الفقراء ،ومن مظاهر التوسعة في ذلك الشهر الكريم صـرف رواتـب إضـافية لأرباب الوظائف ، وطلبة العلم ، والأيتام . فضلا عن أن التوسعة ربما قد شملت صرف

---

[1] مجير الدين . **الأنس الجليل**. ج2 ، ص468 .
[2] نفس المصدر : ج2 ،33 .
[3] نفس المصدر: ج2 ، ص385 .
[4] المقريزي . **السلوك**. ج 4 ، ق 1 ، ص421 .
[5] مجير الدين. **الأنس الجليل**. ج2 ص385 .

كميات إضافية من السكر،نظرا لأن كمية المستهلك منه تتزايد في هـذا الشـهر بسـبب الإكثار من عمل الحلوى. كما شملت التوسعة، صرف بعض الأمـوال والأطعمـة علـى أرباب الوظائف والصوفية والأيتام والفقراء المجاورين لبعض المؤسسات الدينية والعلمية .

وبعد ذلك يحل عيد الفطر الذي يستغرق الأيام الثلاثة الأولى من شهر شـوال. ويستعد الناس أتم الاستعداد لهذا العيد فيسهرون ليلة العيد حتى ساعة متأخرة من الليل في تجهيز الملابس وإعداد الزخارف([1]). أما الكعك وغيره من أصناف الحلوى فصنعها الناس في أواخر شهر رمضان ليتبادلوا بها التهنئة بالعيد([2]) . ويبدو أن العادة الموجودة اليـوم عند كثيرين من تفضيل أكل السمك المجفف في عيد الفطر ، مستمدة من الأوضاع التـي سادت في العصور الوسطي عندما كان المصريون في عصر سلاطين المماليك يفضـلون أكل هذا السمك في ذلك العيد. وفي الصباح الباكر تقام صلاة العيد في المسـجد ، وبعـد الانتهاء منها يذهبون لزيارة القبور وتبادل التهاني بالعيد ([3]).

ومن الاحتفالات الدينية الرسمية التي احتفل بها السكان أيضا عيد الأضحى وكـان ذلك في العاشر من ذي الحجة ، حيث تقام صلاة العيد في موكب حافل ،وبعد الانتهاء من الصلاة تذبح الأضاحي([4]) .

ومن المواسم والاحتفالات التي عرفتها بعـض المـدن الفلسـطينية كالقـدس ، وتميزت بها عن غيرها من المدن الإسلامية التي خضعت للمماليك موسم النبـي عنبـر

---

[1] ابن الحاج. **المدخل**. ج1،ص289 .
[2] المقريزي . **الخطط** ،ج3، ص59 .
[3] ابن الحاج. **المدخل** .ج1،ص288.
[4] ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**.ج7 ،ص 866 .

،وموسم النبي موسى ، وموسم النبي حسين ،وموسم النبي صالح ، وموسـم أبـو عبيـدة الجراح . وترجع نشأة المواسم إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي عمل على الاحتفال بهذه المواسم ، لكي تكون موافقة لموسم عيد الفصح ، والذي يأتي فيه عدد كبيـر مـن الحجاج المسيحيين لزيارة القدس ، ولكي تكون القدس غاصة بأهـالي الجليـل ونـابلس والمناطق الأخرى المجاورة .

هذا وقد جرت العادة أن يتوافد شباب القبائل المختلفة على مدينة القدس ومعهـم أسلحتهم ، ويمكث الجميع في مقام النبي موسى أسبوعا كاملا . يكون المسـيحيون قـد فرغوا من زياراتهم ، وعقب صلاة الجمعة يزفون أعلامهم في المنطقة التي بين القـدس وأريحا ، وعلى طول الطريق الذي تهبط فيه جموع المسيحيون متوجهة إلى المغطس في نهر الأردن . وبعد عودة المسيحيون وفراغهم من زياراتهم للمدينة ، يعود المسلمون وقد انتهت تلك المواسم ، ويأخذ كل منهم في العودة إلى بلده ،وقد استمرت تلك المواسم فـي عصر سلاطين المماليك . فعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس ، استحسن رأي السـلطان صلاح الدين في هذا العمل ، فبنى مسجدا فوق قبر موسى عليه السلام ، وأكد ذلك الموسم ودعمه([1]).

أما بالنسبة للنصارى فقد مارسوا شعائرهم الدينية وكان لهم أربعة عشر عيـدا منها : عيد البشارة ،الزيتون ،الفصح ، وخميس الأربعين ، وعيد الميلاد ، وعيد الغطاس . ([2])

[1] محمود العابدي . **قدسنا** . (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ،1972م) ص122 _ 123 .
[2] سعيد عاشور ." **المجتمع الإسلامي في عصر الحروب الصليبية**" . المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ،1974 ، عمان 1980 ، ص 201-205 .

أما عن الاحتفالات والأعياد الدينية المسيحية ، فإنه تجب الإشارة إلى أن هذه الأعياد تعددت لتعدد الطوائف المسيحية ، فقد أورد القلقشندي تقسيم لهذه الأعيـاد علـى النحو التالي ([1]):

أولا : **الأعياد الكبار**

1. عيد البشارة : ويقصد به بشارة جبريل عليه السلام للسيدة مريم بميلاد المسيح ، وهو عادة ما يقع في الخامس والعشرين من شهر اذار.

2. عيد الشعانين : ويطلق عليه أيضا الزيتونة ، أو أحد السعف أو أحد الشعانين ويقصد بها عيد التسبيح ،لان اليوم الذي أتى فيه السيد المسيح إلـى القـدس راكبـا (الحمـار) ، فاستقبله الناس وهم يسبحون بين يديه، والصبيان بأيديهم ورق الزيتون.وقد جرت العـادة عند المسيحيين أن تزين الكنائس في هذا اليوم بأغصان الزيتون والنخيل ، وغالبا ما يأتي هذا العيد في الثاني والأربعين من الصوم ([2]).

3.عيد الفصح : وهو العيد الكبير عندهم .وكان هذا العيد يصادف الرابع عشر من شـهر نيسان. وفي ذلك اليوم ، كانت جموع المسيحيين بالقدس والزوار يـذهبون إلـى كنيسـة القيامة ، حيث يكون رهبان كل طائفة من الطوائف قد تجمعوا عند المذبح الخاص بهـم ، وهناك ينضم الزوار إلى رهبانهم ويقوم راهب كل طائفة بترتيل القداس بلغة تلك الطائفـة ، ثم تقرع الأجراس بعد منتصف الليل . وتشير بعض المراجع إلى انه كان يعمل في هذا العيد الكعك بالحليب ، ويسلق البيض ويلون بالألوان المختلفة . كذلك كانت تتـزين فيـه

---

[1] القلقشندي. **صبح الأعشى**. ج2 ،ص419 _425 .
[2] نفس المصدر : ص415 .

النساء ، ويرتدي الرجال الملابس الفاخرة ، ويخرجون إلى أماكن النزهة ، ويشارك كثير من المسلمين إخوانهم المسيحيين هذا العيد والاحتفال به ([1]).

4. عيد الميلاد : يقصد به الاحتفال بيوم عيد ميلاد المسيح عليه السلام ، ويقال انه ولـد يوم الاثنين،وجعلوا عشية الأحد ليلة الميلاد ، فيوقدون المصابيح في الكنائس ويزينونهـا ([2]). كما جرت العادة أن يوقد الأهالي في هذه الليلة القناديل فوق الأسطح احتفـالا بهـذا العيد ([3]).كذلك كانوا يوقدون فيه النيران ، ويظهرون فيه الأفراح ، ويقيمون القداس فـي سائر الكنائس إلى جانب ما يعدون من أصناف المأكل والمشـرب احتفـالا بهـذا اليـوم ([4]).ويشترك في هذه الاحتفالات عامة الناس وخواصهم احتذاء بيوسـف النجـار عنـدما أشعل النيران للسيدة مريم وأطعمها بعض الجوز عقب ولادتها للمسيح عليها السلام ([5]) .

أما بخصوص أعياد اليهود فلم ترد في المصادر والمراجع التي بـين أيـدينا تفصيلات عن هذه الأعياد بسبب قلة عددهم بالنسبة لغيرهم في المدن الفلسطينية في العهد المملوكي .ومن ابرز أعيادهم عيد الفصح الذي احتفل به السمرة في مدينة نـابلس حيـث يصعدون إلى جبل جرزيم ويقيمون الشعائر الدينية الخاصة بالعيد على قمة جبل جرزيم ، وينحرون الأضاحي في وقفة عيد الفصح على مذبح خاص بجرزيم ([6]).

وبالنسبة للاحتفالات الرسمية المدنية فقد تمثلت في المواكب الرسمية التـي تقـام بمناسبة زيارة أمير كبير ، أو الاحتفال بتنصيب أمير أو كاشف الولاية الجديـد أو تـولي

---

[1] شيخ الربوة .**نخبة الدهر**. ص 280.
[2] القلقشندي . **صبح الأعشى**.ج2 ،ص416 .
[3] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** .ص 267 .
[4] علي بن الحسينبن علي المسعودي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . (بيروت :1965) ط1 ، ص351 .
[5] علي السيد . **القدس في العصر المملوكي** .ص 267 .
[6] بنيامين الطليطي . **رحلة بنيامين الطليطي** . ترجمة عزرا حداد ،(بغداد : 1945) ،ص 96 .

قاضي القضاة وغير ذلك من المناسبات الرسمية .حيث كانت تخرج هذه المواكب بزينات كبيرة ، ويخرج الناس للتمتع بمشاهدتها . وما جرى في هذه المناسبات في سائر ولايـات الدولة المملوكية جرى في نيابات فلسطين الثلاث .

وتعتبر الاحتفالات والأفراح العائلية من ابرز ما تميزت به الحياة الاجتماعية في المدن الفلسطينية في عصر سلاطين المماليك ، سواء لدى المسلمين أم أهل الذمة . وعلى الرغم من قلة المعلومات التي وصلت إلينا عن أهم الاحتفـالات العائليـة مثـل الـزواج والولادة وخاصة عند المسلمين ، بعكس ما أشارت إليه بعض المصادر والمراجـع عـن المسيحيين ، إلا أننا نستطيع اعتمادا إلى ما هو معروف عـن طبيعـة ذلـك العصـر ، بالإضافة إلى تلك المراجع أن نقول انه لم تكن هناك اختلافات جوهرية بين ما كان لـدى أبناء الطوائف المختلفة إلا فيما يختص بإقامة بعض الطقوس الكنسـية داخـل الكنـائس وبخاصة فيما يتعلق بمراسيم الزواج .

كذلك من المرجح أن تكون الخاطبة قد قامت في ذلك العصر بدور كبيـر فـي إتمام مهمة الخطوبة ، باعتبار أنه كان يتاح لها دخول البيوت والإطـلاع علـى أسـرار الحريم ، فتستطيع بذلك أن تأتي للعريس بالعروس التي تتفق مع رغباته ومطالبه. ومـن المرجح أيضا أن رأي الفتاة المسلمة لم يكن وحده المرجح في اختيار شريك حياتها ، بـل ظل رأي والدها ووالدتها الأهم ([1]).

وعندما تنتهي المرحلة الأولى وهي مرحلة الخطوبة ، تأتي المرحلة الثانية وهـي عقد القران ، وكانت تتم أحيانا داخل المنزل وفي بعض الأحيان كان يفضل الناس عقدها

---

[1] عاشور . **المجتمع المصري**. ص 120 ..

في المساجد تقليدا لما كان يحدث في القاهرة ، حيث يجتمع الناس فـي المسـجد ومعهـم المباخر المفضضة التي يحرقون بها البخور ، وبعد الانتهاء من كتابة العقد ينصرفون في حفل كبير ([1]). ومن ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثـة وهـي إعـداد الجهـاز الخـاص بالعروس(الشوار) ونقله إلى منزل العريس . وكان يشارك فيه أقارب العريس ومعارفه ، وربما يشارك فيه بعض أمراء المماليك حسب مكانة العريس ، أو والد العريس ، أما عن هذا الجهاز فيقول ابن بطوطة " ومن عوائدهم في تلك البلاد أن البنـت يجهزهـا أبوهـا ويكون معظم الجهاز من الأواني النحاسية التي تستخدم في أعمال الطهي والشرب ، وبـه يتفاخرون وبه يتباهون " ([2]).

أما عن ليلة الزفاف فمن المرجح انه كانت تقام فيهـا وليمـة كبيـرة للأهـل والأصدقاء ، وعقب الوليمة ربما كان يتوجه العريس إلى بيت العروس في موكب كبيـر يحف به الأهل والأصدقاء متجهين إلى منزل العروس ([3])حيث يتم إحياء العرس ، فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف وزغاريد النساء ، وقد تقام هذه الليلة في منزل الزوجية أو في منزل والد العريس ، حيث يقوم المدعوون بتقديم بعض الهدايا إلـى أصـحاب العـرس ([4]).هذا بالنسبة لعادات الزواج عند المسلمين .

أما عند المسيحيين المحليين في المدن الفلسطينية ، فقـد جـرت العـادة أن يجري الزواج على النحو الذي كان سائدا في الشرق . فتبدأ الخطوة الأولى بالخطوبـة ، أي اختيار العروس بواسطة والدي العريس الراغب في الزواج أو بعض أقاربه أو بعض

[1] نفس المصدر :ص 120 .
[2] ابن بطوطة . **رحلة ابن بطوطة** . ط4، ص 63-64 .
[3] عاشور . **المجتمع المصري**.ص 121.
[4] نفس المصدر :ص 121

الوسطاء ، فإذا تم ذلك فإنهم كانوا يصفونها له.كما أن الخاطبة عند المسيحيين لعبت دورا هاما في اختيار العروس. وبعد ذلك غالبا ما كان يتصل أهل العريس بأهـل العـروس ، وكانت أم العريس هي التي تقوم بهذا الدور ومعها بعض صديقاتها أو قريباتها ، أو يقـوم احد القساوسة مع من ينوب عن العريس بالتوجه إلى منزل العروس ويتفق الطرفان على الخطوبة بعد أن يسال القسيس المخطوبة عن رأيها في قبول العريس زوجا لها ، وعنـدما توافق يقدم لها قطعة من الحلوى مرسلة من العريس ([1]). بعد أن يكون القسيس قد تأكـد من درجة القرابة إذا وجدت بين الطرفين ، لان لكل طائفة درجات للقرابة يمنع الـزواج بين أفرادها ([2])بعد ذلك يقوم العريس بتقديم هدية لخطيبته ويدفع جزء من المهر أو المهر كله، وكان المهر يختلف من عروس إلى أخرى حسب جمالهـا ، وعمرهـا ، ومكانتهـا الاجتماعية .فإذا كانت صغيرة وجميلة فان مهرها يكون أعلى من الكبيرة وجمالها اقـل . وبعد الخطوبة بيوم أو أكثر تذهب قريبات الخطيب لزيارة الخطيبة فيقـدمن لهـا بعـض الهدايا ، قد تكون على شكل مبالغ نقدية أو حلي من الذهب ، وتسمى هذه الزيارة بالشوفة ،كما يقدم الخطيب لمخطوبته بعض الهدايا في بعض المواسم والأعياد بحسب مقدرته([3]) .

وبعد ذلك يأتي حفل الإكليل فيذهب أهل العريس إلى بيت العروس ، للتشـاور والاتفاق على الموعد المحدد وإعداد الترتيبات اللازمة ، ومتى تقرر الأمر تبدأ الـدعوات من الطرفين.بعد ذلك يقوم أهل العريس من النساء بزيارة العروس حـاملين لهـا ثيابهـا بالمشاعل والأغاني ، ومعهن الحناء ، فيحنين العروس ثم يذهبن بها يـوم السـبت إلـى

---

[1] كرد علي . **خطط الشام** . ج6 ،ص 293 .
[2] علي السيد.**القدس في العصر المملوكي** . 269 .
[3] اسعد منصور. **تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة** .(القاهرة : 1924)، ص 272 .

الحمام ، ويقمن بغسلها وتزينها . وفي ليلة الأحد تذبح الذبائح وتعد الولائم لليـوم التـالي وهو يوم الزفاف وعادة ما يكون يوم احد .وفي هذا اليوم يرتدي الجميع الملابس الفاخرة ، ويذهب جمع من الرجال والنساء من أهل العريس لإحضار العروس ، وكثيرا ما كـان يقدم العريس إلى أم العروس هدية تسمى خلعة ألام وهي في الغالب عبارة عن عباءة ([1]) ، كذلك يضع المدعوون على العروس خمارها وإزارها ، وتكون جميع ملابسها بيضاء ، وتنتقل العروس بموكبها إلى الكنيسة لتكليلها على يد القساوسة على عريسها ، وقد يـتم ذلك في بيت العريس أو العروس ، حيث يمسك كل من العروسين الشموع الموقدة ويقـرا القسيس بعض التراتيل الخاصة بالزواج ، وكذلك يردد المنشدون بعضا منها ، ثم يوجـه القسيس بعض الأسئلة للعروس وأهلها ليتأكد من أنها ليست مخطوبة لأحد ، ويعقب ذلـك ترديد بعض الصلوات ، ثم يقوم القسيس بتتويج العروسين. وبعـد أن تنتهـي التراتيـل الخاصة ، يأخذ كأسا من النبيذ ويباركها ثم يطلب منهما أن يرتشف كـل منهمـا ثـلاث رشفات ، ثم يدور بهما وسط المدعوين مع ترديد بعض الأناشيد الدينيـة،ثم يباركهمـا ، ويدعو لهما بالسعادة والتوفيق .

ومتى تم ذلك خرج المدعون بالعروسين من الكنيسة إلى البلدة والناس ترشـقهم بالزهور والحلوى ويتوجه الموكب بعد ذلك إلى منزل العريس ، حيث تستقبل أم العريس العروس بالبخور والزغاريد ، وتكثر عبارات التهاني ، مع عزف الموسيقى والـرقص . ويظل الجميع في مرح إلى الهزيع الأول من الليل ([2]) .

---

[1] نفس المصدر : 278 .
[2] كرد علي. **خطط الشام**.ج2،ص 294 .

ومن الاحتفالات العائلية التي كان لها أهمية كبرى في عصر سلاطين المماليك إنجاب الأطفال حيث جرت العادة أن تختار كل امرأة قابلة معينة كان يطلق عليها أيضـا اسم الداية . ويبدو انه كان يتم الاتفاق على اجر معلوم مع القابلة خشية وقوع خلافات بعد الوضع . وهذه القابلة كان لها كرسي مخصوص تصحبه معها عنـد اللـزوم ([1]). فـإذا وضعت الأم مولودها أقبلت النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الـدفوف والرقص واللهو واللعب . أما عند المسيحيين فإذا كان المولود ذكرا قالت القابلـة لـلام " محبة بالمسيح " ، وإذا كانت أنثى قالت " محبة بالعذراء " ، كذلك كانوا يحضـرون احـد رجال الدين من القساوسة يوم الولادة ليصلي على باب المنزل تبركـا ، ويعلـق للطفـل التمائم(الخرزة الزرقاء) والتعاويذ ، كما يضعون له خرزة زرقاء للوقاية مـن الحسـد ، ويقومون بوضع الكحل للطفل من يوم ولادته ، كما يلفونه بقماط لكي يقي جسمه من البرد أو الاهتزاز .كذلك جرت العادة أن تقوم القابلة في الأيام الثلاثة الأولى بتمليح الطفل ، إما بغسله بماء الملح ،أو وضع الملح الناعم على جسده . كذلك تقوم القابلة في الأيام الثلاثـة التالية بدهنه بالزيت ، وفي اليوم السابع تقوم بغسله بماء معطر وتسقيه منه ، وتدهن رأسه وانفه ومفاصل جسده بالزيت المعطر ، ثم يعاد لفه في القماط الذي لف به منـذ الـولادة ويستمر ملفوفا هكذا مدة أربعين يوما ، ثم يلبسونه الملابس العادية ([2]).

كذلك من المرجح أن كثيرا من الناس قد اعتادوا الاحتفال بيوم السـبوع احتفـالا كبيرا ، حيث تلبس أم المولود الثياب الجديدة الجميلة ، وتطوف أنحاء الدار فـي موكـب

---

[1] اسعد منصور .**تاريخ الناصرة**.ص275 .
[2] نفس المصدر :ص 275 .

كبير ، تحيط به الشموع من كل جانب ، والقابلة أمامها تحمل المولود ، وأمام القابلة امرأة أخرى معها طبق به شيء من الملح تنثره في البيت يمينا وشمالا ، هذا بالإضـافة إلـى إحراق نوع من البخور المخصص لهذا الاحتفال ، كما يرجح عمل ألوان معينة من الطعام وتفريقها على الأهل والجيران والمعارف([1]) .

ومن الاحتفالات العائلية أيضا التي احتفل بها المسلمون ختان الطفل ، وقـد جـرت العادة أن يقوم بهذه العملية في عصر المماليك المزين . وعندئذ كان أهل الطفل يقيمـون حفلا كبيرا يدعون إليه سائر الأهل والأصدقاء . ولا بد للمدعوين في هذه المناسـبة مـن تقديم الهدايا لأهل الطفل ([2]).

أما عند المسيحيين فقد جرت العادة بعد انقضاء أربعين يوما أن تذهب الأم بطفلهـا للكنيسة ليصلي القسيس على رأسه . وفي أول الربيع وعند ظهور الأزهار فإنهم يسـقونه الزهورات وهي عصارة بعض الأزهار وخصوصا الرمان ، ويطعمونه من أول فاكهـة وخصوصا الخيار ، ولو قطرة من عصيره، وان يدهن به انفه.كذلك جرت العادة عنـدهم تعميد الطفل ، وتنصيره ، وذلك بغمس المولود فـي مـاء معطـر بالريـاحين وألـوان الطيب([3]).

يتضح لنا مما تقدم أن عصر سلاطين المماليك كان زاخرا بكثير مـن الأعيـاد الدينية والمواسم، ولعلها كانت من المناسبات الهامة والتي تبادلت فيها طوائـف السـكان التهاني ، نظرا لروح التسامح التي كانت سائدة في المدن الفلسطينية في ذلك الوقت .

---

[1] عاشور. **المجتمع المصري**. ص 124 .
[2] عاشور. **المجتمع المصري** .ص 124-125 .
[3] اسعد منصور . **تاريخ الناصرة**.ص 275 .

الخاتمة :

نستنتج من الدراسة أن انتصار المماليك على المغول في معركة عـين جـالوت، كان بمثابة إنقاذ لبلاد الشام ومصر من الدمار الذي كان ممكن أن يحدثه المغول في هـذه البلاد ،ورافق ذلك تغييرات على نظام الحكم والإدارة في بلاد الشام بشـكل عـام وفـي فلسطين بشكل خاص ، بتأسيس ثلاث نيابات فيها ، على رأس كل منها أمير برتبة كبيـرة ،يتولى إدارة النيابة ، بسبب خشية المماليك من عودة الفرنجة ثانية إلى المنطقة بالتحالف مع التتار. وأصبح لكل نيابة حرية التصرف في شؤونها الداخلية . أما الشؤون الخارجيـة السياسية والعسكرية فكانت من اختصاص السلطان في القاهرة . ولضمان سيطرة الدولـة على مقاليد الحكم تم تصنيف الوظائف الإدارية في كل نيابـة إلـى وظـائف عسـكرية ،وديوانية ، ودينية، وارتبطت بها سلسلة من الوظائف الأقل أهمية.

ترك المماليك أثرا على طبوغرافية المدينة وتركيبـة السـكان، وتنظيمـاتهم ، بتشجيع سلاطين المماليك إقامة المنشآت الدينية، والعلمية، والخيرية، والاجتماعيـة فـي المدن الفلسطينية حسب أهميتها وموقعها .وتمثل ذلك في بناء البيوت والأسواق والشوارع والحمامات والزوايا والمزارات والمساجد ، حتى عد عصرهم من أزهى العصـور فـي العمارة، والتي ما زالت آثارها باقية إلى أيامنا في كثير من المدن الفلسطينية وعلى وجه الخصوص في مدينة القدس .

كما اعتمد حكام الممالك على المؤسسات الرسـمية والشـعبية فـي إدارة المـدن الفلسطينية ،حيث تولى أمراء المماليك المناصب الرسمية والإدارية في المـدن، وعينـوا

موظفين رسميين ليتولوا أمور الجيش وجباية الضرائب، وصيانة المؤسسة العسكرية فيها . كما أدخل المماليك بعض التغييرات والتعديلات على النظام القضـائي، حيـث اعتبـر قاضي القضاة راس الهيئة القضائية في نيابات فلسطين الثلاث ، وكان يشغل هذا المنصب قاضي قضاة الشافعية ، وجعل السلطان الظاهر بيبرس في كل نيابة وأحيانا في كل مدينة أربعة قضاة شافعي ، حنفي ،مالكي ،حنبلي ، وعمم هذا النظام على معظم نيابـات بـلاد الشام ومصر .

وألقت السلطات المملوكية على عاتق المؤسسات الشعبية ممثلة برؤساء الطوائـف المهنية والعرقية والدينية في عهد المماليك مهمة الأمن الداخلي في المدينة فقـط وتـوفير الخدمات للسكان والإشراف على النشاطات الحرفية والتجارية والاجتماعية والخدماتيـة. وهذه السياسة (النظام) التي استخدمها المماليك في إدارة المدن ترك أثـرا كبيـرا علـى الأوضاع داخل المدن، حيث حقق التماسك الداخلي لمجتمع المدينة من ناحية ،ومن ناحية أخرى مكن الدولة من الإمساك بزمام الأمور بطريقـة غيـر مباشـرة عبـر الطوائـف والزعامات .

شهدت المدن الفلسطينية نشاطا حرفيا وتجاريا جيدا في العهد المملوكي ساهم إلـى حد ما في تنمية الاقتصاد ، وساهم في ازدهار حركة التجارة الداخلية والخارجيـة بـين المدن الفلسطينية والأقطار المجاورة لها.وشجع المماليك بناء الجسور ورصف الطـرق ، وإنشاء الخانات على الدروب والطرق داخل المدن وخارجها خدمـة للقوافـل التجاريـة

والمسافرين، إضافة إلى تأسيس الطوائف الحرفية والمهنية التـي تولـت مهمـة العمـل التنظيمي داخل المدن .

وبذلك ساهمت سياسة المماليك في إدارة المدن الفلسطينية في احتواء كل فئات الشعب وحالت دون قيام أنماط بديلة للحكم ،أو قيام معارضة قوية وفعالة ضدهم . بتقربهم من التجار والعلماء ورجال الدين لقدرتهم على إقناع الناس بإطاعة أوامر السلطة وبإضفاء الشرعية على النظام المملوكي . كما امتدت رعاية المماليك إلى عامة الشعب من حرفيين ومهنيين ومزارعين وحرافيش وزعار وزعامات الأحياء والطوائف العرقية والدينية التي اعتمدت عليها مهمة استتباب الأمن والقيام بالخدمات العامة في المدن لتخفيف العبء عن السلطة المملوكية،ولتسهيل تنفيذ سياسة المماليك في صفوف طوائفهم . إلا أن هذه السياسة لم تصمد طويلا في عهد المماليك الجراكسة بسبب الأزمات الاقتصادية التي حلت بـالبلاد في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر ميلادي ،وفرض المزيد مـن الضـرائب علـى الحرفيين والتجار وأصحاب المهن ، وسيطرة المماليك على الموارد الماليـة، وممارسـة سياسة الشراء بالإكراه وبالأسعار التي يحددونها أدى إلى انتشار الفوضـى واللصوصـية وخراب الاقتصاد وانتشار الأوبئة التي عجلت في انهيار الدولة .

كان لتعدد الديانات اثر في تنوع العادات والتقاليد لسكان المدن الفلسطينية في عهد المماليك حيث مارس السكان الكثير من العادات والتقاليد والأعياد ووسائل التسـلية التـي توارثوها عن الأجداد، كباقي المجتمعات في بلاد الشام، سواء ما شاع منها لدى المسلمين، والمسيحيين ،واليهود ،لتشمل شتى مجالات الحياة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:الوثائق

1. وثائق المتحف الإسلامي بالقدس وتبلغ 750 وثيقة مكتوبة على رقاع من الـرق ويحتفظ بها المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى .

- وثيقة رقم 20 سنة 768هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
- وثيقة رقم 22، سنة 707هـ ، من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
- وثيقة رقم 43 سنة 785هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .
- وثيقة رقم 53 سنة 778هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
- وثيقة رقم 77 من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

ثانيا :المصادر العربية المطبوعة

1. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن احمد القرشي . **معالم القربة في أحكام الحسبة** . تحقيق محمد شعبان . القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، 1976 .
2. ابن إياس ،محمد بن احمد. **بدائع الزهور في وقـائع الـدهور** . تحقيـق محمـد مصطفى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1960-1974.
3. ابن بسام، محمد بن احمد . **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** . تحقيق حسام الـدين السامرائي، بغداد : مطبعة المعارف ، 1986 .
4. ابن بطوطة ،أبو عبدا بن محمد. **رحلة ابن بطوطة** . ط4 تحقيق علي المنتصر الكتاني ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1985م.

5. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال. **حوادث الدهور على مدى الأيام والشهور** . تحقيق محمد كمال عز الدين ، بيروت : عالم الكتب ، 1990.

6. ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والترجمة والنشـر ، 1963 .

7. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد الأندلسي . **رحلة ابن جبير** . بيروت : دار مكتبة الهلال 1981م .

8. ابن الحاج ،أبو عبدا محمد بن محمد العبد ري. **المدخل**. القاهرة : 1929م .

9. ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد. **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العـرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** . بيروت : دار الكتـاب اللبناني ، 1967-1968 .

10. ابن شاهين الظاهري ،غرس الدين خليل. **زبدة كشف الممالـك وبيـان الطـرق والمسالك** . صححه بولس داويس ، باريس : المطبعة الجمهورية ، 1984.

11. ابن شداد، بهاء الدين يوسف. **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسـفية** . تحقيـق جمال الدين الشيال ،القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1964.

12. ابن الصيرفي، علي بن داود . **نزهة النفوس والأبدان فـي تـواريخ الزمـان** . تحقيق حسن حبشي ، القاهرة : مطبعة دار الكتب ، 1973 .

13. ابن طولون ،شمس الدين محمد بن علي بن احمد. **مفاكهة الخلان فـي حـوادث الزمان** . تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة: المؤسسة المصرية للطباعة والنشـر ، 1964 .

14. ابن عبد الظاهر ،محي الدين. **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** . تحقيـق عبد العزيز الخويطر ، الرياض : 1976 .

15. ابن فضل ا العمري ،شهاب الدين احمد بن يحيى.**التعريف بالمصطلح الشريف** . القاهرة : مطبعة العاصمة ، 1894.

16. ابن فضل ا العمري ،شهاب الدين احمد بن يحيى. **مسالك الأبصار فـي ممالـك الأمصار . دولة المماليك الأولى .** تحقيق دوروتيا كرافولسكي ، بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ،1986 .

17. ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشافعي.**البداية والنهايـة فـي التـاريخ**. القاهرة : مطبعة السعادة ، 1929-1939.

18. ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب** . بيـروت :دار صـادر للطباعة والنشر، 1968.

19. أبو الفداء ،المؤيد عماد الدين إسماعيل. **المختصر في تاريخ البشر** . القسطنطينية: المطبعة الشاهانية، 1869م.

20. الأصفهاني ،عماد الدين محمد احمد . **الفتح القسي في الفتح القدسـي** . تحقيـق محمد محمود صبح ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ،1965.

21. خسرو ،ناصر . **سفر نامة** . ط3 ،ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت : دار الكتـاب الجديد ، 1983.

22. السبكي ،تاج الدين عبد الوهاب بن علي . **معيد النعم ومبيد النقم** .تحقيق محمـد علي النجار وزملائه ، القاهرة : دار الكتاب العربي بمصر ، 1948.

23. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن . **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** . القـاهرة :مكتبة القدسي ، 1936، 1938 .

24. الشعراني ،أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الأنصاري . **ذيـل لـواقح الأنوار القدسية في طبقات العلماء والصوفية** . القاهرة : دار الكتب المصـرية ، 1881 م .

25. شيخ الربوة ،أبو عبدا محمد . **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** . ليبزج : 1923 .

26. الصفدي ،صلاح الدين خليل ابن ايبك. **الوافي بالوفيات** .تحقيق هـ ـ .ريتـر ، بيروت : مطبعة صادر ، 1972-1971 .

27. العسقلاني ،ابن حجر . **أنباء الغمر بأبناء العمر** . حيدر اباد : مطبعة المعـارف العثمانية ،1967.

28. العسقلاني ،ابن حجر . **الدرر الكامنة في أعيان المئة** الثامنة . تحقيق محمد جاد الحق ، القاهرة : مطبعة المدني ، 1966-1967م .

29. الغزي، نجم الدين أبو المكارم .**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة** . تحريـر جبرائيل جبور ، نشر محمد أمين ، بيروت ، 1945 .

30. القزويني،زكريا بن محمد . **أثار البلاد وأخبار العبـاد** . بيـروت: دار صـادر ،1960.

31. القلقشندي ،أبو العباس احمد . **صبح الأعشى في صـناعة الانشـا** . القـاهرة : 1963 .

32. الماوردي ،أبو الحسن بن محمد بن حبيب . **الأحكام السـلطانية** . بيـروت : دار الكتب العالمية ، 1978.

33. مجير الدين، أبو اليمن . **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** . عمان : مكتبـة المحتسب ،1973.

34. المسعودي ،علي بن الحسين علي. **مـروج الـذهب ومعـادن الجـوهر** . ط1 ، بيروت: 1965 .

35. المقريزي ،أبو العباس احمد بن علي .**السلوك لمعرفة دول الملوك** . تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ،1956 -1958 .

36. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي .**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـار** . القاهرة : مطبعة بولاق ،1952 .

37. النابلسي ،عبد الغني . **الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية** . ط1 ، تحقيق أكـرم العلبي ، بيروت : دار المصادر ،1990م .

38. النابلسي ،عبد الغني. **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصـر والحجـاز** . ط1،تحقيق رياض عبد الحميد، دمشق : دار المعرفة ،1989 .

39. ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبدا . **معجم البلـدان**. بيـروت : دار الكتـب العلمية،1990 .

ثالثا :المراجع العربية والأجنبية المعربة

1. إبراهيم ،علي السيد . **تاريخ المماليك البحرية** .القاهرة :مكتبة النهضة المصرية ،1967 .

2. الأحمد .سامي .**تاريخ فلسطين القديم**. بغداد : مركز الدراسات الفلسـطينية ، 1979.

3. بورشارد .**وصف الأرض المقدسة** . ترجمة سـعيد بيشـاوي ، عمـان : دار الشروق ، 1995.

4. حتي ،فليب . **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** . ترجمة كمال اليازجي ،بيروت : دار الثقافة ،1995 .

5. حتي، فليب . **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر**. ط2،ترجمة أنيس فريحة مراجعة نقولا زيادة ، تنقيح جبرائيل جبور ، بيروت: دار الثقافة ،1972 .

6. حسن ،زكي محمد . **فنون الإسلام** . القاهرة :دار الرائد العربي ، 1948.

7. الخالدي ،احمد سامح . **أهل العلم والحكم في ريف فلسطين** . عمان : منشورات دار الثقافة والفنون ،1968 .

8. الدباغ ،مصطفى مراد .**بلادنا فلسطين** . القسم الثاني، كفر قـرع :دار الهـدى للطباعة والنشر،2002 .

9. الدجاني ،هادية وبرهان. **الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القـرون الوسطى** . بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،1964.

10. دراج، احمد . **المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجـري /الخـامس عشر الميلادي** . القاهرة : دار الفكر العربي ،1961 .

11. ديماند،م.ي . **الفنون الإسلامية** .ط2 ، ترجمة احمـد محمـد عيسـى ، القاهرة :1958.

12. الراهب ،دانيال . **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهـب**.ترجمـة سـعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ،عمان : د.ن ، 1992.

13. رنسيمان ،ستيفن . **تاريخ الحروب الصليبية** . ترجمة سيد الباز العريني ، بيروت : دار الثقافة ،1997 .

14. ريمون، اندرية . **المدن العربية الكبرى في العصر العثمـاني** . ترجمـة لطيف فرج ، القاهرة : دار الفكر للدراسات والتوزيع والنشر ، 1991.

15. زيادة ،نقولا. **دمشق في عصر المماليك** . بيروت : مكتبة لبنان ، 1966.

16. سعيد عاشور، عبد الفتاح . **بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته** . القاهرة : عالم الكتب ، 1987.

17. سعيد عاشور، عبد الفتاح. **الظاهر بيبرس** . القاهرة : المؤسسة العامة للتأليف والنشر ،1963.

18. سعيد عاشور، عبد الفتاح . **المجتمع الإسلامي في عصر الحروب الصليبية** . المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ،1974 ، عمان 1980 .

19. سعيد عاشور ،عبد الفتاح. **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**. القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ،1962.

20. الصابي،هلال .**رسوم دار الخلافة** .بغداد ،1964 .

21. الطراونة ،طه ثلجي . **مملكة صفد في عهد المماليك** . بيروت : دار الآفاق الجديدة، 1981.

22. الطليطي،بنيامين. **رحلة بنيامين الطليطي** . ترجمة عزرا حداد ،بغداد ،1945 .

23. العابدي،محمد . **صفد في التاريخ** . عمان : جمعية المطابع التعاونية ،1977 .

24. العابدي ،محمود. **قدسنا** . القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ،1972م .

25. العارف ، عارف.**تاريخ غـزة** . القدس : مطابع دار الأيتام الإسـلامية ، 1943 .

26. العارف، عارف .**المفصل في تاريخ القـدس** . ط4 ،القـدس : مطبعـة المعارف ، 1996.

27. عارف ،عبدا . **مدينة نابلس** . دمشق : 1964 .

28. العبادي ،احمد مختار. **قيام دولة المماليك الأولى في مصـر والشـام** . بيروت : دار النهضة العربية ، 1969 .

29. عثامنة،خليل. **فلسطين في خمسة قـرون** . بيروت : مؤسسة الدراسـات الفلسطينية 2000 .

30. العريني ، السيد الباز. **المماليك** . بيروت : دار النهضة العربية ،1967 .

31. العزة، رئيسة عبد الفتاح . **نابلس في العصر المملـوكي** . نـابلس :دار الفاروق للثقافة والنشر ،1999 .

32. عطا ا ،محمود علي خليل. **نيابة غزة في العهد المملوكي** . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1979.

33. علي السيد،علي . **القدس في العصر المملوكي** . القـاهرة : دار الفكـر للدراسات والنشر والتوزيع ، 1986.

34. غوانمة، يوسف غوانمة . **التاريخ الحضاري لشرق الأردن فـي العصـر المملوكي** .عمان :دار الفكر ،1982 .

35. غوانمة ،يوسف درويش . **تاريخ شرق الأردن في عصر دولة المماليـك الأولي**. عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية الأردنية ، 1979 .

36. غوانمة، يوسف درويش . **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي** . عمان : دار الحياة ،1982.

37. غوانمة ،يوسف. **دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين** . عمان :دار الفكر ،1983.

38. الفيتري ،يعقوب. **تاريخ بيت المقدس** . ترجمة سعيد البيشاوي . عمان : دار الشروق ،1998.

39. فوزي ،فاروق عمر ،و محسن محمد حسين . **الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط** . عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1999.

40. القاسمي ،محمد سعيد . **قاموس الصناعات الشامية** . ط1، تحرير ظافر القواسمي، دمشق: دار طلاس للدراسات ،1988.

41. كرد علي ،محمد.**خطط الشام** . بيروت : دار العلم للملايين ، 1971.

42. كوهين، أمنون.**القدس دراسات في تاريخ المدينـة**. القدس : ياديتسحاق بن تسفي ،1990.

43. لابيدوس ،ايرا . **مدن الشام في العصر المملوكي** . ترجمة علي ماضي ، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع ، 1978.

44. ماجد ،عبد المنعم . **طومان باي آخر سلاطين المماليـك فـي مصـر** .
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ،1978 .

45. ماير،ك .**الملابس المملوكيـة** . ترجمة صالح الشيني ، القاهرة : الهيئـة
المصرية للكتاب ، 1972 .

46. منصور ،اسعد. **تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنـا الحاضـرة**.
القاهرة :1924م .

47. نعيرات ،محمد أسامة .**إقطاعية بيسان ودورها في الصـراع الإسـلامي
الفرنجي** . عكا :مؤسسة الأسوار ،2002 .

48. النقاش ،زكي. **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بـين العـرب
والفرنج خلال الحروب الصليبية**. بيروت: دار الكتاب اللبناني،1946.

49. هنتس، فالتر . **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلهـا فـي النظـام
المتري** . ترجمة كامل العسلي ،عمان : منشورات الجامعة الأردنية ، 1970 .

رابعا :المصادر والمراجع الأجنبية

1. Cohen &Lewis,**Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century** (Princeton: Princeton University press,1978.

2. Evliya Tshelbis:**Travels in Palestine , the Quarterly of the Dept .of Antiquities in Palestine**. Val IX Nol .

3. Wolf-Dieter Hutteroth and Kamal Abdul Fattah, **Historical Geography of Palestine.Transjordan and Southern Syria in the Late 16 Century**. (Erlangen 1977).

خامسا:المقالات

1. أبو صالح ،وائل."الحمامات العامة في مدينة نابلس" . **مجلة النجـاح للأبحـاث** ،حزيران ،العدد رقم 1 ،1983.
2. البخيت ،محمد عدنان. "الأسرة الحارثية في مرج ابن عامر ". **مجلة الأبحـاث** ،1980.
3. بهنسي ، عفيف " تكوين المدينة العربية". **الحوليات الأثرية** ، دمشق : 1976 .
4. رافق ، عبد الكريم . " مظاهر التنظيم الحرفي " . **دراسات تاريخية** ،1980 .
5. زايد، محمود ." دراسة التقسيمات الإدارية في فلسطين من خـلال رحلـة دي لابروكية 1432م ". .**بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشـام** ،**عمان**: مطابع الجمعية العلمية الملكية، 1983 .
6. زيادة ،نقولا ." فليكس فابري .فلسطين ". **بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام** . عمان: مطابع الجمعية العلمية الملكية ،1983.
7. العسلي ."نقوش من نابلس والخليل" . **حولية دائرة الآثـار العامـة**، مجلـد 36 ،عمان: 1992 .

8. يوسف ،احمد عبدا . " من أثارنا العربية والإسلامية فـي بيـت المقـدس" . **وزارة الأوقاف والشؤون الدينية** . مؤسسة أحياء التراث والبحوث الإسـلامية بيت المقدس ،2000.

9. يوسف ،محسن ."الخارطة الدينية لسكان فلسطين عشية الاحـتلال الصـليبي ". **مجلة آفاق** ،العدد 7 ،1993 .

10. **المنجد في اللغة والأعلام** . بيروت : دار المشرق ،1998 .

11. هيئة الموسوعة الفلسطينية . **الموسوعة الفلسـطينية** . القسـم الثـاني ، بيروت : مطبعة ميلانو ستامبا –ايطاليا ،1990.

12. هيئة الموسوعة الفلسطينية .**الموسوعة الفلسطينية** .القسم الأول ،دمشق : 1984 .

قائمة الملاحق

الملحق الأول:قائمة بأسماء سلاطين المماليك البحرية والبرجية .

الملحق الثاني: خريطة توضح التقسيمات الإدارية لفلسطين في عصر المماليك البحرية .

الملحق الثالث : خارطة لنيابات فلسطين في عصر المماليك الشراكسة(البرجية).

الملحق الرابع : خريطة توضح أحياء وأسواق وحارات وملحقات مدينة القدس في عهد المماليك.

الملحق الخامس:صورة لمئذنة جامع الخانقاة الصلاحية في القدس .

الملحق السادس: خريطة توضح موقع خانات فلسطين في العصر المملوكي.

ملحق رقم (1-أ)

قائمة باسماء السلاطين المماليك

أولا: عصر المماليك البحرية :648-792هـ/1250-1382م

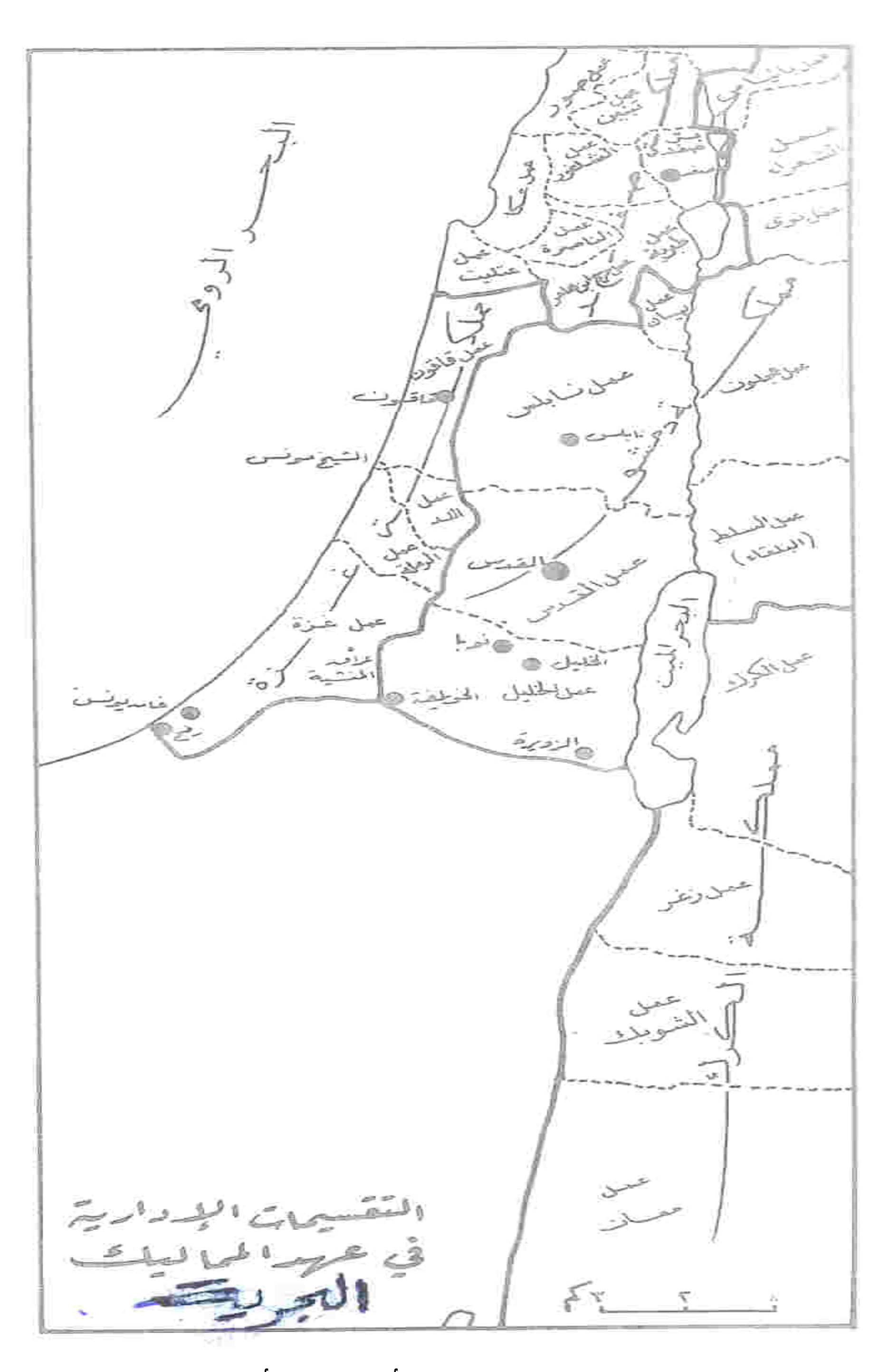
السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
شجرة الدر	ثمانون يوماً 648هـ	قتل
عز الدين أيبك	7 سنوات 648هـ-657 هـ	قتل
نور الدين علي بن أيبك	سنتان / 655-657 هـ	خلع
سيف الدين قطز	سنة واحدة / 657-658	قتل
الظاهر بيبرس	18 سنة / 658-676	توفي
السعيد بركة بن بيبرس	سنتان / 676-678	خلع
العادل بدر الدين بن بيبرس	أقل من سنة / 678-678	خلع
المنصور قلاوون	11 سنة / 678-689	توفي
الأشرف خليل بن قلاوون	4 سنوات / 689-693	قتل
الناصر محمد بن قلاوون	سنة واحدة / 693-694	خلع
العادل كتبغا	سنتان / 694-696	
المنصور لاجين	سنتان / 696-698	قتل
الناصر محمد بن قلاوون	10 سنوات / 698-708	أعيد ثم اعتزل
المظفر بيبرس أبي شنكير	سنة واحدة / 708-709	قتل
الناصر محمد بن قلاوون	32 سنة / 709-741	توفي
المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون	أقل من سنة / 741-742	خلع
الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون	أقل من سنة / 742-742	خلع
الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	أقل من سنة / 742-743	خلع
الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون	ثلاث سنوات / 743-746	توفي
الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون	أقل من سنة / 746-747	قتل
المظفر أمير حاج بن محمد بن قلاوون	أقل من سنة / 747-748	قتل
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	4 سنوات / 748-752	خلع
الصالح صالح بن محمد بن قلاوون	3 سنوات / 752-755	خلع
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون	7 سنوات / 755-762	أعيد ثم قتل
المنصور محمد بن المظفر أمير حاج	سنتان / 762-764	خلع
الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	14 سنة / 764-778	قتل
المنصور علي بن الأشرف شعبان	5 سنوات / 778-783	توفي
الصالح حاجي بن الأشرف شعبان	سنة واحدة / 783-784	خلع
برقوق	سبع سنوات / 784-791	خلع وسجن
الصالح حاجي بن الأشرف شعبان	أقل من سنة / 791-792	خلع

ملحق رقم (1-ب)

ثانيا:عصر المماليك الشراكسة (البرجية) 792-923هـ/1382-1517م

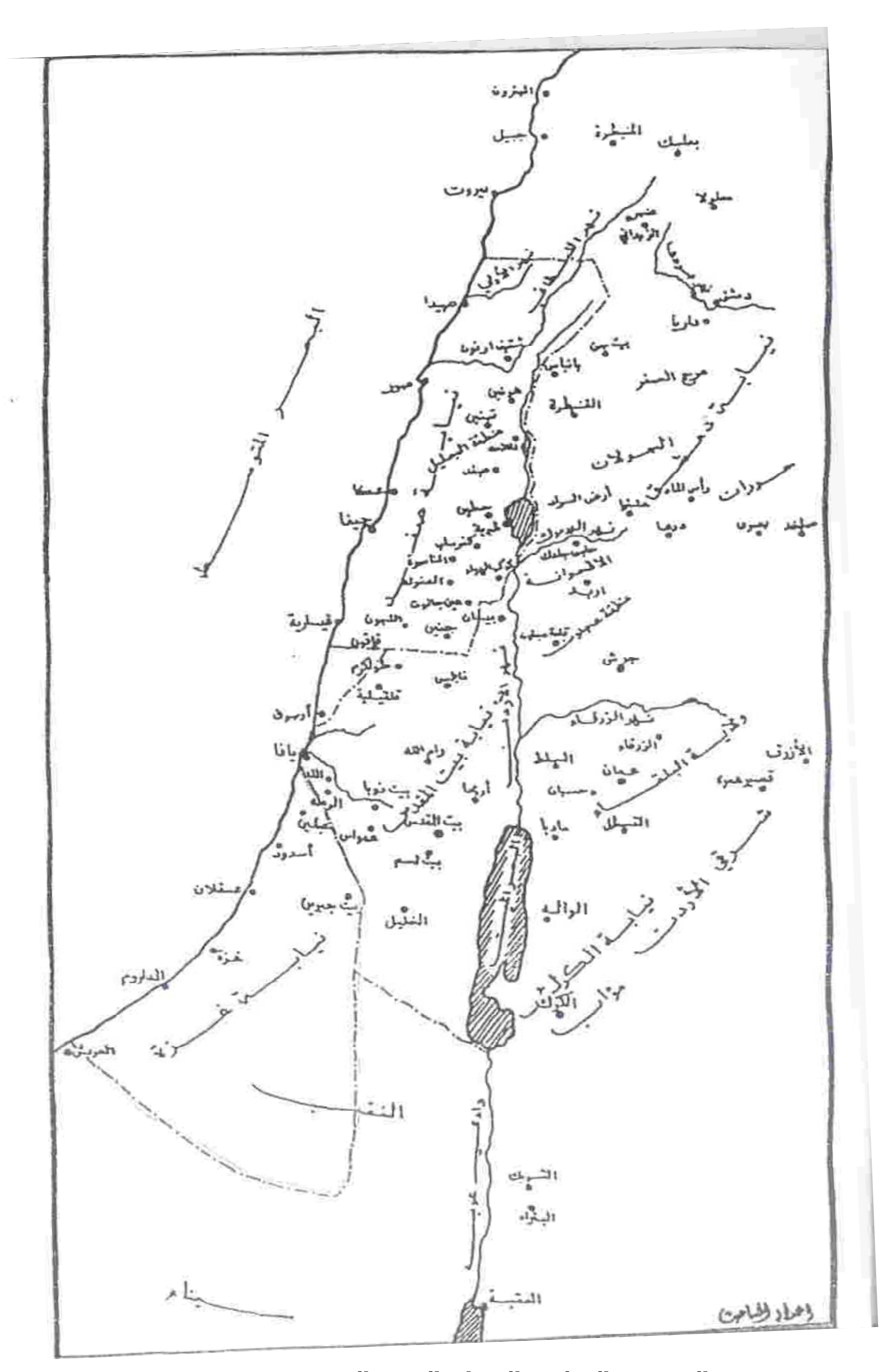
السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
الظاهر برقوق	9 سنوات / 792-801	للمرة الثانية / توفي
الناصر فرج بن برقوق	7 سنوات / 801-808	خلع
المنصور عبد العزيز بن برقوق	ثلاثة أشهر / 808-808	خلع
الناصر فرج بن برقوق	7 سنوات / 808-815	للمرة الثانية / قتل
الخليفة العباسي: المستعين با العباس بن المتوكل على ا (808-815)	حكم خمسة أشهر 815-815	
المؤيد شيخ الاصطبل	9 سنوات / 818-824	توفي
المظفر أحمد بن المؤيد	عدة أشهر / 824-824	خلع
الظاهر ططر	عدة أشهر / 824-824	توفي
الصالح محمد بن الظاهر ططر	عدة أشهر / 824-825	خلع
الأشرف برسباي	16 سنة / 825-841	توفي
العزيز يوسف بن برسباي	عدة أشهر / 841-842	خلع
الظاهر جقمق	15 سنة / 842-857	توفي
المنصور عثمان بن الظاهر جقمق	أقل من شهر ونصف/857-857	خلع
الأشرف إينال	7 سنوات / 857-865	توفي
المؤيد أحمد بن الأشرف إينال	أقل من سنة 865-865	خلع
الظاهر خشقدم	7 سنوات / 865-872	توفي
الظاهر بلباي	شهران / 872-872	خلع
الظاهر تمربغا	شهران / 872-872	خلع
خير بك	ليلة واحدة / 872	خلع
الأشرف قايتباي	29 سنة / 872-901	توفي
الناصر محمد بن الأشرف قايتباي	سنة واحدة / 901-902	خلع
قانصوه	902-903	قتل
الناصر محمد بن الأشرف قايتباي	903-904	أعيد ثم قتل
الظاهر قانصوه	904-905	خلع
جانبلاط	905-906	قتل
العادل طوماي باي	عدة أشهر / 906-906	قتل
الأشرف قانصوه الغوري	17 سنة / 906-922	قتل
طوماي باي	أقل من سنة / 922-923	قتل، ونهاية دولة المماليك.

ملحق رقم (2)



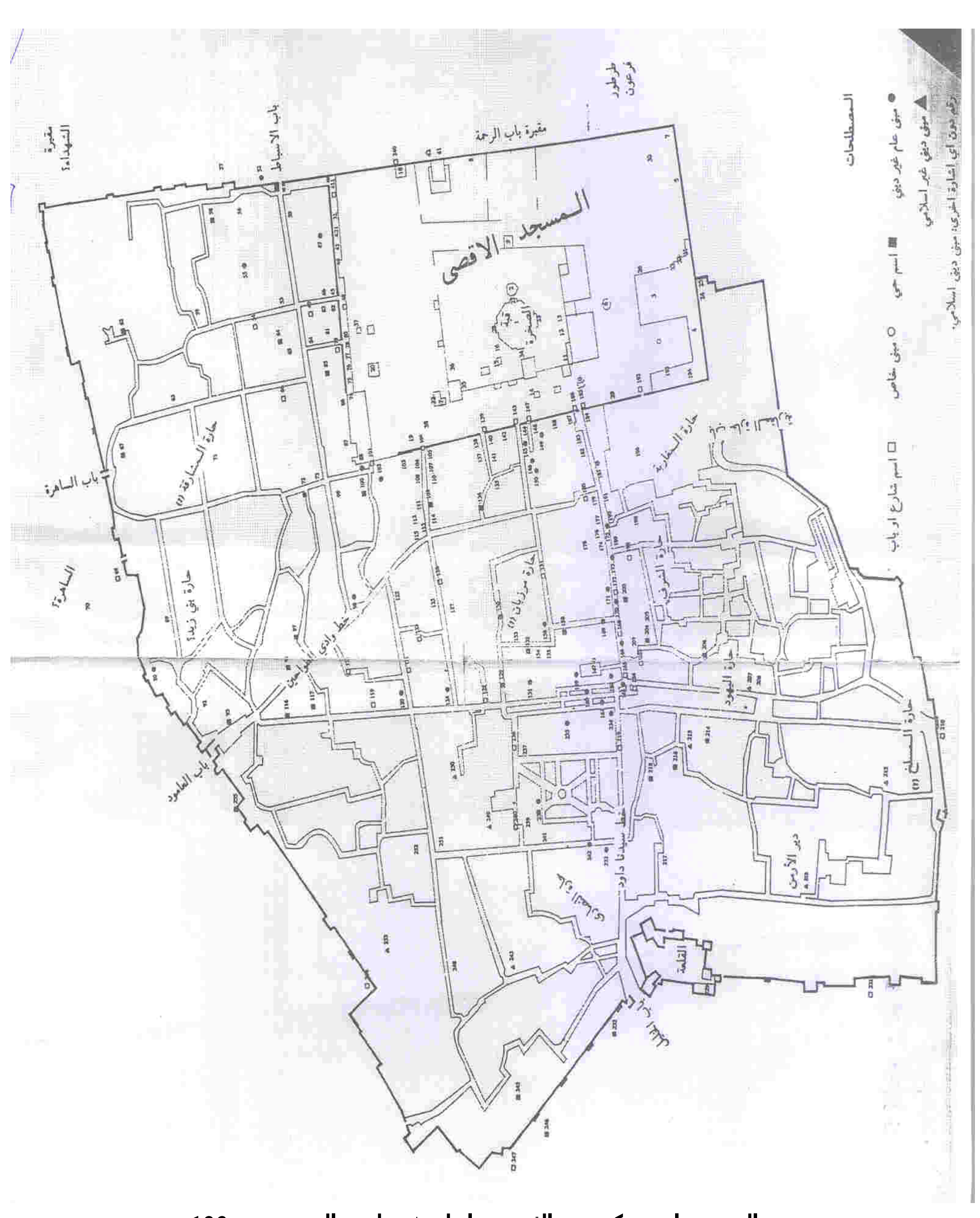
المصدر : الموسوعة الفلسطينية .القسم الأول ،المجلد الأول ،ص 121 .

ملحق رقم (3)



المصدر : الدجاني .الصراع العربي الفرنجي . ص 432 .

ملحق رقم (4)



المصدر: امنون كوهين .القدس دراسات في تاريخ المدينة. ص 123

خريطة القدس في عصر المماليك

تم تحديد الأماكن من العصر المملوكي في الخريطة الموفقة على الخريطة التي نشرتها وزارة العمل عام ١٩٧٤ وقياسها ١ على ٢٥٠٠ وهذا بالطبع يمس بالدقة التاريخية.

وقد اوردنا في الخريطة هذه اسماء الأماكن التي ذكرت في المصادر الاسلامية. ولم نذكر المباني الدينية او غير الدينية لابناء الطوائف غير الاسلامية في القدس إلا اذا ذكرت هذه المباني باسمها العربي في المصادر الاسلامية.

الاسم الوارد في الخريطة هو الاسم الاكثر شهرة لدى المسلمين. لم تورد اسماء المباني كما عرفها ابناء الطوائف غير الاسلامية.

وقد استندنا في خريطتنا هذه على تشخيص اسماء المباني والشوارع الواردة في كتاب الانس الجليل لمجير الدين الحنبلي الذي صنفه عام ١٤٩٥. وقد جاءت اسماء غالبية الاماكن التي ذكرت خلال القرنين اللذين سبقا مجير الدين واطلق عليها في حينه اسماء اخرى، جاءت هنا حسبما وردت في الانس الجليل.

ولم نذكر اسماء مبان عديدة خارج الاسوار.

اشارة الاستفهام بعد اسم معين تعني ان تشخيص المكان ليس اكيداً.

قائمة بالاسماء الواردة في الخريطة

باب الاسباط
باب حارة المغاربة
باب الخليل
باب الساهرة
باب العامود
بركة السلطان
دير الأرمن
حارة بني زيد؟
حارة اليهود
حارة المغاربة
حارة المسلخ
حارة مرزبان

حارة المشارقة
حارة النصارى
حارة الشرف
خط وادي الطواحين
خط سيدنا داود
طرطور فرعون
المسجد الاقصى
مقبرة باب الرحمة
مقبرة الشهداء؟
الساهرة؟
صهيون
قبة الصخرة
القلعة

خريطة القدس في عصر المماليك – الأماكن الهامة المذكورة في الخريطة

1. قبة الصخرة
2. قبة السلسلة
3. المسجد الأقصى
4. جامع النساء
5. محراب داوود
6. الكأس
7. سوق المعرفة ومهد عيسى
8. باب الجنائز
9. درج البراق
10. قبة موسى
11. القبة النحوية
12. قبة برهان الدين
13. منبر برهان الدين
14. سبيل قايتباي
15. قبة المعراج
16. مقام / قبة النبي
17. سبيل شعلان
18. كرسي سليمان
19. سبيل [علاء الدين] البصير
20. قبة سليمان
21. جامع عمر
22. مقام عزير
23. محراب زكريا
24. دار الخطابة
25. الزاوية الختنية
26. بئر الورقة
27. باب اسرافيل
28. باب الجنة
29. الرواق الغربي
30. اسطبل سليمان
31. الرواق الشمالي
32. صهريج عروة
33. الباب القبلي
34. الباب الغربي
35. قبة خضر
36. قبة الارواح
37. سبيل سليمان
38. محراب؟ البصير
41. باب الرحمة
42. باب التوبة
43. المدرسة الطولونية
44. المدرسة الفادرية
45. المدرسة الكريمية
46. المدرسة الكاملية
47. بركة اسرائيل
48. باب حطة
49. خط باب حطة
50. المدرسة الحسنية؟
52. ميدان العبيد؟
53. الزاوية السيخونية؟
54. سويقة باب حطة
55. بركة سليمان
56. المدرسة الصلاحية
57. زاوية الهنود؟
58. حارة الطورية
59. الزاوية المهمازية
62. حارة الايوبية
63. المدرسة الميمونية
64. حارة باب حطة
65. المدرسة المعظمية
66. عقبة المهمازية
67. حارة باب الزاهرة
69. باب الداعية؟
70. الزاوية الادهمية
71. الزاوية البسطامية
72. حارة درج المولوية
73. المدرسة الوجيهية
74. المدرسة الصبيبية
75. المدرسة الاسعردية
76. المدرسة الملكية
77. المدرسة الفارسية
78. المدرسة الأمينية
79. باب شرف الانبياء (او باب الدوادارية)
80. المدرسة الباسطية
81. المدرسة الدوادارية
82. التربة الأوحدية
83. الرباط الماردينى
84. المدرسة السلامية

85. حارة شرف الانبياء
86. المدرسة الجوالية (او دار النيابة)
87. المدرسة المحدثية
88. بيت بني جمة
89. زقاق السعديين
90. مغارة الكتان
92. الزاوية اللالائية
93. حارة باب العامود
96. حارة عقبة الشيوخ
97. حارة القسيلية
98. حمام العامود
99. الزاوية الأزبكية
100. حارة بني غانم
101. باب الغوانمة
102. بيت ابن غانم
103. المدرسة المنجكية
104. باب الناظر
105. الزاوية الوفائية (أو: بيت ابن الهايم)
106. المدرسة الحسنية
107. قبر فاطمة بنت معاوية
108. رباط علاء الدين البصير
109. حارة باب الناظر
110. الرباط المنصوري
111. المدرسة التنشمرية
112. المدرسة الجهاركسية؟
113. المدرسة البارودية
114. الزاوية اليونسية
115. الزاوية المحمدية
116. حارة الدراعنة؟
117. حارة بني سعد
118. قناطر خضر
119. حارة بني مرّة؟
120. سوق الفخر؟
121. عقبة الظاهرية

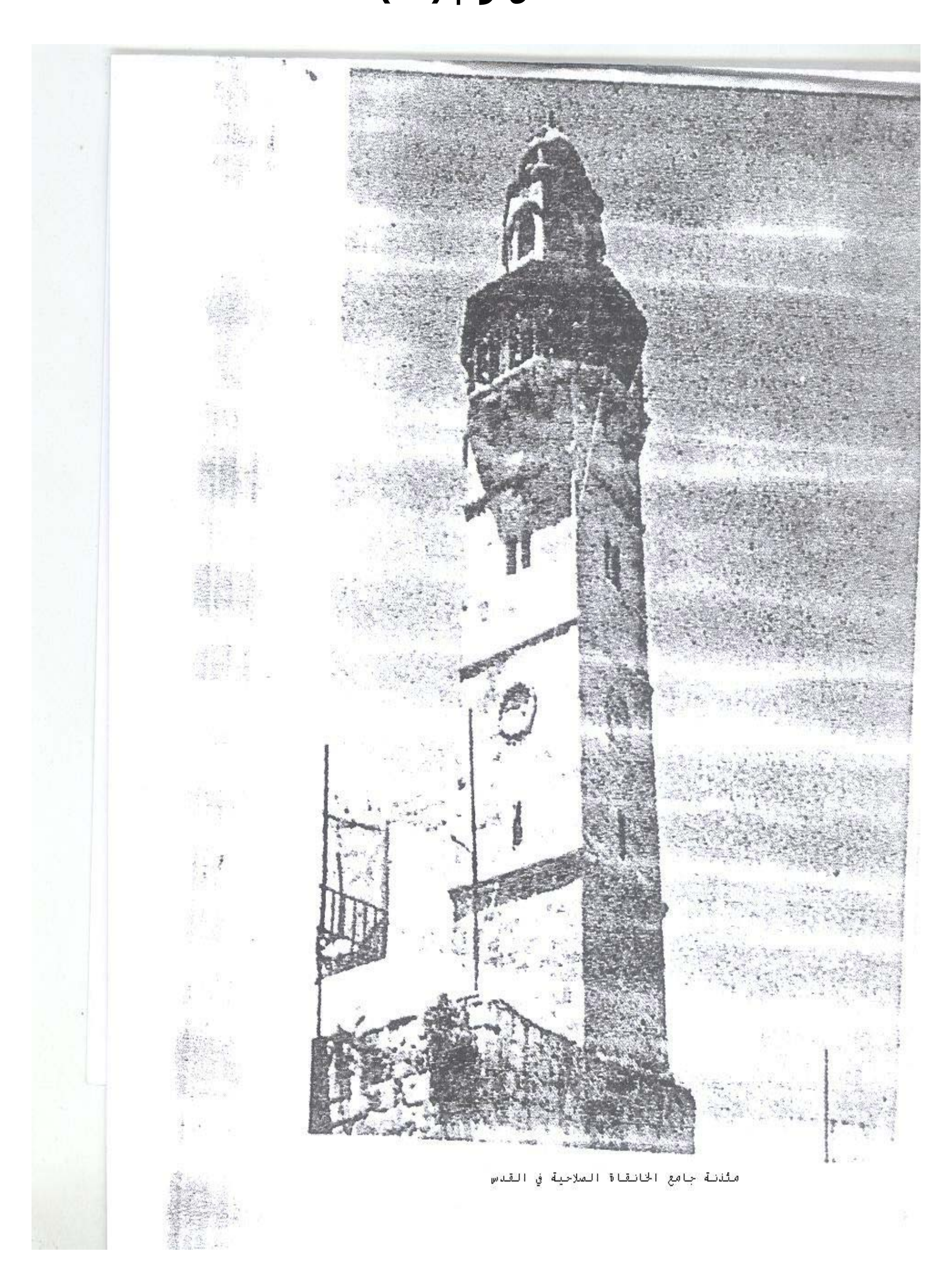
122. الزاوية الظاهرية
123. عقبة السودان
124. سوق الزيت
125. تربة الست
126. عقبة السوق (أو: عقبة الست)
127. دار الست
128. زقاق ابن شامة
129. حارة الحصرية
130. حارة ابن الشتير
131. خط المربعة
132. حارة الشيخ محمد القرمي
133. زاوية الشيخ محمد القرمي
135. المدرسة الحنبلية؟
136. حارة باب الحديد
137. المدرسة الجوهرية
138. رباط كرد
139. باب الحديد
140. المدرسة الارغونية
141. المدرسة المزهرية
142. المدرسة الخاتونية
143. باب القطانين
144. رباط الزمني
145. السقاية
146. الحمام الجديد
147. باب المتوضأ
148. المدرسة العثمانية
149. المطهرة
150. خان تنكز
151. خط مرزبان (او عقبة القطانين)
154. المدرسة البدرية
155. المدرسة اللؤلؤية
156. حمام علاء الدين
158. حارة حمام علاء الدين
159. سوق القماش

160. سوق الخضر
161. سوق العطارين
162. خان المصرف
163. سوق الحريرية
164. باب حارة اليهود
165. خط الوكالة
166. سوق الطباخين
167. الوكالة
168. قنطرة خان جبيلي
169. خان جبيلي؟
170. سوق خان الفحم
171. خان الفحم؟
172. خط [سيدنا] داوود
173. سوق المبيضين
174. المدرسة القرازية
175. سوق القشاش
176. التربة الكيلانية
177. المدرسة الطازية
178. دار الحديث
179. التربة الجالقية
180. درج العين
181. سوق الصاغة
182. تربة تركان خاتون
183. التربة السعدية
184. المدرسة التنكزية
185. باب السلسلة
186. باب السكينة
187. المدرسة البلدية
188. المدرسة السلطانية الاشرفية
189. التربة الطشتمرية
190. تربة حسام الدين بركة خان
191. دار القرآن السلامية
192. باب المغاربة
193. جامع المغاربة

194. المدرسة الفخرية
195. زاوية المغاربة
198. المدرسة الافضلية
199. باب حارة الشرف
200. حارة العلم؟
201. زاوية الحيادرة؟
203. درج الحرافيش
204. حارة الحيادرة
205. زاوية الطواشية
206. حارة الصلتين؟
207. كنيس اليهود
208. مسجد
210. باب حارة اليهود
212. دير زيتون
213. كنيسة مار يعقوب
214. حارة صهيون الجوانية
215. دير السريان
216. حارة الريشة
217. زاوية الشيخ يعقوب العجمي
218. حارة الضوية
219. خط عرصة الغلال
221. باب سر
222. دير صهيون
223. كنيسة صهيون
224. قبر داوود
229. جامع
232. حارة بني حارث
233. بركة عياض
234. عرصة
235. البيمارستان الصلاحي
236. خط الدركاه
237. المدرسة الفخرية
238. سجن الشرطة
239. مسجد الأفضل علي

240. درج القمامة
241. حوش صامت؟
242. حمام البترك
243. دير القمامة
245. حارة الرحبة
246. حارة الجوالقة
247. باب الرحبة؟
248. مسجد القلندرية
249. كنيسة القيامة (القمامة)
250. دير الاقباط
251. الخانقاه الصلاحية
252. الزاوية الحمراء؟
253. دير السرب؟
254. باب دير السرب؟
255. حارة ملاط؟
411. باب الاسباط
421. المدرسة الفترية

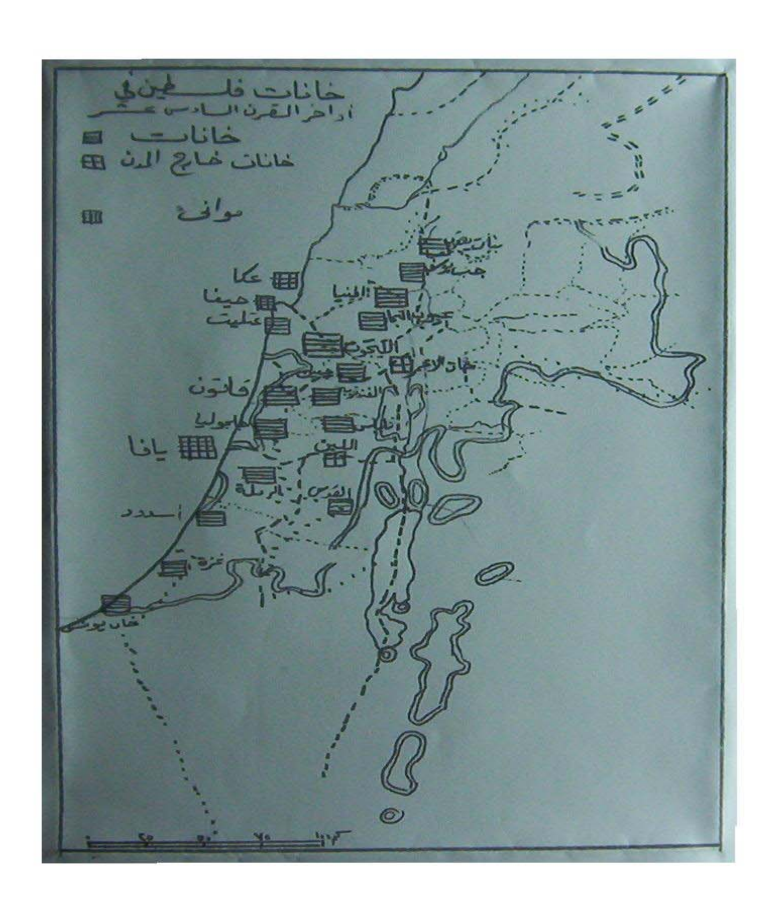
ملحق رقم (5)



مئذنة جامع الخانقاة الصلاحية في القدس

المصدر: يوسف غوانمة . تاريخ نيابة بيت المقدس. ص119

ملحق رقم (6)



Wolf-Dieter Hutteroth and Kamal Abdul Fattah, **<u>Historical Geography of Palestine.Transjordan and Southern Syria in the Late 16 Century</u>**.p 94.

(بتصرف)